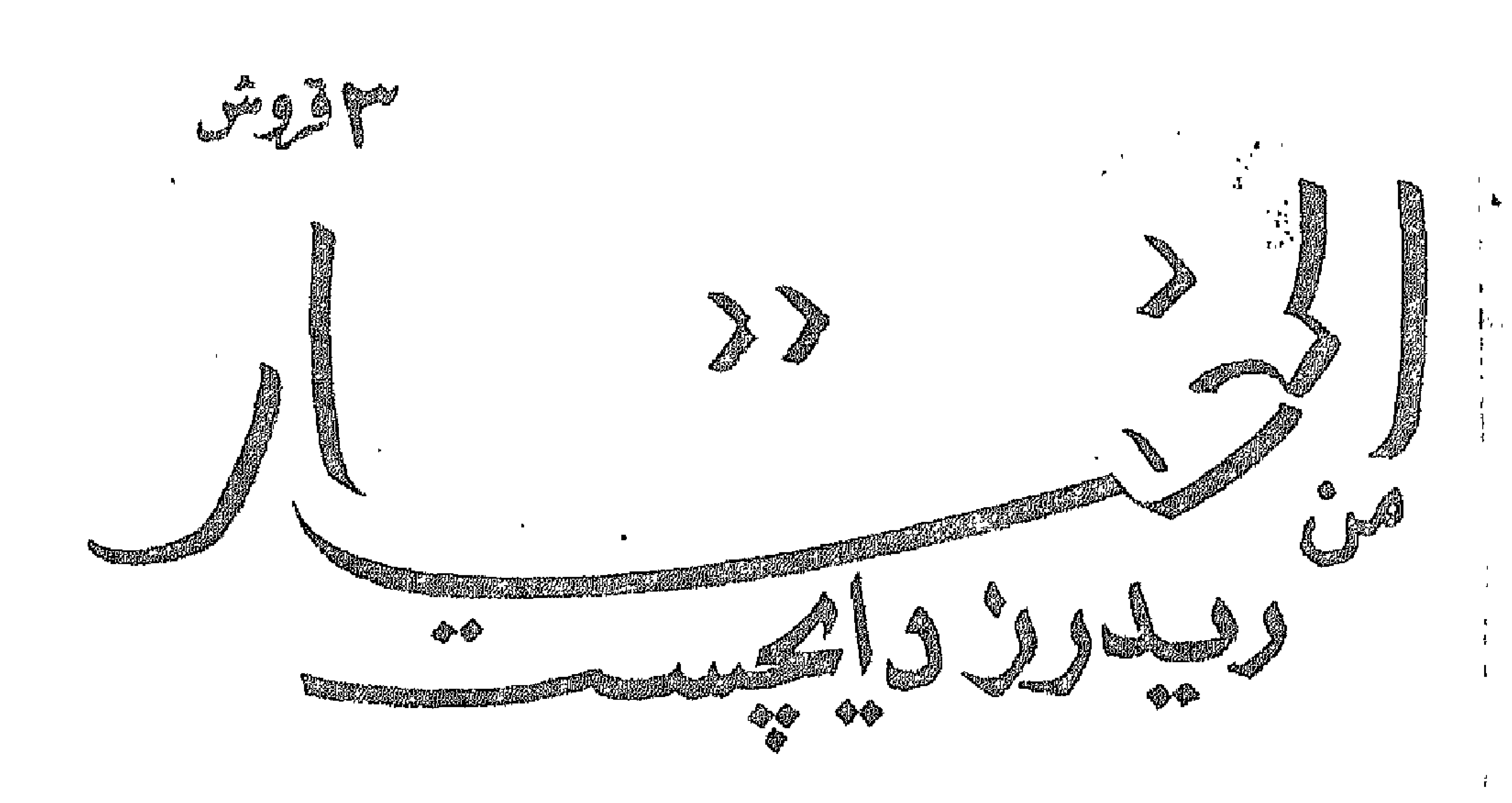


في كل مقالة لذة دائمة

مارس ١٩٤٦

اقرأ في عدد إبريل سنة ١٩٤٦

قد تصبح غداً أنضر شباباً : قد تعيش غداً حتى تبلغ ١٢٠ سنة أو ١٥٠ سنة ، بفضل مصل جديد رائع صنعهُ عالم روسى . اقرأ عن هذا الاكتشاف الذي وصفهُ كاتب المقال بأنهُ : « عند الناس أجلُّ شأناً من القنبلة الذرية » .

تعليم المسائل الجنسية فى المدارس : جامعة أراد طلبتها أن يعرفوا الحقيقة سافرةً ، فظلوا ست سنوات يدرسون شئون الحياة والحب فى فصل ، « الشباب والزواج اليوم » . كيف تمت هذه الدراسة العجيبة لجمهرة من الفتيان والفتيات ، وبعض ما أسفرت عنه دراستهم ؟

حقائق عن طعامك قد تجهلها : إذا أكلت لحماً أو شواء بدمه ، فهل يقوى ذلك دمك ؟ أفى السمك غذاء للمخ ؟ هل الأطعمة غير المطبوخة ثقيلة على المعدة ؟ جواب هذه الأسئلة ، وكثير غيرها مما يشغل الناس ، تراهُ فى هذا المقال ، وقد يدهشك بعض حقائقه .

حكومة عالمية : ليست الحكومة العالمية هى هدفنا الأخير ، بل ينبغى أن تكون خطوتنا الأولى : هكذا يقول مؤلف كتاب « قضية السلام » الذى ظفر باهتمام الناس جميعاً . وهو يبين فى هذا المقال لمَ ينبغى أن يكون إنشاء حكومة عالمية هو الخطوة الأولى ، وكيف يمكن تحقيق آرائه التى أبداها .

AL MUKHTAR min Reader's Digest Vol. 6, No. 31, MARCH 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـــام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العـام : باركلى أتشيسـون

السنة الثالثة
المختار
من ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
المجلد ٦
العدد ٣١
مارس ١٩٤٦

كل خطوة تيسر تبادل المنافع بين بلاد أوربا، خليقة أن تفضي إلى خير الناس جميعاً . [ونستون تشرشل]

الولايات المتحدة الأوربية: أهذا ممكن؟

جورج كريل
مختصرة من مجلة "كولييرز"

يلوح أن أمريكا شارعة في تحديد سياسة تتبعها حيال أوربا، تكون أعظم نفعاً . وقد أخذ الرئيس ترومان يقلب وجوه الرأى فى تحويل أوربا إلى ولايات متحدة ، وجعل هذا الأمر مدار حديثه مع بطانته المقربين ولم يأمرهم بكتمانه .

وأساس هذا المشروع بيّن واضح ، فلو قام اتحاد بين الدول الأوربية، واتخذت عملة واحدة ، وارتضت نظاماجمركيا يسرى عليها كافة، وجعلت مواردها الطبيعية شركة بينها ، وأباحت للجميع مسالك الماء، لصار من المأمول أن تظفر بالاستقرار والرخاء .

وقد لمح الرئيس ترومان إلى ما يرى بجلاء ، حين حث أوربا فى مؤتمر بوتسدام على « تقرير حرية الملاحة المطلقة » فى نهر الرين والدانوب ومضايق البحر الأسود وقناة كييل ، وفى كل الأنهار التى تشق أرض دولة أو أكثر . وأكد فى تقريره الذى وضعه عن ذلك المؤتمر، أن الولايات المتحدة ستبذل كل جهدها فى تحقيق هذه الغاية .

وليس من العسير إدراك الدوافع التى حملت رئيس الولايات المتحدة على تعديل وجهة نظره فى سياسة أوربا ، فإن كبار معاونيه لم يحاولوا إخفاء قلقهم وتشاؤمهم، إذ كيف يتسنى لدولة ، مهما صدقت نيتها ، أن تعين على تعمير أوربا ، وأوربا ذاتها غير

قادرة على أن تحسن الانتفاع بهذه الإعانة التي تأتيها من خارج ؟ وكيف تأمل أوربا انتعاشا صادقا والرسوم الجمركية وقيود التجارة ، وفوضى النقد ، تحول دون تبادل المنتجات ، وتقيم الحواجز بين المراكز الصناعية والمناطق الزراعية ؟

فها هى النرويج بعوزها الملح لتقديد أسماكها ، وإيطاليا جائعة تتلهف على هذه الأسماك ، ومع ذلك فلا سبيل للبلدين أن يتّجرا بينهما . وكذلك اليونان ، وعداوة جيرانها لها تعزلها عن العالم ، لا تستطيع بيع طباقها ، على حين ترى سكان البلاد الأخرى ينقبون بأيدٍ متلهفة فى أكوام القمامة علهم يظفرون بعقب لفافة . وهاهو الروهر والسار وسيليزيا تزخر أرضها بالفحم ، ولكنه لا يغنى من مأكل أو ملبس ، على حين ترى فى الدنمرك والمجر وهولندة طعاما وافراً تود لو تقايضها به فحما ، ومع ذلك فليس فى الإمكان إتمام هذا التبادل فى الظروف الحاضرة . ولذلك فستصطك أسنان أهالى الدنمرك والمجر وهولندة برداً فى هذا الشتاء ، وسيبيت أهالى مناطق الفحم على الطوى .

وهناك أمر آخر : إذا لم تطرح الدول الأوربية أضغانها ومخاوفها ، وتؤمن بأنها اعضاء أسرة واحدة ، فحتم عليها أن تتسابق فى التسلح ، وإذا صرفت هذه الدول مواردها فى التسلح ، فلا مفرّ من هبوط مستوى المعيشة فيها ، أو من نشوب حرب أخرى أشد هولاً .

واتحاد أوربا ليس بدعة جديدة ، فقد كان قادة الفكر فى القرن التاسع عشر ، كمازينى وغاريبالدى وفيكتورهوغو وغيرهم ، ينظرون إلى الشعوب الأوربية نظرتهم إلى أفراد أسرة واحدة ، وورثة لثقافة مشتركة وتقاليد مشتركة ، ونددوا بتنافرهم الذى يدفعهم إلى حرب تلو حرب ، المنتصر فيها من الخاسرين . ولكن هذه الفكرة تبددت حينما تعاظم جبروت بروسيا واستعرت نيران الحرب العالمية الأولى .

ومع ذلك فقد نهض رجل فى سنة ١٩٢٢ ليرفع هذه الفكرة من الحضيض الذى هوت إليه ، ذلك هو إريستيد بريان الذى نظر فرأى أوربا فقيرة قانطة ، فرفع عقيرته : « اتحدوا تحيوا ويطب عيشكم » ، وعضده الكونت كودنهوف كاليرجى ، وهو سليل أسرة نمسوية شريفة ، وأمه يابانية ، إذ وقف حياته وأمواله على تحقيق اتحاد اوربا . فما جاءت سنة ١٩٢٦ حتى عظم أمر هذه الفكرة وأقيم فى فينا مؤتمر لبحثها . وكان النداء الذى لباه ٢٠٠٠ مندوب من كافة ممالك أوربا هو :

«أصبح الأمر فوضى، هذا هو أصدق وصف للمجتمع الأوربى الذى يضم ٣٤ دولة لا يربطها قانون ولا نظام شامل، ولا تقوم فيها محكمة تعدل بينهم، ولا قوة شرطة تؤمنهم، بل كل دولة تدبر شؤونها كما تهوى. هذا مجتمع تستبد فيه القوة بالحق، ووسائل المفاوضات المشروعة هى عنده التهديد والغدر».

وأسفرت مداولات المؤتمر عن وضع أسس اتحاد أوربا طبقاً للمبادئ الآتية:

— تضامن أوربى عملته واحدة، ونظامه الجمركى متحد، وحرية الملاحة فى مسالك مائه حرة وسياسته الخارجية والعسكرية واحدة.

— ضمان وثيق لكافة دول أوربا المتحدة يكفل استقلالها وسلامتها ومعاملتها معاملة الأنداد.

— عهد مقدس يقضى باحترام حقوق الأقليات الدينية والجنسية.

— فض كافة المنازعات أمام محكمة عدل، تيسر لها كل الوسائل الأدبية والمادية لتنفيذ أحكامها.

— تعاون كامل مع الأمم الأخرى فى حدود نظام يطبق على الدول جميعها.

واشتد ساعد هذه الحركة بفضل إسناد رياسة الاتحاد الفخرية إلى بريان، (وتدتولى تأليف الوزارة فى فرنسا مرات) فاجتمع مؤتمران فى برلين سنة ١٩٣٠ وثالث فى بال سنة ١٩٣٢. ولم يكن الوافدون إلى هذه المؤتمرات أخلاطاً من رجال خياليين يحكمون بالمثل العليا، بل كانوا رجالا لهم مكانتهم ونفوذهم، وتلقت الوفود كلمات كلها تشجيع من ونستون تشرشل إذ قال: «إن تصور قيام ولايات متحدة فى أوربا فكرة صائبة، فتيسير تبادل المنافع بين بلاد أوربا خليق أن تفضى إلى خير الناس جميعاً».

وارتفعت أصوات قوية أيضاً تعارض الفكرة، فإن اتحاد أوربا يبغضه بغض السم كل من ينتفع بتفرق كلمتها، وفى مقدمة هؤلاء أصحاب مصانع السلاح، والساسة المتهوسون فى كل بلد، والماليون الدوليون الذين يربحون الآلاف المؤلفة من التلاعب بتخفيض الرسوم الجمركية أو رفعها. ومع ذلك فإن من الدلالات التى لها مغزاها أن الفكرة فى ذاتها لم يطعن فيها أحد، بل تلقاها الناس بالترحيب، وإن انثنوا بعد ذلك يرمونها بأنها فكرة خيالية. فكيف يمكن لمثل هذه الرقعة المترامية الأطراف المختلفة السكان المتباينة الألسنة، أن تندمج دولها بعضها فى بعض، وتصبح جماعة واحدة قادرة على الحياة والعمل؟

ورد عليهم أنصار الاتحاد يحاجونهم

بالحقائق والإحصاءات ، وقالوا : ألا ينطق التاريخ بأن كل دولة فى أوربا قد سلكت طريقاً وعراً من قبل أن تنعم بوحدتها ؟ فهذه مدن إيطاليا ومقاطعاتها ظلت طويلا تتقاتل تقاتل الكلاب على العظام ، فلما قام مازينى ينادى بفكرته ، وهى عند الناس فكرة خيالية ، إذا بإيطاليا تصبح دولة موحدة . وكذلك ظل ملوك ألمانيا وأمراؤها ينزف بعضهم دماء بعض تكالباً على المكسب والسلطان .

أما مسألة اتساع رقعة أوربا فالرد عليها يكون بمقارنتها بالولايات المتحدة الأخرى ، فمساحة أوربا لا تزيد على ثلثى مساحة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومساحة الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ضعف مساحة أوربا .

وهاهى سويسرا تصلح لأن تكون صورة مصغرة لأوربا المتحدة ، فأهل سويسرا يتباينون فى الدين والجنس والعقيدة السياسية واللغة ، ومع ذلك فإن مقاطعاتها الاثنتين والعشرين مندمجة فى اتحاد واحد ، يسرى عليها جميعاً نظام اقتصادى واحد ، وتشترك معاً فى السياسة الخارجية والعسكرية ، دون أن تفقد كل مقاطعة ما يجب لها من سلطان أو تضحى بثقافتها وتقاليدها . ولغاتها الأربع ، الفرنسية والألمانية والإيطالية ولهجة رومانية قديمة ، معترف بها جميعاً . وتعيش فريبورغ الشديدة الإيمان بالكاثوليكية وبرن وفو الشديدة الإيمان بالبروتستانتية فى سلام جنباً إلى جنب ، ولا تخلو مقاطعة منها من بيعة لليهود .

وقد كان مشروع ولايات أوربا المتحدة ، الذى أيدته ٢٦ حكومة ، خليقاً أن يتم له النجاح ، ولكن بريان مات سنة ١٩٣٢ ، وأعلن هتلر فى سنة ١٩٣٣ تأسيس دولة الريخ الثالث . وبعد ذلك بخمس سنوات ، حاول تنفيذ فكرته الضالة عن الاتحاد بالمناداة بمبدأ (الشعب السيد المختار) فانطفأت الفكرة ، واختفى كل مايدل على أنها ستعود حية من جديد ، إلى أن حان يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٣ إذ نفض تشرشل عنها الرماد وأكّد إيمانه بضرورة إقامة إتحاد فى أوربا تشترك فيه كافة الفروع العظيمة من الأسرة الأوربية ، ونادى بإنشاء مجمع لأوربا ، له محكمة عليا لتسوية المنازعات ، على أن يكفل لها من السلطان ما ييسر لها إنفاذ أحكامها .

وقد عادت فكرة اتحاد أوربا تنهض على قدميها من جديد ، وإن لم يؤازرها رجل كأرستيد بريان ليوجهها إلى غايتها ، ولكن الرأى العام فى كل مملكة يزداد مناصرة لها يوماً بعد يوم . وهزيمة الريخ الثالث وتفككه يفتح باباً فسيحاً للرجاء لم تلق

الفكرة مثله من قبل ، فإن النزعة البروسية التى ظلت طويلا تحول دون الاتحاد ، وتدأب على تهديد السلم ، قد هزمت وتحطمت .

والمشروع الحاضر للاتحاد، كما يصفه قادة الرأى ، لا يشمل بريطانيا وروسيا ، فإن لبريطانيا العظمى اتحادها الخاص بها ، (الكومون ولث) ، وإذا انضمت إليه روسيا امتدت أوربا إلى المحيط الهادى، واختل ما يجب للاتحاد من الاتزان ، إذ أن روسيا تنفرد دون أعضائه بالمساحة الرحبة والقوة الفائقة .

ومع ذلك فيجب على هاتين الدولتين أن تقلعا عن إقامة دول تحركها كالدمى من وراء ستار ، وعن الاستبداد بمناطق نفوذ فى أوربا ، فإن الاتحاد لا يتحقق إلا إذا كفلت لأعضائه حريتهم، وكانت حكوماتهم معبرة عن رأى شعوبها . واتحاد أوربا لا غنى له عن صداقة روسيا وبريطانيا العظمى، ولكنها يجب أن تكون صداقة لا يرجى من ورائها غنم ، اللهم إلا حسن النية من جيران منصرفين إلى العمل محبين للسلم .

وماذا تبتغيان أكثر من ذلك ؟ فمن المستبعد أن يكون لاتحاد أوربا — كما يقول أنصاره — مطامع فى الاستعمار ، أو رغبة فى أن يشن حرباً هجومية، ومعداته الحربية ستقتصر على ضرورات الدفاع ، وستنجاب عن روسيا مخاوفها من تأليف كتلة من الدول الغربية تناصبها العداء ، وتتوفر على استثمار مواردها الوفيرة . وكذلك بريطانيا ، إذا لم يبق لها ما يدعوها إلى الحذر الدائم من أوربا الخاضعة لألمانيا أو لروسيا ، استطاعت أن تتفرغ لمشاكل إمبراطوريتها المعقدة .

واليوم تزداد صورة اتحاد أوربا وضوحاً، إذ يتحدث أنصاره مستبشرين عن اقتراح تشرشل إنشاء مجمع لأوربا يتألف من وزراء خارجية الدول أعضائه ، ومن كبار رجالاتها البارزين ، ويجب الإسراع فى اتخاذ عملة واحدة وإقرار حرية الملاحة فى مسالك الماء ، والاشتراك فى الموارد الطبيعية، ليتم إنفاذ المشاريع الكبرى الهامة. ويجب كذلك الإسراع فى توحيد النظام الجمركى لهدم الحواجز التى تعوق التجارة ، ويجب وضع حد للعوائق التى تحول دون حرية السياحة والتنقل .

وإذا تدفق الفحم والحديد والطعام ومنتجات المصانع فوق قضبان السكك الحديدية ، وسيارات النقل وسفن الأنهار ، وتوفر النقل دون عائق ، كان لأوربا أن ترجو أن تنهض من الوهدة العميقة التى حفرتها سنوات طويلة من المنازعات والحروب .

[علاج يسير يشفي من توتر الأعصاب ، ويعين
على العيشة المطمئنة — إلا أنه علاج مهمل]

اهدأ — وتفكر

الدكتور أوستن فوكس ريجز
مختصرة من كتاب " التعب "

إن العيش على وتيرة واحدة من التوتر الشديد ، ضار بصحة الجسم والعقل معاً ، ومع ذلك يُعيي معظمنا أن يهتدي إلا إلى إحدى طريقتين لقضاء وقت الفراغ الذي نظفر به جميعاً . فإما العمل ، وإما اللعب . وفي الحالتين نشق على أنفسنا ، ويندر أن يخطر لأي واحد منا أن هناك فائدة أخرى نفيسة لتلك الوقفات التي تعرض في الحياة اليومية — أي التفكر .

وماذا عسى أن يظن معظمنا إذا رأينا رجلا جالساً في هدوء في ردهة فندق أو في غرفة الجلوس ببيته — وهو لا يقرأ ، ولا يكتب ، ولا يعمل شيئاً ، ولا يلعب ، بل جالس دون أن يصنع شيئاً على ما يظهر؟ إن أول ما يخطر لنا أنه ينتظر أحداً ، وقد نشعر بشيء من الأسف للسآمة التي لابد أنه يعانيها . ولا يدور بنفوسنا ، على رغم ما يبدو من أنه لا يعمل شيئاً ، أنه يعمل في الواقع شيئاً مهما وممتعاً أيضاً — يدع عقله يسبح ويطوف ، ويتجرد تجرداً تاما عما يحيط به ، وينشر أجنحته متأملا متفكراً .

إن التأمل ينعش ويريح ، ويدخر النشاط لمطالب المستقبل ، ويعين المرء على الاحتفاظ باتزانه ومرونته في صروف الحياة . وكثيراً ما نستطيع بفضله أن نعيد تقدير القيم والمعاني ، فيساعد ذلك نفوسنا على النماء .

ولا يحتاج التفكر إلى أداة خاصة أو وسيلة معينة ، وكل ما في الأمر أن نطلق العنان للعقل وندعه يجوب آمناً ، فيما وراء المقاصد والأغراض ، وما يسمى الأشياء « العملية » في حاضرنا . وهو ليس أكثر من أن نتعمد أن نمنح خواطرنا إجازة ، وأن نجعلها تتغافل عن الحقائق الصغرى في الحياة اليومية ، وبذلك نخلق عامدين نفس الحالة الذهنية التي تغشى المرء حين يستمع إلى موسيقى جميلة ، أو يتأمل غروب الشمس ، أو ينظر إلى الجبال الشاهقة . فهي حالة غبطة خالية من توقع شيء ما ، وتأمل بدون تدبير أو سعي .

ولا حاجة بالإنسان إلى ما يعينه على ذلك سوى مكان مريح يجلس فيه ، ولا قيمة

لما يحيط به ، لأنه متى اكتسب الإنسان العادة فإنه يذهل عما حوله ، على أن للوسط الجميل الهادىء مزيته ، وقد يساعد أحياناً على إيجاد الحالة الذهنية الملائمة .

وقد نصح العالم النفسانى العظيم ، وليم جيمز ، تلاميذه فى الفلسفة أن يكثروا من الاختلاف إلى العبادة . وقال لنا إن اعتياد الذهاب إلى مكان هادىء يوحى بالتفكير والتأمل ، من شأنه أن يعين على صحة النظر واستقامته . وقال إن العبادة تشبه أن يلفى المرء نفسه فى زحام ، فيعمد إلى عتبة باب قريب ويقف عليها ، وينظر من فوق رءوس الناس ، ويشاهد ما يصنع الجمع فى جملته ، وحينئذ يستطيع أن ينزل مرة أخرى إلى الزحام ، ويمضى فى الاتجاه الصحيح . وقد كان يسعه أن يستعمل نفس التشبيه فى الكلام على التفكر ، فإنه يرفعنا إلى ما فوق الاعتبارات التافهة ، فيتسنى لنا أن نميز المهم من غير المهم ، فيتبدى لنا ما يكون فى تجارب الحياة من معانٍ سامية .

ولا يحتاج المرء للشروع فى التفكر إلا إلى دفع العقل فى الطريق القويم ، وهذا التوجيه الأول ينبغى أن يمضى بالعقل صُعُداً وأن يوسع نطاق سَبْحه فى النواحى العامة وغير الشخصية ، لا أن يهبط به

> قد تكون فكرة حسنة ، وإن كانت تبدو خيالية ، أن نخرس صوت كل تليفون ، ونقف كل سيارة ، ونمنع كل حركة مسافة ساعة كل يوم ، لنتيح فرصة للتفكر فى أسرار ما يحيط بنا بضع دقائق ، ولماذا يحيى الناس وماذا يبغون حقاً فى حياتهم .
>
> [جيمز تراسلو أدمز]

ويطويه على نفسه ، ويغريه بما هو خاص وشخصى .

ويملّ العقل التدبير العملى ، ويضجره التفكير المحدود ، فينصرف عن كل هذه الخواطر الضيقة بسهولة مدهشة . وخير وسيلة لاعتياد ذلك هو أن ينفرد المرء فترات قصيرة يحصر ذهنه فى خلالها فى فكرة عامة مجردة ، مثل طبيعة الجمال ، أو معنى الحق ، أو روح الشجاعة ، أو مصير الجنس الإنسانى ، أو صفة الخلود ، أو أى حقيقة من حقائق الدين الأبدية ، أو أن يتناول جملة ملهمة ، ويدع الجملة نفسها أو الفكرة المستمدة منها تدور فى نفسه وتستقرّ ، فربما خطر له تفسير جديد . فقد قيل إن كل عبارة صوفية لها سبعة وسبعون معنى . ومتى وجهت عباب الفكر وجهته ، فامض مع

التيار ، ودعه يحملك إلى حيث يشاء ، وكن متفرجا ليس إلا .

ولن تجد فى أوقات الشدة ، حين يزعجك القلق ، أو تثقل عليك وطأة عاطفة ما ، وسيلةً أجدى من التفكير .حتى تفوز بشىء من السكينة . ولست أعرف وسيلة أجمع منها لاقتصاد الوقت والنشاط والجهد ، وأكفل باستعادة سيطرة العقل . والتفكير، باعتباره طريقــة لقضاء لحظات الفراغ ، ميسور لكل إنسان ، بغض النظر عن السن والتجربة ، وهو جزء مهم من الحياة الرشيدة التى تلهم القلب الرضى والسكينة .

نوادر

من كتاب « مضحكة »
لمؤلفه « بنيت سيرف »

عنى أحد كبار التجار فى المدينــة بمزاولة الزراعة فى ساعات فراغه . فلما انقضت سنتان على ذلك سأله أحد أصدقائه عن حاله ، فقال : « ربحت فى السنة الماضية عشرة آلاف ريال ! » . فقال صديقه دهشاً : « عشرة آلاف ريال ! » فقال التاجر : « نعم والله . فقد خسرت ٢٢ ألف ريال وحسب ، أما فى السنة الأولى فقد خسرت ٣٢ ألف ريال » .

سرى اللغط بين أهل الطبقة الراقية من الإنجليز حين تزوج دوق عريق حسـناء شقراء كانت راقصــة فى ملهى . وازداد اللغط حين عرضت فى أحد معارض الصــور ، صورة كبيرة للدوقة عارية كما ولدتها أمها . فاشــتد غضب الدوق ، فقالت له زوجــته : « لست أدرى ماذا ينهش قلبك . صدّقنى ليس فى الأمر ما يريب ، فقد اعتمد المصور فى تصويرها على ذاكرته ! »

ما تدخره لنفسك تخسره ، وما تجود به لغـيرك تدخره إلى الأبد ، فما جدوى اختزان المـال ، وفى يد الموت مفتاح آخر يفض أغلاق خزائنك ؟
[أكسيل مونتى فى قصة سان ميشيل]

قصة عجيبة : رجل سويدى ولد فى أمريكا وكان رئيس الجستابو يثق به ، ووضع الحلفاء اسمه فى القائمة السوداء

التاجر الذى كان يعامل هملر

إدوين مولر

فى مستهل الحرب وضع الحلفاء فى القائمة السوداء اسم المستر إريك إريكسون من سكان استكهلم، متهماً بالتجارة مع الأعداء وشد أزر ألمانيا فى مجهودها الحربى ، وجاء فى تقارير قلم المخابرات السرية للحلفاء أن إريكسون يتاجر فى النفط الألمانى ، وأنه لا يكف عن زيارة ألمانيا ، وأن بينه وبين كبار رجال الجستابو مودّة وصداقة .

ولما ذاع ذلك الأمر كان صاعقة نزلت بأسرة إريكسون، فأخذ أصدقاؤه القدماء ، وكانوا جميعاً من غُلاة أنصار الحلفاء ، يتجنبونه ويتحاشون لقاءه حتى هجروا زوجته. كان إريكسون من رعايا السويد ، وإن كان قد ولد ونشأ فى بروكلين بأمريكا وتخرج فى جامعة كورنل ، فأخذت تنهال عليه من أسرته بالولايات المتحدة رسائل اللوم والتأنيب ، ولكنه لم يقلع عن غيّه .

وكان إريكسون من طراز التجار الذين يحسنون التودد إلى الناس واكتساب صداقتهم ، فينال عندهم حظوة تنفعه فى تجارته . وقد أقبل على تجارة النفط لأنها مثيرة حافزة ، تتيح له أن يرحل ويلتقى عظماء الناس . وقد قضى سنوات فى الشرق ثم فى أوربا ، يتولى عملا لشركة ستاندارد ثم لشركة تكساس .

وكانت جماعة تجارة النفط فيما بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٩ زُمْرة مختلطة الأجناس . كنت ترى الرجل منهم فى شنغهاى وفى العام التالى تراه فى لندن أو طهران ، وقد تأتى سنة فتنافسه منافسة لا هوادة فيها ، وفى السنة التالية تقفان معاً جنباً إلى جنب للدفاع عن مصلحة مشتركة . وهذا الخليط من الأمريكيين والإنجليز والهولنديين والألمان ، يعيشون فى جو من المقامرات والمغامرات والصفقات الجريئة ، غير مبالين بسوى مصالحهم لا مصالح دولهم التى ينتمون إليها . وقد صار إريكسون مديراً لشركة تكساس فى السويد ، ثم أصبح من رعايا السويد ، وأنشأ شركة باسمه لتوريد النفط الأمريكى وبيعه .

فما نشبت الحرب حتى رأى الفرصة سانحة للتجارة مع النازيين ، وكان عند ألمانيا يومئذ نفط للتصدير ، وكان من السخف أن نفرض أن الحلفاء سيكون فى وسعهم يوماً ما أن يؤثروا في إنتاج النفط تأثيراً كبيراً بإلقاء القنابل ، فأخذ إريكسون يتودد إلى رجال الأعمال الألمان ، وانضم إلى غرفة التجارة الألمانية فى استكهلم ، ونأى بجانبه عن معظم أصدقائه القدماء ، ولكنه ظل على مودته للبرنس كارل برنادوت ابن أخى ملك السويد ، وكان الأمير أيضاً يتودد إلى النازيين حتى أثار سخط معظم أهل السويد . (والأمير برنادوت هو الذى اشتهر فى أواخر أبريل وأوائل مايو ١٩٤٥ بمفاوضته مع هملر لعقد هدنة مع القوات الحليفة فى الغرب) .

وعلم إريكسون أن هملر رئيس الجستابو هو الذى سيتولى الفصل فى صفقات تجارة النفط ، فطفق إريكسون يحوك حبائله حول الهرفنك أكبر ممثلى هملر فى السويد وأحد النازيين المتعصبين . وكان موطن الضعف فى فنك فرط إجلاله لسلالات الملوك ، فشرع الأمير كارل يعقد بينهما أواصر المودة ، وتولى إريكسون توثيقها ، وسرعان ما أصبح الهرفنك ينزل عليه فى داره ضيفاً مكرما .

وخاب مسعاه عند آخرين ، ولا سيما الهر لودفج الملحق التجارى فى المفوضية الألمانية ، فهو لم يحب إريكسون قط ، غير أن إريكسون ظفر بإذن يبيح له زيارة ألمانيا فى ربيع ١٩٤١ ، وبرسائل توصية من فنك وغيره ، على رغم لودفج وازوراره عنه.

وفى مطار برومّا خارج استكهلم ، حبست الطائرة عن الذهاب إلى برلين ، واستدعى البوليس السويدى إريكسون ، وفتشه هو وحقائبه تفتيشاً دقيقاً فيه بعض الجفاء ، فلم يجد معه شيئاً يستوجب التهمة ، فأذن له أن يواصل سفره .

فلما بلغ برلين جاءت فى صباح اليوم التالى سيارة وحملته إلى مقر رئاسة الجستابو حيث لقى رجلين كانا معه فى الطائرة ، وكانا من عيون الجستابو ، فشهدا بأن الحادثة التى وقعت فى مطار بروما كانت من عمل ممثلى الحلفاء .

اتصل إريكسون برجال النفط الألمانيين وبخاصة فى همبرج ، وزار هناك مصانع التقطير وحادث مديريها ، وبحث شروط الاتفاقات التى يريدها ، وأخذ يبحث عمن كان يعرفهم من تجار النفط ، فوجد فى بادىء الأمر الضابط فون ونش وهو من طبقة الأشراف الألمان الذين تلقوا جانباً من تعليمهم فى إنجلترا ، وكان حيناً ما يعمل

فى شركة شل للنفط . كان إريكسون يؤمل أن تظل معاملاته سراً ، فكان حديثه مع ونش سراراً مكتّماً . وفى أحد الأيام أعطى إريكسون صاحبه فون ونش وثيقة فوضعها ونش فى علبة من الصفيح ودفنها فى فناء داره . وقد اتصل أيضاً بالهر فون ستوركر أحد ممولى الزيت ، وهو من أسرة قديمة فى همبرج ، وأخذ الهر ستوركر أيضاً وثيقة أخرى كمثل وثيقة فون ونش ، وحرص إريكسون على أن لا يراه أحد الرجلين مع الآخر .

ولم يلبث إريكسون أن عاد إلى السويد ، وبدأت تأتيه الرسالات الأولى من النفط الألمانى . ويومئذ سجل الحلفاء اسمه فى القائمة السوداء ، وقاطعه أصدقاؤه القدماء مقاطعة تامة ، وكان بعضهم إذا رآه داخلا أحد المطاعم يهب قائماً ويفارق له المطعم . ولقيت زوجته السويدية الأمرّين ، وكانت لاتزال عدواً للنازية ، ولكن كان عليها أن تحتفى بأصدقاء زوجها الجدد .

فى الأشهر التى تلت ذلك زار إريكسون ألمانيا ، وظل ينمى صداقته للذين عرفهم من الجستابو ، فكان يدعى إلى منازلهم فيحمل إلى زوجاتهم الزبدة والثياب المصنوعة من الجلد وغيرها من الهدايا السويدية .

واستمر يعامل رجالا آخرين أمثال فون ونش وفون ستوركر ، وإن كان الحصول على النفط قد ازداد مشقة من جراء تفاقم غارات الحلفاء . واتفق مرة بعد زيارته لمعمل تقطير كبير ، أن دعاه المدير لطعام العشاء ، فتردد ولكنه لم يجد مناصاً من قبول الدعوة . وأعد الطعام فى مكتب المدير ولم تتفرق الجماعة إلا قرب منتصف الليل ، وما انتصف الليل حتى جاءت قاذفات قنابل الحلفاء ، وأصبح المصنع أثراً بعد عين ، ويومئذ كاد الحلفاء أن يقضوا على تجارته مع الألمان .

وكان هجوم الحلفاء على النفط الألمانى قد أخذ يتعاظم خطره ويتفاقم أثره ، ومع ذلك ظل جانب عظيم من هذه الصناعة قائماً حتى النصف الأخير من سنة ١٩٤٤ . وكان إصلاح ما يفسده الحلفاء يتم فى زمن أسرع مما قدر الحلفاء ، وفضلا عن ذلك فإن عدداً كبيراً من المعامل الألمانية كان قد أحكم إخفاؤه بحيث ظل سليما لم يمسه سوء .

وفى خريف ١٩٤٤ كان هم الحلفاء مصروفا إلى معركة الرين الجوية وهى فى أعنف مراحلها ، وكان لا بد لإريكسون من أن يعمل فى سرعة إذا كان يريد مقادير من النفط أكبر ، وكان يود منذ زمن أن يقوم برحلة شاملة لزور معامل النفط

الألمانية ، فكان هذا أوان الزيارة . وأدرك أن هــذا الموقف من المواقف التي تقتضى التاجر أن يتصل بالرجل الذى فى يده مقاليد الأمور — ألا وهو هنريك هملر .

ووضع إريسكون خطة لصفقة كبيرة من الضرب الذى يحبه التجار المغامرون ، فاقترح أن ينشىء معملا ضخما لتقطير النفط الصــناعى فى السويد تبلغ نفقات إنشائه ٥٠٠٠٠٠٠٠ ريال ، وأن يقام هذا المعمل بأموال سويدية وألمـانية .

وكان هــذا الاقتراح خليقاً أن يرضى الألمـان لسببين : الأول أنه يكفل للألمـان مورد نفط فى بلاد محايدة بعيدة عن منال قاذفات الحلفاء . والثانى أنه يتيح للألمـان طريقاً لكى يستثمروا أموالهم فى بلاد محايدة إذا حاقت الهزيمة بألمـانيا .

وأعد إريكسون مشروعا وحمله إلى فنك الذى سرّ به ، وأظهر أقطاب النازيين فى ألمـانيا اهتماما عظيما بالمشروع ، ولم يكن هناك من يعارضه سوى الهر لودفج ، فقد زعم أن إريكسون رجل محتــال ، وكان لودفج من رجال وزارة الخارجية وأحد شيعة ريبنتروب ، وكلما تطاولت الحرب اشتد التصادم بين هذا الحزب و بين الجستابو ، أى ازداد التصادم بينه و بين هملر ، وكانت الغلبة لهملر فى أكثر الأحيان . وكذلك كان يومئذ ، فقد غُلب لودفج على أمره وكان إريكسون قد نال رضى الجستابو فمهدوا له طريقاً إلى هملر .

وجاء أكتوبر ١٩٤٤ واستقل إريكسون الطائرة من مطار بروما واجتاز مياه البلطيق وسهول ألمانيا الشمالية إلى مطار تمبلهوف ، وحجز له مكان فى أفخم فنادق برلين التى لم تدمرها قاذفات الحلفــاء . وفى الصباح جاءته سـيارة سوداء كبيرة وفيها نفر من حرس الجستابو .

وفى مقرقيادة هملر تلقاه رئيس الجستابو بالترحيب وقال له : « لقد سمعت أنباء عظيمة عنك من الهرفنك » ، وتحدثا عن مشروع معمل التقطير ، وعن حاجة إريكسون إلى أن يرى بادئ ذى بدء عمل المعامل الألمانية ، ثم أخذا يبحثان أموراً أخرى .

وسأله هملر فجأة : « ماذا يحدث إذا غزت الجيوش الألمـانية السويد ؟ »

فأجابه إريكسون : « يومئذ يقاتلهم أهل السويد قتالا مرًّا » .

وقد رأى أن الطريق إلى التأثير فى هملر لا يكون بالخنوع والمسايرة ، وكان على حق ، فكانت عاقبة هــذه المقابلة أن نال إذناً لا مثيل له يبيح له أن يذهب حيث يشاء ويرى كل شىء فى معامل النفط ، وأعطى سيارة وقدراً عظيما من البنزين .

وتنقل إريكسون فى أوربا الوسطى من كولونيا إلى براغ ، وزار معامل لوينا وأننددورف وهال — أى جميع المصانع الكبيرة ، وحادث المديرين وعرف ما يصنعون وما ينوون أن يصنعوا ، وفعل ما يفعل التاجر حين يلج سوقاً جديدة ، فألمّ بأطرافها ونواحيها . وخرج بما عرف وعلم إلى بلاده السويد .

فلما وضعت الحرب أوزارها أقامت السفارة الأمريكية فى استكهلم حفلة غداء كبيرة لإريكسون ، دعى إليها جميع أصدقائه القدماء ، فتم الصلح بينه وبينهم .

ذكر إريكسون يومئذ كيف زاره فى أول الحرب أحد ممثلى قلم المخابرات السرية للحلفاء ، وكيف رضى أن يكون جاسوساً وأبى أن ينال على عمله أجراً ، وكيف أوحى إليهم أن يضعوا اسمه فى القائمة السوداء ، وكيف كان زميله الأمير كارل برنادوت أيضاً فى خدمة الحلفاء ، وكيف حولت رسالة النفط التى أرسلت من ألمانيا على شركة فاكوم وشركة النفط البريطانية فكانت عوناً على قتال الألمان ، وكيف كان عليه أن يعطى فون ونش وفون ستوركروغيره ممن اتصل بهم رسائل عليها توقيعه ، وفيها اعتراف بما يؤدّون سراً من معونة للحلفاء لكى يقدموها بعد انتصارهم ، وكيف كانت كل ورقة من هذه الأوراق سيفاً مصلتاً على عنقه ، فما يكاد يغمض له جفن يوم يكون فى ألمانيا ، فهو يقضى الليالى الطوال يترقب أن يسمع قرعاً على بابه معناه الجستابو والموت.

وقد أثمرت تلك الأنباء التى نقلها هو وغيره ممن شارك فى هذا العمل المحفوف بالخطر . ففى الأشهر التى سبقت معركة الرين بلغ الهجوم على النفط الألمانى ذروته ،وكان الطيارون من الحلفاء يعرفون بدقة مواقع تكرير النفط كبيرها وصغيرها ، فما يكاد يتم بناء مصنع جديد حتى يكون لديهم موقعه على الخريطة ، ويكون فى وسعهم أن يطيروا إليه مباشرة مهما أتقن إخفاؤه وتنكيره . وكانوا يعرفون مدارج الطائرات المقاتلة ، ومواقع المدافع المصادة للطائرات، والمنشآت التى نطاق الدخان لإخفاء المصانع .وكانوا إذا دكوا معملا من معامل التقطير علموا أيضاً كم يستغرق ترميمه، فما يكاد يأتى يوم يواصل المعمل عمله ، حتى يعودوا إليه بطائراتهم .

وخفض النفط الذى يتطلبه الجيش وسلاح الطيران الألمانى إلى أقل قدر ، فلما بدأ هجوم الحلفاء الأخير ، كنت ترى دبابات ألمانية كثيرة واقفة فى ساحات الحرب عاجزة ، وترى طائرات ألمانية كثيرة جاثمة فى الأرض ، وكلها خالية من البنزين .

وقد وفى الحلفاء لفون ونش وفون ستوركر وغـيرهما بمـا وعدهم إريكسون . أما الهر لودفج فهواليوم فى الأسر ، وقد اتسع وقته حتى يفكر فى صدق حكمه على إريكسون . وقد ألقى القبض على الهر فنك فى الدانمرك بعد أشهر قضاها متنكراً يحمل اسماً مزيفاً .

وقد عاد إريكسون مسروراً جذلا إلى غرامه القديم وهو شؤون النفط ، يتنقل مع المشتغلين بتجارته بين طهران ولندن — عاد إلى نشوة العمل الضخم ، إلى المغامرة الحقة.

نهايات غريبة

ازدحمت السيارات عند مخارج الملعب على إثر مباراة فى الكرة ، وتلاحقت خطاً واحداً يسير سيراً بطيئاً ، وقرب نهاية الخط ، كانت سـيارة ليس فيها سوى صاحبها ، فهرعت إليه حسناء شقراء ، وسألته : أذاهب أنت إلى المدينة ؟ فأجابها ملهوفاً : « نعم . نعم » وفتح بابهـا . وعندئذ التفتت ونادت الجنود الخمسة الواقفين على مقربة منها ، وقالت : « أرأيتم ، ألم أقل لكم أننى أستطيع أن أدبر أمر عودتكم بسيارة ؟ هيّـا ادخلوها شاكرين » . ثم انصرفت عن صاحب السيارة المغيظ ، وعدت نحو صاحبها الذى ينتظرها . [ييجى شاكلفورد]

رأيت ذات صـباح ، طفلين يسيران فى الشارع ، وكانت البنت فى نحو الثـامنة ، تترفق فى إرشاد أخيها الصغير وكان الولد قد أغمض عينيه ، فسألهما أحد المارة : ما أمره ؟ أأصاب عينيه أذى ؟ فردت غير آبهة : لا . لا ! إننا نفعل هذا كل يوم سبت حين يكون ضياء الشمس باهراً . فيغمض عينيه وأنا أقوده إلى دار السنما ، فلا يفتحهما إلا متى دخلناها ، وحينئذ يسهل عليه أن يلتمس لنا مقعدين فى ظلام الدار . [مسز دونالد جنتر]

إهداء

أهدى أحد مديرى شركة ر . ك . و . كتابه الأول : « إلى زوجتى التى لولا غيابها عن البيت لما أنجزت هذا الكتاب » . [صحيفة « سان فرنسسكو كرونيكيا »]

[قبل أن تحاول أنت معالجة ما يصيبك من صداع ينبغى أن تعلم أولا . . .]

ما هو الصداع ؟

روبرت هـ . فيلدت

مختصرة من مجلة " ذى أميريكان ميركيورى "

كثرت شكوى الناس من الصداع حتى صارت آفة غالبة على عشر من يدخل عيادات الأطباء . وما دام للصداع أكثر من ثلاثين سبباً ، فإن إصابة الطبيب فى تشخيص سببه ذات شأن عظيم . وقد يمضى المصدوع يجرب هذه الحبة أو ذلك المسحوق ، على حين تمضى العلة الكامنة وراء الصداع تستشرى حتى تبلغ مبلغاً يستعصى على العلاج . ثم إن الجرع الكبيرة من الأدوية التى تستعمل لعلاج الصداع قد تورث هى نفسها صداعاً .

وإذا استثنينا الصداع الناشىء عن أسباب محصورة كإجهاد العين ، والتهاب كهوف عظم الرأس ، فإن أكثر حالات الصداع يمكن تقسيمها إلى قسمين جوهريين : قسم ينشأ من باطن الدماغ ، وقسم ينشأ من خارج الدماغ . فالصداع الناشىء من باطن الدماغ يكون عادة غائراً فى الرأس ، مصحوباً بضربان ، ومن هذا النوع صداع الشقيقة (صداع ينتاب شِق الرأس والوجه) ، وضروب الصداع الناجمة عن ارتفاع ضغط الدم ، أو الحمى أو أورام المخ أو الزهرى أو السل أو الملاريا أو التسمم الناشىء من الحمل أو من إدمان الخمور .

أما الصداع الناشىء من خارج الدماغ ، فيكون الشعور به أقرب إلى السطح ، فيحس المصاب بضغط كضغط الكلابة ، وألم لابث مديد ، ويرده الأطباء إلى أسباب نفسانية أو عصبية ، لأن هياج العواطف يذكيه . ومن أبرز أسبابه الغضب والخوف والهم ، وخيبة الأمل واضطراب النفس والشعور بالخطر المهدد أو بالعجز عن نيل الأوطار ، أو بالندم على الآثام .

وتورث الشقيقة — وهى صداع سببه فى باطن الدماغ — احتقاناً مؤقتاً فى شرايين باطن الجمجمة ، يؤدى إلى صداع متردد مصحوب بغثيان . ويستطيع المصاب عادة أن يتنبأ بموعد النوبة ، بما يسبقها من نذير يراه كأنه شرارة من ضوء تومض وتمض

---

* الكاتب دكتور فى الطب وعضو عيادة أمراض القلب بمستشفى الأطفال فى مياواكى ومدرس بمدرسة الطب فى جامعة ويسكونسن

البرق، ويضيق معه مسرح البصر بالتدريج.

وبعد هـذا النذير بنحو عشرين دقيقة يبـدأ الصداع ضرباته العنيف ، وأكثر ما يكون في شق واحد من الرأس — ومن أجل ذلك سمى الشقيقة . والغثيان يضاعف كرب المصاب . وفي الإصابة الشديدة تهيج الضوضاء التافهة والنور الساطع في المصاب نوبات من الألم الفظيع . وقد يستمر هذا الصداع ٢٤ ساعة إذا ترك بغير علاج .

وأكثر الذين يعانون الشقيقة ذوو طراز خاص من الأخلاق ، فهم عادة طلاب كمال ، شديدو الحساسـية مستوفزو الأعصاب ، وكثيراً ما يكونون من أهل الفنون ، ويغلب أن تنتابهم النوبة بعقب عاصفة تعصف بعواطفهم .

فإذا ما استبد اليأس بصريع الشقيقة ، أخذ يتنقل من دواء مجهز إلى آخر دون جدوى ، وهو لا يعلم أن ثمة علاجا ناجعاً للشقيقة قد أصبح الآن في متناول الناس . فعقار « طرطيرات الأرجوتامين » يشفي ٨٠ إلى ٩٠ في المئة من نوبات الشقيقة ، إذا حقن به في مستهلها . ولكن ينبغي أن لا يستعمل هذا العقار إلا تحت إشراف طبي دقيق ، إذ قد يفضي استعماله إلى أضرار . ويتردد الأطبـاء في استعماله إذا زاد معدل حدوث نوبات الشقيقة على مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع . وقد اكتشف الدكتور والترس . ألفارز من أطباء مؤسسة مايو ، طريقة لعلاج الشقيقة أقل خطراً من هذا ، وإن كانت أعسر منه في التطبيق . فقد وجد أن استنشاق غاز الأكسجين النقي من كمامة خاصة يشفي من النوبة .

وقد تكون الشقيقة حالة استهداف في بعض الأحيان (الاستهداف أن يشتد فيه تأثر المصاب بطعام معين أو مادة معينة) . ومما اتفق لرجل من رجال الأعمال أنه كان يلقى أذى من الشقيقة كلما نزل بشاطىء البحر ، وقد ثبت من الاختبـار أنه كان مرهف الحساسية بالأطعمة المستخرجة من البحر . ومع أن سائر حالات الاستهداف يصعب تشخيصها عادة ، فإن سببها لا يلبث أن يكتشف ، فتصبح الوقاية التامة من الشقيقة ممكنة ، وذلك بتجنب الطعام المؤذى .

وقد وقعوا على نوع جديد من الشقيقة فعُد منذ سنة ١٩٣٩ مرضاً قائماً بذاته ، وكان الدكتور بايارد هـ . هورتون ، من أطباء مؤسسة مايو ، أول من وصفه واكتشف له علاجا ناجعاً في ٩٥ في المئة مما يصابون به .

وهذا المرض الجـديد ينشأ من الزيادة العارضة في إفراز مادة الهستامين ، وهى إحدى المواد التي تدخل في تركيب الجسم ،

فإذا زخر الدم بالهستامين تمددت الشرايين فى أحد شق الرأس . وقد يجد المرضى أنفسهم أنهم يستطيعون تفريج كربهم بالضغط على شريان العنق فى الجانب المصاب ، وبهذه الوسيلة يعوقون جريان الدم ، فيقللون من احتقان شرايين الدماغ .

وثمة جندى كان يقاسى العذاب من اختلاف صداع الهستامين عليه عدة مرات فى الأسبوع طوال أربع سنوات ، قبل أن يتم تشخيص حالته تشخيصاً صحيحاً ، وكانت النوبة تبدأ فى الليل ألماً مبرحاً لاذعا فى شق الرأس الأيمن ، فإذا كان راقداً نهض بغتة من رقاده فجلس ، لأن الاضطجاع يجعل الألم لا يطاق . ثم لا يمضى سوى بضع دقائق حتى يحتقن منخره الأيمن وعينه اليمنى ، ويسرى فيهما الوجع . ثم يختفى الألم بغتة كما بدأ ، بعد ساعتين .

وقد حقنه أطباء مستشفى والتر ريد ، على سبيل الاختبار ، بحقنة من الهستامين المحضر ، فلم تنقض بضع ثوان حتى أعقبت الحقنة صداع يشبه تمام الشبه ذلك الصداع الذى ما فتىء يعانيه هذا الزمن الطويل

وعولج الجندى المصاب بطريقة الدكتور هورتون وهى طريقة تبلد الحساسة ، فكان يحقن بمقادير ضئيلة من الهستامين مرتين فى اليوم مدة ستة أسابيع ، وكانت الجرع تزاد تدريجاً ، دون أن تصل البتة إلى الحد الذى يحدث الصداع ، فانتهى إلى مناعة على أذى الهستامين وبرىء من الصداع .

ويعانى جميع المصابين بضغط الدم عادية الصداع عاجلا أو آجلا ، ولكن هذا الصداع لا يرتبط ضربة لازبٍ بما يطرأ على ارتفاع ضغط الدم من اختلاف ، فإن كثيراً من هذا الصداع منشؤه إما توتر الأعصاب المزمن وإما الكلال المزمن ، وما يعقبهما من تمدد أوعية الدم فى المخ .

وقد ضرب الدكتور إدوارد وايس ، من كلية الطب بجامعة تمبل فى آخر اجتماع للجمعية الطبية الأمريكية ، مثلا لهذا : امرأة كانت بين طائفة من المرضى عددهم نحو مئة جاءوا لتُبحث حالاتهم النفسانية . وكانت هذه المرأة تعانى صداعا فى الجبهة منذ سنوات ، وكان ضغط دمها مرتفعاً (٢٠٠ / ١٢٠) ، وكانت متورطة فى نزاع بين أسرتها ترى أن لا سبيل إلى الخلاص منه . فلما انطلقت عواطفها من أغلالها برواية قصة هذا النزاع للدكتور وايس ، تحسنت حالتها تحسناً ظاهراً ، واختفى الصداع فى زمن قصير ، مع أن ضغط الدم ظل فى مستواه القديم .

وأكثر الناس عرضة للصداع النفسانى هم أهل الورَع من رجال الأعمال وأصحاب

المهن ، وأكثر ما يصيبهم الصداع فى أواخر الأيام التى ينهكهم فيها التعب . وإلى هـذا الصداع العصبى ينتمى عدد كبير من جميع حالات الصداع ، لعله هو سوادها الأعظم .

ويعلل الدكتور هارولد ج . وولف ، من كلية الطب فى جامعة كورنل ، هذا الصداع النفسانى بالانقباض الدائم فى عضلات جلدة الرأس والعنق ، وهذا الانقباض ينشأ من هياج العواطف . ويصفه المصابون به بأنه ألم خفى لاذع ، يمتاز بأنه لابث مديد أو ضاغط . ومع ما يحدثه هـذا الصداع العصبى من ضيق ، فمن النادر أن يقتضى ترك العمل ، وقلما يؤرّق صاحبـه ، وكثيراً ما يزول بالأسبرين أو بغفوة قصيرة .

ويعتقد الأطباء أن بعض المرضى بهذا الصداع أقرب إلى البرء بالإيحاء من برئهم بالعقاقير ، إذ أن طول إصغائهم يوما بعد يوم وعاما بعد عام إلى تلك القصص الباهرة التى يرويها المعلنون عن نوع من أنواع الحبوب الشافية من الصداع ، يجعل المرضى يعلقون عليها آمالاً كباراً ، ومهما يبلغ العقار بعد ذلك من ضعف الأثر ، فللإيحاء قدرة عظيمة على الشفاء .

وممن يتعرضون كذلك لمثل هـذا الاستغلال التجارى ، أولئك المصابون بالصداع الناشىء من الإمساك . فقد ثبت من التجارب العلمية منذ عهد طويل ، أن نظرية التسمم الباطن والصداع الناشئين من كسل الأمعاء ، نظرية فاسدة . ولكن تجار المسهلات وغسول الأمعاء مازالوا يربحون من تجارتها أرباحا عظيمة ، ولا يبالون بما ينشأ عن هذا العلاج من تعويق عمل الأمعاء الطبيعية .

إن دقة التشخيص هى قطب الرحى فى علاج الصداع . فإذا كان الصداع صداع الشقيقة أو صداع الهستامين أو التهاب كهوف العظم أو إجهاد العيون ، وأمثالهـا من الأمراض التى لهـا علاج ناجع ، فإن كثيراً من الآلام التى لا داعى لهـا يمكن تفاديه .

والمصابون بالصداع الذين ظلوا أعواما يعالجون أنفسهم بأنفسهم بأدوية لا تجدى فتيلا ، يصيبون برءاً غـير متوقع ، إذا ما استعمل العلاج الملائم للداء الكامن .

ومن العسير أن تبالغ فى وصف الأضرار الناشئة من أدوية الصداع المجهزة ، ولكن الإحصاءات التى يوثق بها تدل على أن نحو ٢٠٠ دواء من هذه الأدوية تحتوى أملاح البرومين (البرومورات) ، وقد يعقب استعمال مثل هـذه الأدوية دون إشراف الطبيب ، تسمما مزمناً بالبرومور مصحوباً بلوثة أو هذيان .

وكثير من حبوب الصداع فيـه مادة

« الأسيتوفينيتدين » المعروفة بالفيناستين، وقد يؤدى تعاطى هذا العقار زمنا طويلا إلى اضطراب شديد فى الدم ، يتغير فيه التركيب الكيميائى لمادة الدم الحمراء .

وقد أدرجت إدارة مراقبة الطعام والأدوية فى الولايات المتحدة مادة الفيناستين فى كشف المواد الخطرة التى لا يمكن ابتياعها إلا بوصفة من طبيب ، إذا زاد ما يؤخذ منها طول النهار على جرام واحد . وتعلن هذه الإدارة أيضاً أن المقادير الصغيرة نفسها قد تؤذى إذا أخذت بغير احتياط .

وثمة كثير من أدوية الصداع يرجع خطره إلى ما قد ينشأ عنه من إدمان المخدرات . ومن أكثر هذه الأدوية شيوعا عقار « الأسيتانيلايد » ، وهو العنصر الأول فى عدد لا يحصى من الأدوية .

والصداع عرَض من أعراض التسمم المزمن بالأسيتانيلايد ، ومن أمثلة ذلك ما حدث لسيدة كانت تستعمل هذا العقار لعلاج الصداع ، وكان يريحها فى أول الأمر ، فلما أخذ جسمها يتشبع بالأسيتانيلايد بدأ العقار يحدث صداعه ، وكذلك أصبحت فريسة لما يتعاقب عليها من صداع تعالجه بعقار وعقار يحدث صداعا . وقد اقتضى شفاؤها من صداع الأسيتانيلايد أن تبقى فى المستشفى زمنا .

وقد وجد منذ عشرة أعوام أن الأمينوبيرين (وهو دواء آخر من أدوية الصداع يباع فى السوق تحت أسماء تجارية كثيرة) قد يؤدى إلى نقص خطير قاتل أحياناً ، فى عدد كرات الدم البيض . وقد أدت يقظة الأطباء والجمهور إلى سحب الأمينوبيرين كله تقريباً من السوق . وقد كان ينبغى منذ زمن طويل أن ينتبهوا إلى أمثاله من العقاقير الضارة .

إن أنواع الصداع التى جاء ذكرها فى هذا المقال هى أكثر أنواعه شيوعا ، وفى طليعتها تلك الأنواع الناشئة من أسباب نفسانية والتى تدوم أعواما دون أن يلحق بنشاط المصاب أو عافيته أذى كبير . وعلى نقيض ذلك كل صداع طارىء ، إذ ينبغى أن يمحص عن أسبابه فى الحال ، فقد يكون نذيراً بمرض خطير . وأيًّا ما كان سبب الصداع ، فمن الحكمة تجنب استعمال أدوية الصداع المجهزة ، فالدواء ربما انقلب فصار شرًّا على المريض من الداء .

النسمة التى تطفىء الشمعة هى نفسها النسمة التى تذكى النار ، وكذلك الفراق يقتل الحبَّ التافه ويحيى الحب العظيم . [لاروشفوكول]

شيء جديد في التعليم الريفي

ساعة للآباء والأمهات في مدارس الريف

آرثر بارتلت • مختصرة من مجلة "كنتري جنتلمان"

خرج الصغار زرافات من بناء المدرسة الكبير، واحتشدوا في السيارات، فقد انتهى يوم الدراسة. ولكن كان ثمة في بناء آخر في فناء المدرسة، ٢٥ زوجة أو ٣٠ من زوجات المزارعين يتلقين درساً في أحد الفصول، وكان مدرس الزراعة يعدّ ورشة الأدوات الزراعية لجماعة من المزارعين يتلقون دروسهم ليلا.

أيذهب الكبار من رجال ونساء إلى المدارس؟

نعم هو ذلك، بيد أنك ترى النساء هناك يعبئن الفاصوليا وعصير التفاح وعصير الطماطم في العلب. وفي المساء ترى الرجال يتدربون على تركيب الأدوات الزراعية وإصلاحها. وهذا المعمل الحديث لتعبئة المأكولات المحفوظة وورشة الأدوات الزراعية المجهزة تجهيزاً كاملا، يقدمان لهم خير الوسائل التي تنفع في هذه الأعمال التي لا غنى للمزارع عنها.

تقوم هذه المدرسة في أبوماتوكس بولاية فرجينيا، وهي مركز منطقة زراعية تكثر فيها زراعة الطباق وسائر المحاصيل، ويتبعون الطريقة نفسها في آلاف من المناطق الزراعية الأخرى. ويسمى رجال التعليم هذا الضرب: تعليم الكبار، ولا شك في أنه كذلك. ويتولى الإشراف على معامل تعبئة المأكولات المحفوظة وورش الأدوات الزراعية متخصصون، فإذا جاءهم مزارع وزوجته ألحقوهما بفصول التعليم. وكان كل الكبار الذين رأيتهم في الورش ومعامل التعبئة أثناء تجوالي بين هذه المدارس، يؤدون أعمالا يهمهم أن يقوموا بها.

وقد كانت هذه الحركة مشروعا يراد به تعليم الكبار، وبدأت سنة ١٩٤٠، يوم أرصد الكونجرس أموالا لوزارة المعارف في الولايات المتحدة لتدريب الكبار في بلاد الريف، بغية العمل في مصانع الحرب ومعاملها. على أن هذا البرنامج قد لحقه التغيير نظراً لما عانته المزارع من نقص في الرجال وفي الآلات الزراعية، حتى يتيسر للزراع أن يصونوا ما لديهم من الأدوات الزراعية فلا يلحقها تلف.

ولكل المدارس الثانوية التي تتضمن

ماهجها دراسات زراعيـة عملية ، وورش للأدوات الزراعية . وقد أنشئت مراكز لتدريب فى الجهات التى لم يكن فى مدارسها ورش . وقد صرفت الحكومة ما يقرب من ١٠ ملايين ريال لشراء أدوات زراعية أخرى . . وقد ساعدت الأموال المخصصة للحرب على تجهيز كثير من معامل تعبئة المأكولات المحفوظة ، حين ألحق بها قسم لدراسة حفظ المأكولات .

والآن وقد وضعت الحرب أوزارها ، فقد نضب ذلك المعين من الأموال ، بيد أن الزراع وزوجاتهم لا يفتأون يستخدمون هذه الورش والمعامل بانتظام . ويؤيد القائمون على مدارس الحكومة والمدارس المحلية ، حركة التعليم فى الريف . ويتولى الزراع أنفسهم فى بعض الجهات الدعوة إلى هذه الحركة وتزويدها بالمال ، حتى تظل هذه الورش والمعامل قائمة تعمل .

وقامت جماعة مكونة من مئة زارع بولاية تكساس ، فجمعوا عشرة ريالات من كل منهم لإنشاء صندوق لضمان إدارة الورش ، ووضعوا قواعد تستطيع بها الورشة أن تسدد نفقاتها . ويتألف مجلس الإدارة ، من ثلاثة من المشرفين على التعليم وثلاثة من المزارعين ، وقد عين مدرساً أجره عشرة ريالات فى اليوم ، وحدّد فئات الأجور للانتفاع بالورشة ، فجعلها للمساهمين فى الصندوق ٦ قروش فى الساعة يضاف إليها ثمن المواد الخام ، وجعلها لغير المساهمين ١٢ قرشاً فى الساعة يضاف إليها ثمن المواد الخام .

وتجمع الأموال اللازمة فى ڤرجينيا من الاعتمادات العامة الحكومية والمحلية . وقد زاد عـدد معامل التعبئة فى المدارس فى سنة ١٩٤٥ من ٢٢ إلى ١٥١ ، وزاد عدد الورش المفتوحة فى المدارس للكبار من ١٩٤ ورشة إلى أكثر من مئتى ورشة .

ولعل ما شهدته فى أپوماتوكس يمثل ما يحدث فى غيرها ، فقد وقفت فى الورشة الكبيرة مع مدرس الزراعة أنظر إلى قسم مخصص لآلات صناعة الخشب ، وما فيه من مخارط ومثاقب وآلات الصقل ، فقال لى الأستاذ : « كانت هذه ورشتنا منذ بضع سنين ، ولكنها صارت الآن ضعف ما كانت عليه . لقد وسعناها مرة بيد أنهـا ظلت تضيق بالوافدين ، فوسعناها مرة أخرى » وفى الورشة الآن علاوة على آلات صناعة الخشب ، مخرطة معادن كبيرة ، وفرن ، وأجهزة للحام المعادن بالكهرباء أو شعلة الأسيتلين ، وغيرها من الآلات .

ولما دخلت فصل الكبار فى مدينـة رستبرج بفرجينيا رأيتهم ماضين فى العمل .

كان الزراع يقومون بكل أنواع الأعمال : من شحذ الفؤوس إلى إصلاح آلة رش الجير . وكان عندهم سوى مدرس الزراعة ، رجل ميكانيكى يدربهم عند الحاجة ، ورأيته ساعتئذ يعاونهم فى إصلاح رشاشة الجير .

وقد قال لى مدرس الزراعة : « إن أكثر من ٨٠ زارعا ينتفعون بهذه الورشة ، وقد جاءوا فى السنة الماضية بمئتى آلة زراعية مختلفة ليصلحوها ، فأصلح بعضها إصلاحاً تاما ، ولم يتطلب البعض سوى إصلاح قليل » . ويصنع الزراع فى الورشة صناديق العربات والمعالف وما إلى ذلك .

ولعل الجانب الاجتماعى من هذا النشاط هو مما يغرى الناس بالإقبال عليه ، فهم يقضون وقتاً سعيداً ، يتمازحون ويبحثون معا ما يعترض كلا منهم من المسائل ، ويساعدون جيرانهم فيما يعملون .

ورأيت النساء فى معمل تعبئة المأكولات فى إحدى هذه المدارس ، جالسات يتحدثن ويضحكن جميعاً وهن يشتغلن . وقد قال لى المدير : « إن الأمر على ما ترى كل يوم ، فهن يصبن كل يوم متعة وسعادة » .

ولهذه الأيام الممتعة جدواها عليهن . وهذا المعمل الذى أنفق على بنائه ٥٠٠٠ ريال فى السنة الماضية أتاح لنحو ٥٠٠ زوجة من زوجات الزراع أن يعبئن ٥٠,٠٠٠ علبة من الخضر والفاكهة واللحم . وقد مرت أيام ضاق فيها المعمل بالراغبات فى الانتفاع به ، فوسعه القائمون عليه فى هذه السنة .

وقد قام الصغار من طلاب فصل الزراعة ببناء ما مست الحاجة إلى إضافته ، وبتركيب الآلات الميكانيكية الجديدة . وفى فصول ذبح الماشية يبذل الصغار معونتهم فى تقطيع اللحم وإخلائه من العظم لتعبئته فى العلب . وتتلقى البنات اللاتى يدرسن التدبير المنزلى دروساً فى حفظ المأكولات ، فإذا رأى هؤلاء الصغار كيف يفيد الكبار من الفرص التى تتيحها لهم المدرسة ، شعروا بما لدراستهم من شأن عظيم .

وقال لى أحد القائمين على مدرسة محلية : « لقد أقمت فى هذه الجهة ١٥ سنة ، ولم تتلق مدارسنا أبداً مثل هذا التأييد الذى ظفرت به منذ إنشاء معمل التعبئة ، وافتتاح الورشة الزراعية للكبار ، فقد صارت المدرسة مركزاً لحياة الجماعة . وقد وجد الآباء والأمهات أن ثمة أشياء كثيرة يمكن أن يتعلموها من مدرس المدرسة — أشياء عملية تتصل بصميم أعمالهم ، وبذلك يعظم تقديرهم لما تقدمه لهم المدرسة . ويظهر شعور الأهلين هذا ، فى مواظبة الطلبة على الحضور ، فإن الآباء والأمهات يودون

لصغارهم أن يفيدوا كل الفائدة من الفرص التى تتيحها المدرسة » .

ثم مضى يقول : « وثمة فائدة أخرى ، هى ازدياد عدد من يؤيدون المشروعات النافعة لإصلاح المدرسة . كان فى مجلس المراقبين رجل يجفل إجفالا شديداً كلما طلبنا مالاً لعمل جديد . ولم يدخل المدرسة قط ، ولكنه كان دائم الحديث عن « التوافه الغالية » و « سخافات التعليم » ، ولم يكن يعرف فرقاً بين المدرسة الحديثة كما نريدها والمدرسة القديمة ذات الغرفة الواحدة والمدرّس المغبون — سوى هذا الفرق الذى سماه : « توافه غالية » و « سخافات تعليم » . ولكنك تراه الآن لا يزال ينتفع بالمدرسة الزراعية التابعة للمدرسة ، وقد فتح ذلك عينيه وصار من أشد مؤيدى المدرسة فى المجلس ، حتى أنه ليقترح أشياء ينبغى أن تكون فى المدرسة قبل أن نفكر فيها نحن » .

وقد عبر أحد عقلاء الأعضاء عن ذلك فقال : « لقد قرأت كثيراً عن عيوب مدارس الريف ، وكنت أشعر بالخزى وأنا أقرؤها ، ولكن إذا آزر الناس فكرة جديدة فى التعليم النافع ، كما آزروا هذه الفكرة ، كان ذلك دليلا على أننا نسير فى حياتنا قدُماً إلى الأمام » .

·OO·OOOO·OO·

الشرطى الحكيم

فى ساعة الظهر حين يشتد ازدحام السيارات المرابطة فى الطريق ، تسابق اثنان من أصحاب السيارات ، إلى آخر محل عند المنعطف ليقف فيه سيارته ، فتصادمت السيارتان وانفتح البابان ، وخرج كل منهما يسبُّ صاحبه.

فمشى إليهما الشرطى متئداً واضعاً يديه على جانبى خصره ، ووقف يصغى إلى الجدال . فلما همّ أحدهما أن يضرب صاحبه بجمع يده ، تدخل الشرطى وقال : « كلاكما يريد هذا المكان ؟ » فأشارا برأسيهما أن نعم .

فأخرج الشرطى قطعة نقد من جيبه وقال لأحدهما : ماذا تختار ، وجه القطعة أو ظهرها ؟ فقال أحدهما « الوجه » . فقذف الشرطى القطعة فى الهواء ، فسقطت فإذا هو وجهها . فابتسم الرجل الذى خسر ، وحيا الشرطى بيده وانصرف بسيارته .

[جفرى لانديسمان]

شاهد عيان يصف التجربة الشاقة فى التعاون الدولى ، ويذكر بعض ملاحظاته عن أسلوب التفكير الروسى

كيف نساير الروس

ج . پ . ماك إيفوى

مختصرة من مجلة " كوزموپوليتان "

ليس في العالم مكان سوى برلين تتعلم فيه ثلاث أمم « كيف تساير الروس » ، لأنها كل يوم مضطرة إلى أن تساير الروس . طريق شاقة ، ولكنها الطريق الوحيدة ، وهى تجعل الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين فى شغل شاغل ، وتبغتهم بمفاجئات لا حصر لها .

صوّر ، لنفسك إن استطعت ، مدينة يبلغ عدد سكانها بضعة ملايين ، اكتسحتها الزلازل والأعاصير والحرائق والسيول ، ويجثم فوقها اليوم شبح المجاعة والطاعون ، ثم اجعلها أقساماً موزعة بين أمم أربع كبيرة ، تتعارض سياستها فى شأن اليوم والغد والمستقبل البعيد ، واطلب من هذه الأمم أن تقرر بالإجماع كل شأن من شئون إدارة البلد . هذا هو حال برلين اليوم وفى المستقبل المنظور .

ولو اضطلعت أمة وحدها بشئون برلين لأدارتها خيراً مما تديرها الأمم الأربع معاً . ويجتمع مجلس المحافظة (كومنداتور) مرة كل أسبوع فى برلين ، وأعضاؤه هم الحاكم العسكرى الأمريكى والإنجليزى والروسى والفرنسى ، ويتناوبون بينهم منصب المحافظ شهراً بعد شهر ، ولكن على المحافظ أن يستشير زملاءه ويقنعهم بأن إصلاح بعض المجارى المسدودة — مثلا — لا يكمن فى أطوائه خطر يهدد الحالة الاقتصادية فى الإمبراطورية البريطانية ، أو لا يجر على خزانة الولايات المتحدة عبئاً جديداً ، أو لا ينتقص من هيبة فرنسا التى تحرص عليها فى غرب أوربا بعد الحرب ، أو أنه لا ينطوى على مؤامرة أخرى رأسمالية .

ويجلس القادة أعضاء المجلس مع مندوبيهم ومعاونيهم حول مائدة المجلس الكبيرة ، وتزدحم الحجرة الفسيحة بالخبراء فى الفحم والكوليرا ، وفيما لا يعلمه إلا الله وحده . ومن وراء القادة يجلس المترجمون ، فمسألة اللغة هى أولى المشاكل التى يجب التغلب عليها ، فلن تأمل أن تساير الروس إلا إذا فهمتهم وفهموك . وإن العقل ليرتاع إذا فكر فى أن مصير العالم مرتبط بمقدرة هؤلاء المترجمين فى إفهام بعضهم بعضاً .

فإن آذان الرؤساء تسمع ولا تعى ، وكل رجائهم أن يدركوا معنى ما يدور من الأحاديث . ويحدث أحياناً أن يستقلّ المترجمون بتبادل حديث طويل بينهم وحدهم ، تثور فيه المناقشات العنيفة حول بعض الألفاظ ومعانيها البعيدة .

فالظاهر ، مثلا ، أن كلمة (تقريباً) المألوفة لدينا ليس لها مقابل فى اللغة الروسية ، وقد تبين من محادثة الروس فى المجلس أنهم حريصون جداً على تحديد الألفاظ والمعانى ، فمن القصص التى تروى عن طبعهم هذا أنهم سألوا مرة عن عدد السيارات والجنود فى الوحدة الأمامية التى عزم الأمريكيون على إرسالها إلى برلين ، حين هموا باحتلال المنطقة المخصصة لهم . فقال الأمريكيون : «قولوا ٥٠ سيارة و١٧٥ جندياً وضابطاً» .

ولما وصلت الوحدة إلى حدود المنطقة الروسية فى برلين صدّها الحرس ، وأخذوا يراجعون عدد السيارات والجنود على البيان الذى جاءهم من هيئة قيادتهم العليا ، ثم قالوا إن السيارات والجنود والضباط أكثر بكثير من البيان الذى لديهم ، إذ لم يرد فيه ذكر إلا لخمسين سيارة و ١٧٥ ضابطاً وجندياً فحسب . وظل الضابط الأمريكى رئيس الوحدة يرغى ويزبد ساعات طويلة ، وقد رُفع الأمر إلى برلين ولعله رُفع أيضاً إلى موسكو ، ولكن الروس لم يتزحزحوا قيد أنملة عن موقفهم . لقد قال الأمريكيون إن الوحدة مؤلفة من ٥٠ سيارة و ١٧٥ جندياً وضابطاً ، وليس لهذه الألفاظ سوى معنى واحد ، فلم يبق للسيارات والرجال ، مما زاد عن التقدير الأول الذى لم يقصد فيه التحديد ، إلا أن ينقلبوا راجعين من حيث أتوا .

وقد صارت مسايرة الروس أسهل على القوات الأمريكية ، حينما أدركوا أن كل جندى أو ضابط روسى لا يستطيع التصرف إلا فى حدود دائرة ضيقة جداً رسمت له ولا تتسع أبداً . فإذا سألته عن أمر يخرج عن حدود هذه الدائرة ، أحالك على جهة أخرى » ، إذ لا يعرض أحد من الروس نفسه للهلاك مرضاة أو محبة لك ، فهو عليم بما يصيب كل من تعجبه نفسه حتى يفتى برأيه .

وأدواء الأعمال الإدارية وبطؤها عند الروس تختلف عن مثيلاتها عند الأمريكيين . فهذا ضابط أمريكى راجع قرينه الروسى فى مسألة من المسائل ، فقيل له إنها رهن بأمر يصدره المارشال زوكوف ، وأن السائل يجب عليه أن يرفع مسألته بالطرق المرسومة إلى رؤسائه ليتولوا بأنفسهم مراجعة المارشال زوكوف . فيصدر المارشال زوكوف أمراً يتنقل من رئيس إلى مرؤوس حتى

يبلغ الضابط الروسى . وإذا قيل للضابط الروسى أليس الأسهل أن يرفع هو المسألة بالطرق المرسومة إلى المارشال زوكوف أجابك : « إننا لا نستطيع أن نرفع أمراً إلى زوكوف ، بل نحن نتلقى الأمر منه ».

والتجارة غريزة أصيلة فى الروس ، فإذا اجتمع بهم الأمريكيون فى لجنة من اللجان وأدركوا طبعهم هذا ، تحوّلت المناقشات إلى ميدان يألفه الأمريكيون ، فإن الروس يساومون مساومة صغار التجار ، ويطلبون أكثر مما يتوقعون الظفر به ، فإذا سارعت ودفعت إليهم ما يطلبونه بادئ ذى بدء ، ركبتهم الحيرة واحتقروك فى دخيلة أنفسهم للينك وقلة حيلتك . فالروسى تاجر ليس كل غايته أن يبيعك بضاعة ما فحسب ، بل هو شغوف أيضاً بأن يقضى الوقت متمتعاً بلذة المساومة والمجادلة ، ولا يدرك معنى لسرعة الاتفاق حتى لا يضيّع الوقت . فيجب أن نقبله على علاته كما هو : أى على أنه مساوم لجوج .

وإذا كان الروس لغزاً فى نظر الأمريكيين — وهم كذلك — فإن الأمريكيين لغز فى نظر الروس . وقد أفضى إلىّ أحدهم برأيه فقال : « إننا لا نفهمكم يا معشر الأمريكيين . تأتون هنا بعد سفر ٤٠٠٠ ميل وتقتلون الألمان وتهدمون مدنهم ، ثم ترغبون اليوم فى إطعامهم وتوفير الوقود لهم ، ومعونتهم على تشييد مملكتهم مرة أخرى . فلماذا ؟ هل نسى الأمريكيون أن الألمان قتلوا آلافاً مؤلفة من الروس جوعاً وضرباً وإرهاقاً . أما الروس فلم ينسوا ، وهم عاملون على أن لا ينسى الألمان ذلك أيضاً . تريدون لهم المزيد من الطعام والوقود والمسكن ؟ تباً لهم ! ». وطبيعىّ أن لا يقول الروس هذا الكلام بمثل هذه الصراحة فى اجتماعات الدول الأربع ، ولكن ليس من العسير استدراجهم إليه .

وقد جاء فى تصريح بوتسدام هذا القرار النبيل: «الإشراف على نظم التعليم فى ألمانيا إشرافاً تاماً لتطهيرها من المبادئ النازية والعسكرية ، وإحلال المبادئ الديمقراطية محلها ، ورعايتها إلى أن تنمو وتتحقق لها الغلبة » . ففكر قليلا ، واسأل كيف يمكن الإشراف على نظم التعليم فى ألمانيا ؟ ومن الذى سيتولاه ؟ وكيف يكون التطهير من المبادئ النازية والعسكرية ورعاية المبادئ الديمقراطية إلى أن تتحقق لها الغلبة ؟ ومن الذى يقرر ديمقراطية هذه المبادئ ؟

فلننظر الآن فى الطريقة التى يتبعها الأمريكيون والطريقة التى يتبعها الروس فى تنفيذ هذا الإشراف . لما دخل الروس برلين عطلوا المدارس كلها ، أما الأمريكيون فقد كانت سياستهم حينما احتلوا منطقتهم

أن لا تفتح مدرسة إلا بعد استبعاد المدرسين النازيين ووضع برامج التعليم بالتفصيل لتطهيرها من تعاليم هتلر، وإعادة طبع كتب الدراسة التي ألفت قبل هتلر ، وتوزيعها مجاناً على التلاميذ ، فكانت النتيجة أن لم تفتح مدرسة واحدة إلى اليوم في منطقة الأمريكيين أما في المنطقة الروسية فالتعليم في المدارس قائم على قدم وساق . وسياسة الروس حيال هذه المسألة هي : « أيها الألمان ، كانت عندكم مدارس من قبل فافتحوها إن استطعتم . . وإذا وجدتم بناءها أنقاضاً فأقيموه، وإذا أعوزتكم الكتب فتداركوها ولتلقنوا طلبتها ما تشاؤون من الدروس ما لم يكن فيها شيء لا نحبه . وهذا الذي لا نحبه سنقرره بعد الخبرة والمراقبة ، وسنتعهدكم بعين ساهرة لئلا يشب على يديكم جيل آخر من الغزاة ، فإذا كان في دروسكم بعد ذلك ما لا نحب فجزاؤكم القتل » .

ولست أدعى أنني قادر على أن أحكم أي الطريقتين أفضل، ولكن الطريقة الروسية — فيما يبدو — طريقة صالحة قد تؤتى ثمارها ، لأن الألمان سيحرصون جد الحرص على إنجاحها ، في حين أنني لست كبير الأمل في الطريقة التي يتبعها الأمريكيون ، فإن أصول التعليم المطلوب أبعد من أن يتفق عليها الأمريكيون كافة ، وليس عندهم مدرسون لهم تلك الخبرة الواسعة التي يتطلبها الإشراف على تعليم المعلمين الألمان . والإخفاق من مبدأ الأمر محقق ، فإن مطلب الأمريكيين هو العثور على مدرسين لم يلتحقوا من قبل بالحزب النازى ، وتوكل إليهم المدارس تحت إشراف نظار المدارس أو أساتذة الجامعات الأمريكية ، وأكثر هؤلاء في الغالب لا يعرف الألمانية ولا يؤثر البقاء في ألمانيا وهناك آلاف من غلاة النازية لم يلتحقوا بحزبها ، وآلاف مثلهم في صفوف الجيش لم يكن يسمح لهم أن ينضموا إلى الحزب حتى لو أرادوا ذلك . وما دام هتاف « ألمانيا فوق الجميع » حياً في عقول المدرسين الألمان ، فالمدارس ستخرج أجيالا تؤمن بأن القدر قد اختارهم لغزو جيرانهم .

والروس والفرنسيون والإنجليز يفهمون الألمان . ولكن الأمريكيين لا يفهمونهم . فالروس عمليون لا يعنيهم إلا الواقع . أما الأمريكيون فخياليون يجرون وراء الأحلام . لقد اجتاح الغزاة الألمان من أرض روسيا رقعة يبلغ عدد سكانها ٨٨ مليوناً ، وخربت فيها ما يزيد على ١٧٠٠ مدينة ، و ٧٠ ألف قرية ، وشرد من أهلها ٢٥ مليوناً من ديارهم . فالجندى في الجيش الأحمر ليس في حاجة لمن يلقنه معنى هذه الحرب، أو معنى

السلام كيف يجب أن يكون ، أما الضباط الأمريكيون فقد يشق عليهم إقناع الجنود الأمريكيين بأسباب مجيئهم إلى ألمانيا أو بقائهم فيها .

وبينا يتحدث الأمريكيون والإنجليز وبعض الفرنسيين — لا كلهم — عن تعمير ألمانيا ، ينهمك الروس فى انتزاع المؤسسات والمصانع الألمانية ليعمروا بها وطنهم . ولما وصل القطار الذى يقل خبراء الأمريكيين فى شئون النقل إلى حدود المنطقة الروسية ، وجدوا الخط الحديدى المزدوج قد أصبح خطاً مفرداً . وهذا هو الشأن فى المنطقة الروسية كلها ، فأين ذهبت القضبان ؟ إلى روسيا . وكانت ألمانيا تفوق العالم كله بما تملكه من أسلاك التلفون الممتدة فى جوف الأرض ، فترى المهندسين الأمريكيين الذين يعاونون الألمان على إعادة المواصلات التلفونية ، يتتبعون السلك إلى حدود المنطقة الروسية فيجدون أنفاق الأسلاك خالية منها . فأين ذهبت هذه الأسلاك ؟ إلى روسيا . ومع ذلك يقول لك الخبراء فى التعويضات إن الروس لو استولوا على كل ما تحتويه منطقتهم فى ألمانيا من خيرات ولم يتركوا فيها شيئاً ، لما بلغ ما يستولون عليه نصف ما خربه الألمان أو نهبوه من الرقعة المترامية التى غزوها فى روسيا .

وتشتكى صحيفة الأوبزرفر الإنجليزية من الفوضى والجمود فى عمل الحلفاء الذين لم يتفقوا قط على مستقبل ألمانيا الاقتصادى كيف يجب أن يكون . وقد وجهت إلى الروس تهم كثيرة ، ولكن ليس فيها تهمة تنسب إليهم الفوضى والجمود . والإنجليز والفرنسيون والأمريكيون لم يتفقوا على المدى الذى يفسح لألمانيا الإنتاج دون أن تقوى على شن الحرب مرة أخرى ، ولكن الألمان يبصرون بأعينهم فى اليوم خمسين مرة كيف يعالج الروس هذه المشكلة ، ومختصر الأمر : أن شعار الألمان « ألمانيا فوق الجميع » قد انتهى ولن يعود .

والروس يدركون حق الإدراك أن العلاج لا يكون بقتل بعض النازيين ، أو بعزل البعض الآخر ، فإن العلم والحذق الذى جعل ألمانيا قوة حربية شيطانية ذات خطر ، لم يقض عليه خط أقلام على وثيقة الاستسلام — إنهم يخافون الألمان لأنهم خير الناس معرفة بأن الألمان إذا وجدوا فى همة الحلفاء فترةً أو ضعفاً ، فلن يدعوا عندئذ همة إلا بذلوها . ومن أجل هذا تجد الروس لا يفترون ولا يتلوّمون فى عمل . فالألمان يحترمون قسوتهم ويهابونها ، وفى منطقة الأمريكيين لا يتعمدون كتمان احتقارهم لما يرونه من لين جانبهم .

لا يزال المختلس ينوى أن يسدد ما اختلس — حتى يفوت الأوان .

"الاختلاس : أسهل جريمة .."

ميرون ستيرنز — مختصرة من مجلة "بانكنج"

أسهل الجرائم وأخفاها **الاختلاس** سَتراً ، ولا يساق بجريرته إلى السجن إلا قوم من أهل الثقة والاحترام. والاختلاس أن يتصرف المرء بغير حق فيما ائتمن عليه من سلعة أو مال . والأغلب أن يكون المختلس إنساناً محترماً حسن السمعة ، طيب الجيرة ، متوسط الرزق ، ساعياً فيما ينفع عشيرته ، قد أكسبته نفسه ثقة الناس به.

وفى السنة الماضية اضطرت شركة واحدة من خمسين شركة أمريكية كبيرة لضمان عهدة الموظفين ، أن تسدد ما اختلسه ٢,٢٠٠ من رجال ونساء كانوا فيما يبدو أهلا للثقة ، أما ألوف الاختلاسات التى تحدث كل عام فيرجع نحو ١٤ فى المئة منها إلى الاختلاس .

وقلما يكون المختلس عامداً ، بل تحدثه نفسه أن « يقترض » بضعة ريالات من مال الشركة، وفى نيته أن يسددها فى أقرب وقت. هذه هى الخطوة الأولى ، ثم لا يلبث أن ينزلق ماضياً فى طريقه ، فما هو إلا قليل حتى يروعه أن يجد نفسه مختلساً — أى مجرماً.

هذه سيدة حسناء حميدة السيرة تعيش هى ووالدها وأختها فى مدينة بولاية أوهيو، حيث تعمل فى شركة كهربائية ، فاصطلحت عليها النكبات ، فمرض والدها ، وتعطلت أختها ، وركبتها الديون . فلما استنفدت مالها المدخر ، استعانت ببعض مال الشركة على نفقات العلاج ، وكانت تنوى — ولا ريب — أن تردّ ما أخذته .

ولكن قبل أن يتسنى لها ذلك ، جاء مراقبو الحسابات ، فاضطرت أن تقترض من أصدقائها كى تغطى العجز ، ولما انصرف المراقبون ردّت المال إلى أصدقائها مما « اقترضته » ثانية من مال الشركة . وظل هذا دأبها سنوات — تأخذ من مال الشركة قليلا قليلا يربو على مرّ الأيام ، حتى جاء اليوم المحتوم ، يوم لم تستطع أن تقترض من معارفها مالاً يكفى لسدّ العجز فى دفاترها، ويومئذ وقف المراقب على عجز قدره ٦٧١ ريالا — وكذلك ألقى بها فى غيابة السجن .

وهذا كاتب فى خزانة إحدى شركات الملاحة خرج ليودع فى المصرف ٢٥٥ ريالا،

موقف حيث يتناول غداءه ، فسرق منه المال . فلما خشى أن يطرد من عمله ،حاول إخفاء العجز بالتزوير فى دفاتره ، وقد عقد نيته على أن يسدد المال المسروق من ماله هو على مرّ الأيام . فلما رأى أن فَعْلته ظلت خافيـة ، اختلس مبلغاً آخر ، وظل هذا دأبه ثمانى سـنوات ، فلما اكتشف أمره كان قد اختلس ٦٧,٠٠٠ ريال .

هذا هو الخطر الكامن فى هذه الجريمة الخبيثة المنكرة ، وهذا هو منوالها . وتقول شركة الضمان الأهليـة الأمريكية أن ٦٩ مختلساً من كل ٧٠ لم يكن يدور بخلدهم فى أول الأمر إلا أن «يقترضوا» ثم يسددوا المال فى أسرع وقت .

ونجد فى سجلات شركات الضمان ما يذهلك من ضروب الاختلاس المختلفة ، فمن عجائب ذلك أن تجد رجلا كهلا كان مديراً لأحد المصارف ، وكان دائماً يحب أن يكون معدوداً كبير المحسنين فى مدينته الصغيرة ، فوهب لأحـد المعاهد بناء كبيراً ، وتبرع بأموال للمدارس والمعابد ، فكان اسمه يرى دائماً فى رأس قوائم الإحسان . فلما تبين مراقبو الحسابات أمره ، أبت الشرطة أن تقبض عليه ، فما كان أحد يصـدق أنه مختلس . وأخيراً قبض عليه فى مدينة مجاورة ، وقد تأهب للفرار .

والمرء مفطور على الإسراف أو التدبير قلّ ماله أو كثر ، فقد كان دخل مدير شركة بترول ٧٥,٠٠٠ ريال فى السنة ، ولـكن نفقاته كانت تربى على دخله ، فخاف أن يفلس فأخذ ٢٠٠,٠٠٠ ريال من أموال شركته ليجعلها مدداً لبعض أمواله المثمرة .

وكثيراً ما يكون حضور المال وقرب مناله هو الذى يغرى الرجل الشريف حتى يعدل به عن الصراط المستقيم . فهذا صراف مؤتمن فى إحدى وكالات التأمين الكبيرة ، كان رجلا عزباً فى الخامسة والأربعين من عمره ، فكلما احتاج إلى طوابع بريد للشركة كتب شـيكا باسم « نقـدية للطوابع » والأغلب أن يكون المبلغ كبيراً . وذات مرة غفل فترك فى جيبه قيمة الشيك المصروف ، فلم يفتقد هذا أحد . ولما رأى أن المسألة هينة ، كررها . وكان يستبقى هذه المبالغ جانباً ليعيدها إذا انكشف العجز ، وظل ذلك دأبه ست سـنوات ، حتى بلغ المـال المختلس ٢٠٠,٩١٠ ريالات ، ولم يوجـد منها فى الخزانة سوى ٨,٥٠٠ ريال .

وإذا أراد المرء أن يظلّ بمنجاة مما يجرّ عليه المتاعب ، فينبغى أن يحرص على أن يدخر من دخله شيئاً بعد شيء . فشركات الضمان تقول: «إن المدّخرين قلما يختلسون» وهى تحذر الناس من الاقتراض ، فهو :

« خادم نافع ، ولكنه سيد مستبد » .

والشراء بالتقسيط قد يفضى بالمرء أحياناً إلى التورط فى الديون ، وإلى ضيق ذات يده . فهذه سيدة فى التاسعة والثلاثين ، ظلت ١٢ سنة كاتبة حسابات أمينة ، ولكنها كانت لا تنفك تشترى بالتقسيط كل ما تحتاج إليه ، من موقد ، أو ثلاجة ، أو مغسلة ، أو راديو . وكاد تراكم الأقساط عليها يفقدها رشادها ، فذهبت مع صديقة لها إلى حلبة السباق أول مرة فى حياتها ، فراهنت بريالين فلما ربحت عشرة عقدت فى اليوم التالى صفقة رهان مع سمسار سباق . فلما خسرتها ولم يبق لها مال تراهن به « اقترضت » بعض مال الشركة ، إلى حين ولا شك ، وخالت الربح مضموناً . فأخذت تقامر فتربح قليلا وتخسر كثيراً . وظلت هكذا يوماً بعد يوم ، وفى كل يوم تزيد قيمة الرهان . وقبل أن يعرف أمرها ، كان المال المختلس قد بلغ ٤٣,٠٠٠ ريال .

وأحق منها بالرثاء والإشفاق وكيل إحدى شركات الزيوت ، كان مرتبه السنوى ٣,٩٠٠ ريال ، وكان رقيقاً هادئاً لا يضن بشىء على زوجته التى تحب الترف . فلما ظهر فى حسابه عجز قدره ١,٠٩٣ ريالا قتل نفسه .

إن سجلات شركات الضمان زاخرة بالأمثلة من شبان لم يستطيعوا أن يقاوموا فرصة تسوّل لهم الإثراء بين عشية وضحاها . فمن ذلك أن صرافاً فى شركة سمسرة ، انتهى إليه نبأ إنشاء نفق فى مكان ما ، فعزم على أن يشترى « ببعض مال الشركة » عقاراً فى ذلك المكان . إنها فرصة سانحة ، فارتفاع ثمن العقار سوف يضاعف ماله أو يجعله ثلاثة أضعاف ، ولسوف يصبح غنياً ، ويرد المال إلى الشركة . فأخذ ٣٠٠,٠٠٠ ريال فى ثمانى سنوات ، واشترى العقار ، ولكن مشروع النفق لم يتم ، وهبطت قيمة الأرض ، فإذا هو سجين منبوذ لا غنىّ مرموق . وماذا يكون أمره متى خرج من السجن ؟ قليل من الناس من يعلم أن المال المختلس يبقى ديناً ينوء به كاهل المختلس ، ومدة السجن لا تعفيه من هذا الدين الذي لا يسقط إلا بالسداد .

فإذا لم تحدث معجزة يسوّى بها المختلس ديونه ، بقى الدين سيفاً مصلتاً على رأسه طول حياته .

الإنسانُ كتابٌ مسطور — لو عرفتَ كيف تقرأ ما فيه .

[مارجريت فوللر]

انتفع بتجاربي

جزاء الرحمة

ا. ج. كرونن

نشأت منذ صغري على أن الآثم مجازى بإثمه ، وأن هذا هو العدل .

وفي سنة ١٩٢١ كنت طبيباً ناشئاً في مستشفى للحميات في بقعة نائية . وذات ليلة دخل المستشفى ، بعيد وصولي ، مصاب بالدفتريا : صبي في السادسة كاد يخنقه الداء ، فما من شيء أرجو أن ينقذه إلا شق قصبة الهواء على الفور .

كنت قليل التجربة ، ولم أجر قبلُ هذه الجراحة البسيطة الخطيرة الشأن . وحين وقفت في حجرة الجراحة الخالية في ضوء مصباح خافت ، ونظرت إلى الممرضة القديمة والممرضة الجديدة غير المرّسة وهما تضعان الصبي اللاهث على المائدة ، أحسست رعدة وبرداً وسَقاماً يدبّ في أوصالي .

وبدأت الجراحة ، فشققت الحلق الرقيق المحتقن بيد ترتجف ، ومضيت أعمل حائراً عالماً بعجزي ، فامتلأ قلبي عزماً على أن أنجح في إنقاذ هذا الفتى الذي يكاد يختنق . وأخيراً بان بياض القصبة لعيني اللتين غشاهما العرق ، فشققتها فاندفع الهواء من الشق وملأ رئته المجهودة . فلما دبت القوة الجديدة في ذلك البدن الصغير المنهوك ، كدت أبكي فرحاً ، ثم دسست الأنبوب بسرعة في الشق وخطت الجرح . فلما رأيت الصبي نائماً مستريحاً في سريره عدت إلى حجرتي تتوهج في جوانحي فرحة الظفر .

وبعد أربع ساعات — في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أيقظتني دقّة مذعورة على بابي ، فكانت الممرضة الجديدة . فقد أغفت قرب سرير الصبي ، فلما استيقظت رأت الأنبوب مسدوداً فجعلت تتمتم شاحبة الوجه مرتعشة اللفظ : « يا دكتور يا دكتور عجّل » . كان ينبغي أن تنظف الأنبوب من المخاط كدأب الممرضات ، ولكنها أضلّت صوابها واقترفت إثماً — فرّت مذعورة . فلما أدركت الفتى كان قد مات .

فذهبت نفسي حسراتٍ على حياة أضاعها الاهمال هدراً . وأشنع من ذلك ما ساورني

من غيظ لغفلة ممرضة مذعورة أحبطت كل ما عملت يداي . تضرّم الغضب في قلبي ، فعزمت على أن أرسل تقريراً إلى مجلس الصحة ليمنع هـذه الممرضة من مزاولة التمريض .

فما هو إلا أن كتبت تقريراً بمداد من نار ، ثم دعوتها وقرأته عليها بصوت ينتفض غضباً .

فأصغت إلى في صمت يورث الإشفاق . وقد كانت فتاة قروية هزيلة ترتعش وجنتها رعشة عصبية ، فكاد يغمى عليها من الخزى والألم .

وقد أبت أن تنطق بكلمة واحدة ، وكان في وسعها أن تعتذر بأنها كانت مجهدة ، فغاظني صمتها حتى صحت فيها : « أليس عندك ما تقولين ؟ »

فهزت رأسها ، ثم تمتمت على حين فجأة : « أتح لى فرصة أخرى » .

فدهشت ، لأن هذا الخاطر لم يخطر لى ، وكان كل همى أن أحمّلها وِزْر ما فعلت . فحدقت فيها ثم صرفتها بجفاء ، ووقعت التقرير وختمته .

وفي تلك الليلة أقضّ مضجعي ما قالت : « أتح لى فرصة أخرى » . وظل صدًى واحد يتردد في ذهني ، مؤداه أن ما أراه عدلا ، وكل ما يراه الناس عدلا ، ليس سوى شهوة فطرية للأخذ بالثأر ، فقلت لنفسي : هذا رأى أحمق . ولكنني ذهبت إلى مكتبي في الصباح التالى ومزقت التقرير .

كان ذلك منذ عشرين سنة ، أما اليوم فهـذه الممرضة التي ارتكبت ذلك الخطأ المميت قد صارت كبيرة الممرضات في أكبر مستشفى للصغار في ويلز ، وقد كانت سيرتها مثالا يحتذى في دقة العمل والإخلاص فيه .

ومنذ عهد قريب تلقيت صورة تتراءى فيها سيدة نَصَف في ثياب كبيرة الممرضات ، يحيط بها الصغار في مخبأ يقى من الغارات . وهى تُرَى في الصورة مجهدة مهمومة ، وأما عيون الصغار فكانت شاخصة إليها ، يتألق فيها نور الطمأنينة والمحبة .

سمع لنكولن مرة رجلا يغتاب آخر ، فأشار عليه أن يكتب إليه رسالة يودعها كل ما في نفسه من هجاء ، فكتب الرجل الرسالة وقرأها على لنكولن ، فأثنى على قوارصها . فسر الكاتب بما سمع ، ثم سأل لنكولن : « وما خير طريقة لإرسالها ؟ »

فقال لنكولن : « لإرسالها ! لو كنت مكانك لما أرسلتها . فكثيراً ما أكتب رسالة من هذا القبيل فتنفعني كتابتها ، ولكنني لا أرسلها مطلقاً » .

[مجلة « ذى أميريكان مجازين »]

إذا أريد مساعدة الصين على أن تصبح أمة صناعية ، فلا بد عن فهم تقاليدها أولا .

نشر الصناعات في الصين

جون إيرل بيكر • مختصرة من مجلة "فورتشن"

جعل الصين أمة صناعية مشكلة إذا أنت تأملتها راعتك بما ترى من عوائقها الجمة . فالصين ليست أمة مدن ، بل هي أمة قرى ومزارع يعيش فيها ٨٥ في المئة من شعبها ، ويخضع الفرد فيها لحكم رؤساء عشيرته . فكلمة رب الأسرة حكم نافذ ، ويلقن صغيرهم منذ حداثته أن يوقر الكبير ويطيعه ، وما القرية عندهم إلا أسرة واحدة .

ولا يقوم بين الصينيين نزاع إلا أسرع إلى فضه والقضاء فيه أقران المتنازعين ، فإذا ثار النزاع وتعالت الأصوات ، وقف المارة وأنصتوا . وسرعان ما يدلى أحدهم برأى فى الصلح ، وربما اقترح سواه آراء أخرى مختلفة ، حتى ينتهى الرأى إلى حل يرتضيه المتنازعون . والصينيون بطبعهم يخضعون لقضاء أمثال هذه المحاكم التى تجتمع لساعتها. والطريق إذا أصبح ساحة للتقاضى أغنى عن سن القوانين للمحاكم . ولم يكن فى الصين قبل تأسيس الجمهورية شىء من القوانين المسطورة ، بل هو العرف الموروث والأوامر الإمبراطورية . فلم يكن مما يقبله العقل عند أهل الصين أن يجتمع رجال من البشر فيكتبوا بأيديهم شريعة تلزم كل إنسان طاعتها فى كل الأحوال . فلما أعلنت الجمهورية سنت القوانين ، ولكن القضاة لا يجدون إلى اليوم مندوحة من إيثار العرف على القانون.

وعلى هذا النمط من الرأى تسير معاملاتهم كلها . ففى الدول الغربية — مثلا — تجرى الأعمال المالية الواسعة النطاق طبقاً لشروط ينص عليها فى عقود مكتوبة ، والرجل المالى ذو الدهاء والمكر يتقيد بألفاظ العقد

قليل من الغربيين من يفوق جون إيرل بيكر فى خبرته وطول معاشرته للصينيين . وكان أول دخوله الصين سنة ١٩١٢ ، حين أسند إليه منصب مستشار السكك الحديدية وطرق النقل . ومنذ ذلك الحين والحكومة الصينية تستدعيه لهذا المنصب مرة بعد أخرى . وقد تولى رياسة أغلب مشروعات التخفيف من ويلات الفيضانات والمجاعة ، فساعد على إنقاذ أرواح الآلاف المؤلفة من أهل الصين ، وتولى أيضاً منصب المستشار المالى والمفتش العام لطريق برما ، وهو اليوم يعمل هيئة الإغاثة والتعمير .

ولكنه يلتمس الحيل للخروج من فحواه ، إذا رأى فى ذلك منفعة له . أما الصينيون فلا يعدون العقد إلا مذكرة مكتوبة ، ولا يتم الاتفاق عندهم حين يوقعه الطرفان ، بل حين تقع العين على العين ، ويومئان بهزة من رأسهما بأن الموافقة متبادلة . فإذا ما تغيرت الأحوال وأصبح الاتفاق عبئاً ثقيلا يبهظ كاهل أحد الطرفين بلا مسوغ ، فمن الطبيعي أن يرجو أحدهما تعديله على صورة جديدة ترضى الطرفين . فإذا أبى أحدهما ، انقلب فصار عند الآخر عدواً ضارياً مستبداً ، فأهل الصين يؤثرون أن تقوم معاملاتهم على الإنصاف والعرف لا على القانون .

والصين وإن تكن خالية من المحاكم العاملة النافذة السلطان ، إلا أن لأهلها آدابا متبعة ، لها ما للقانون من الطاعة . ولقد استطعت مرة أن أنجو بسيارتى ومتاعى من قبضة عصابة من قطاع الطرق ، بأن اتبعت آدابهم فقدمت لهم بطاقتى ، ودعوتهم لشرب الشاى معى . فلما رآنى رئيس العصابة أعامله معاملة الرجل الشريف ، لم يجد بداً من أن يلقانى بمثل ما لقيته به .

ولكن المشاكل التى تكتنف إدارة المؤسسات المالية الكبيرة لا يتأتى علاجها باتباع أمثال هذه الآداب ، أو باللجوء إلى التحكيم فى عرض الطريق . وقد تكون مسألة القوانين الموضوعة من حيث هى أصلح وسيلة لضمان العدالة ، مثار جدال عند رجال الأخلاق ، ولكنها عند رجال المؤسسات المالية مسألة لا جدال فيها .

ولا تزال طاعة الأوامر شيئاً لا يكاد الصينى يحفل به ، فهو لم يألف بعد تلك القواعد التى استقرت فى الغرب ، حيث يفرض فى الأوامر أن يفهمها من توجه إليه ، فيعمل على تنفيذها بلا إبطاء ، وفى الوقت المحدد ، ويدرك أنه خاضع للرقابة ، وملاق جزاءه إذا ما أهمل فى أداء واجبه . والصينى لا يفهم بطبعه معنى التعاون الذى تقوم عليه الصناعة الحديثة ، ولا فكرة الولاء لمؤسسة باعتبارها كائنا مستقلا عن أشخاص أصحابها ، مع أنه لا قيام للتعاون إلا بمثل هذا الولاء .

فإذا انقلبت قاطرة ودعى العمال لإعادة إقامتها ، فهل تحسب أنك واجد كلا منهم قد وقف فى موضعه المحدد له ، ثم إذا أمرهم رئيسهم سارعوا إلى العمل ونصب الرافعة ؟ كلا ! بل يحدث بادئ ذى بدء أن ينشب جدال طويل بين الرئيس وأغلب العمال . وبعد نصف ساعة من الجلبة والصياح ينكبون على العمل وقد يأتون فيه بالمعجزات .

فانتظام قطار السكة الحديدية مثلا فى سيره طبقا للمواعيد ، أمر لا تعرفه الصين . فتجد سائقى القطارات يسيرونها حسب هواهم .

حتى كثر تقابل القطارين على خط مفرد . ولقد شهدت مصادمة وقعت ، لأن السائق ترك مكانه وأوى إلى عربة البضائع لينام ، وترك قيادة القطار للوقاد الأول . وفى تلك الليلة كان الوقاد الأول قد انتدب أخاه ليحل محله — وانتداب الرجل من يحل محله شائع فى الصين — وكان هذا البديل يجهل نظام الإشارات كل الجهل . نعم إن السكك الحديدية آخذة فى الانتظام ، ولكن الصناعة عامة لاتشكو من قلة الخبرة شكواها من التهاون وقلة المبالاة .

ويذكر الصينيون دائماً حاجتهم إلى الخبراء الفنيين الأجانب لكى تجدى صناعتهم جدواها . وهذه كلمة مجاملة لا كلمة حق ، فإن عدد المهندسين الخبراء بين الصينيين يزداد يوما بعد يوم ، ومع ذلك فالتعليم فى الصين يجرّ فى آثاره أفكاراً لا تلائم التقدم الصناعى . فهم يرون أن اليد التى تجيد تحبير اللغة الصينية المكتوبة ينبغى أن تكون رقيقة رَخْصة الأنامل ، فمن أجل ذلك أعفى المتعلمون عندهم من مزاولة كل عمل شاق. وأكثر من ذلك أن الشعب الصينى ينقسم إلى طبقتين : طبقة المثقفين ، وطبقة الجهال ، ولا ثالث لهما إلا قليل بين بين . فالمجتمع الصينى اليوم خالٍ من أنصاف المتعلمين الذين تتطلبهم الصناعة : وسيظل التقدم الصناعى مكبَّلا بقيود ثقيلة ، ما دام العرف يأبى على المتعلمين أن يزاولوا عملا بأيديهم ، وما دام العمال لا يصيبون شيئاً من التربية والتثقيف .

وألوف العادات أيضا تعوق استتباب الرقابة ، فنظام الرقابة فى الغرب يقتضى إشرافا دقيقاً ، لا على درجة إتقان العمل فحسب ، بل على الوسائل المتبعة فى أدائه أيضاً . فى حين أن الصينى لا يرى هذه الرقابة إلا اتهاما مقنَّعا لذكائه ، أو لمقدرته ، أو لأمانته . ولذلك يكره الرقباء هذه الرقابة لما يرونه من نفور مرؤسيهم وضيقهم بها .

والعامل الصينى إذا جُمِل أجره باليوم ، فهو عندئذ أكثر عمال الدنيا تهاوناً وتراخياً . أما إذا دفع له الأجر لقاء ماينتجه ، فإنه يعكف على عمله ، وهو يغنى ، ساعات طويلة ، ويتمنه ، ويستحدث فيه طرائق مختصرة مُجْزِئة تدل على براعته .

فلزام إذن على الصناعة الصينية أن تتخلى عن تقاليد صناعة الغرب فى معاملة العمال ، بحيث يبقى عرف أهل الصين نافذاً حتى فى الصناعة الحديثة .

•

وأهل الدنيا جميعاً فى قلوبهم شىء يحملهم على البرّ بذوى رَحِمهم الأدنَيْن ، غير أن أسرة الرجل فى الصين كبيرة ، فالتبعة من

جراء ذلك عظيمة . ولا تخلو أسرة من أفراد قعد بهم العجز أو الرزق ، فهم أولى وأحق ببعض المال من غريب شريك لك فى العمل ، فما ظنك بأصحاب الأسهم الذين لا تعرفهم ولا يعرفونك . ولا يرى الصينى فى حشد أقربائه فى الوظائف خيانة لأمانة ، ولا يعدّها جريمة أن يستبقى مديراً غير صالح فى قسم من الأقسام لا يربح شيئاً ، بل هو عنده واجب نبيل .

فنشر الصناعة فى الصين كما ترى تحول دونه عوائق جمة ، ولكن الصينيين يمتازون باللين وقدرتهم على التطبُّع ، ويبتدعون حلولا مختصرة مجزئة قد تعمى عنها عين الأوربى . ولا تنس أن الصناعة الغربية تشكو هى الأخرى كثيراً من عقبات تعوقها، وقيودٍ تكبّل حريتها .

ولقد بدأ نشر الصناعة فى الصين ، وأخذت بعض مصانع الحديد فى الازدهار من قبل الحرب اليابانية ، وتم للصين امتلاك بعض مناجم الفحم الغنية ، وتبين أن مصانع النسيج التى يملكها ويديرها الصينيون ، قادرة على مضارعة مثيلاتها فى إنجلترا واليابان. وأما الطواحين فيملكها ويديرها ناس من أهل الصين . وأما المصانع الكيميائية ، ومصانع الطلاء ، ودبغ الجلود وكثير غيرها فيدير أعمالها ويتولاها رجال من أنفسهم.

وقد بلغ كثير من هذه المصانع مبلغا يعجز فرداً بل أسرة أن تتولاه وتقوم بشأنه، فهى شركة بين جماعة من الأصدقاء أو من الأسر المتحابّة . وقد احتالوا حتى وفقوا بين الآداب الصينية وبين ما يجب لهذه المصانع من كفاية ، بحيث تسنى اشتراك جمع كثير فى امتلاك مؤسسة وسط . حقا إن المصانع الصينية لن تقوى على بلوغ الضخامة التى بلغتها مثيلاتها فى الغرب ، ولكن الضخامة ليست شرطا أساسيا لنجاح المصنع .

ويجب أن تكون الصين هى السوق التى تستهلك منتجات المصانع الصينية ، فجموع الشعب تستهلك قدراً عظيما من المنسوجات القطنية والسجائر وأدوات الصناعة ، وكل هذه البضائع من منتجات المصانع . ومع ذلك فأسباب الترف (الكماليات) كثيرة الطلب . وهذا الاستهلاك والطلب خليقان أن يقيما صناعة الصين على أساس ثابت ، ولكن جعل الصين بلاداً صناعية وقف على ازدياد هذا الطلب ازدياداً كبيراً . ويجب أن يبدأ ازدياد الطلب بين سكان القرى ، حيث يعيش أغلب أهل الصين .

وليس بين المزارعين الصينيين من يملك أكثر من أربعة أفدنة فى المتوسط ، ولذلك كانت مقدرتهم على الشراء محدودة ،

والدخل الآتى من هذا القدر الضئيل من الأرض لا يكفى إلا لتوفير الطعام ، ولا يتيح لأحدهم أن يشترى شيئا من المنتجات الكثيرة التى تخرجها المصانع ، فلا بدّ إذن من زيادة دخل المزرعة ، بتوزيع البذور الجيدة ، ومقاومة الحشرات وأمراض النبات ، ونشر استخدام الأسمدة ، ودرء أخطار الفيضان وتحسين طرق الرى .

وتكثير المحاصيل لا يكفى ، إذ لا بدّ من نقل الباقى عن حاجة المزرعة الى الأسواق ، فلا ممر من تعميم وسائل النقل كلها ، لا السكك الحديدية وحدها ، وذلك بإنشاء الطرق وشق القنوات ، والمبادرة إلى تأسيس خطوط جوية .

والسكة الحديدية لا تزال فى نظر الصينيين بدعة مستحدثة ، ولا يدعى أحد منهم أنها جيدة النظام ، ومع ذلك فأجور النقل بالسكة الحديدية تبلغ أربعين ضعفاً من أجور النقل بالحمل أو بالجرّ . فكلما امتدت السكك الحديدية زادت مقدرة الناس على الشراء .

وكنتَ قبل وصول السكة الحديدية إلى « شانج هى » تشترى ٢٠ خوخة كبيرة ناضجة بنصف قرش ، ومن « شانج هى » ينقلها الحمالون عدواً إلى « تانت سن » ويطلبون فيها ثمنا مرتفعا لا يقدر عليه إلا ذوو اليسار . فقلّ محصول الخوخ ، واقتصر أهل « شانج هى » على تربية الأغنام يلتمسون منها رزقا يسيراً . فلما مدّت السكة الحديدية إلى « تانت سن » هبط ثمن الخوخ وزاد الطلب على العرض . زرعت أشجاره زراعة وافرة وزاد عدد المكتسبين من زراعة الفاكهة أضعافاً مضاعفة ، وتدفق الخوخ على « تانت سن » وأصبح يباع بالأكوام .

وكذلك الفحم فى شانسى ، فهو مبذول للناس يصيبون منه ما يشاؤون ، ولا يزيد ثمن الطن الواحد عند المنجم على ريال ونصف . أما فى شنغهاى فلا يقف ارتفاع سعره عند حد . فلما وصلت السكة الحديدية إلى شنغهاى هبط سعر الطن إلى ٢٥ ريالا . ونفقت سوقه فيها ، فازداد عدد سكان مناطق الفحم وعمرت نواحيها .

وإذا أريد للصناعة الحديثة فى الصين أن تقوم على أسس ثابتة ، فلا مفر لها من استغلال أهم عنصر فى الثروة الصينية — وهو وفرة سكانها . وإذا تدبرت وجدت فى وسع الصين أن يعمل جميع رجالها فى المصانع نصف النهار ، أو أن يعمل فيها نصف رجالها النهار كله . والرأى الأول خير من الثانى ، لأن زمن البذر أو زمن الحصاد يتطلب جهد جميع الصينيين رجالا ونساء وأطفالا .

فإذا أقيمت المصانع على مقربة من القرى، أمكن تزويدها من كل مزرعة بنصف رجالها، فيمكثون فيها أكثر الأيام، حتى إذا جاء أوان البذر أو الحصاد عادوا إلى المزرعة. ولكن المصانع الكبرى بعيدة عن المزارع، فإذا أريد تقريبها فلا مفر من توظيف رؤوس أموال كبيرة فى مد السكك الحديدية وغيرها من طرق النقل. وإذا اعتبرت الصين بحالها التى هى على اليوم، رأيت أن إنشاء وحدات من المصانع الصغيرة فى القرى أجدى فى الانتفاع بقوتها العاملة، من إنشائها فى المدن الكبيرة.

ومن المرجح أن المشاكل التى يثيرها تحويل الصين بلاداً صناعية، لا تحل إلا بممارسة العمل ما بين خطأ وإصابة. وقد وضعت المصانع اليوم خطتها لمد رقعة الصناعة فى الصين، والحكومة غير عاجزة عن نشر الصناعة فى القرى وتحسين الزراعة، وهذا أمر لا يشق عليها، حتى إن أرادت شق الترع، وضبط مياه النهر الأصفر، ومد السكك الحديدية، وتمهيد الطرق وشق القنوات للملاحة. فلو عدلت الحكومة عن تحصيل الضرائب نقداً، واستوفتها من المزارعين عملا فى الفترات بين مواسم المحاصيل، فإن الحشود الوافرة من الأيدى العاملة كفيلة بتحقيق مشروعات هائلة.

ولا ينبغى لأحد أن يظن أن جعل الصين أمة صناعية يبلغ مبلغا يحمل على اليأس حتى ما يجدى فى إدراكه مجهود يبذل، كلا بل الذى ينبغى أن يتم هو نشر الصناعة فى الصين رويداً رويدا، فالعجلة قد توجد من المشاكل ما يستعصى على الحل، فلا يبقى مناص عندئذ من العودة إلى أصل المشكلة وعلاجها من جديد، وهكذا دواليك، فلا يبوء العمل إلا بالخيبة والجهد المضاع.

٠٥٠٥٥٥☆☆٥٥٠٥٥٠

تعريفات

الغنى: هو الرجل الذى لا يستنكف أن يطلب إلى التاجر أن يأتيه بسلعة أرخص.

الشتاء: هو الفصل الذى نحاول فيه أن نجعل حرارة المنزل كمثل حرارته فى الصيف، حين كنا نجأر إلى الله من شدة الحر.

الضمير: هو ذلك الصوت الرقيق الخافت، الذى يجعلنا نُخافِتْ من كبرياء نفوسنا.

ينبوع الشباب الدائم

مختصرة من مجلة " ذس ويك "

زار المكاتب الحربى الشهير الكولونيل فردريك باص ، الجنرال ماك آرثر في مقر قيادته فى مانيلا ، فرأى قبالة رأى الرسالة التى ستقرأها فيما يلى ، موضوعة فى إطار على مكتبه ، وهى مبنية على قصيدة نظمها صمويل أولمان :

ليس الشباب زمناً من أزمنة الحياة ، وإنما هو شعور فى النفس ، وإرهاف فى العزيمة ، وتوقد فى الخيال ، ونشاط فى العواطف ، وإرباء الشجاعة على التهيب وغلبة شهوة المغامرة على حب الراحة .

وما من أحد يهرم لأنه عاش عدداً من السنين ، وإنما يهرم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانباً . وكرُّ السنين يترك الجلد مغضناً ، ولكن ترك الحماسة يغضّن الروح . والقلق ، والشك ، وعجز المرء عن الإيمان بقدرته ، والخوف والقنوط ، هذه هى السنوات الطويلات المدد التى تحنى الرأس ، وتردّ الروح الناطق تراباً فى تراب .

وسواء أكان الحى فى السبعين أم فى السادسة عشرة من عمره ، لم يخل قلبه من حبٍّ للعجيب الرائع ، ومن دهشة حلوة تساور النفس حين يرى النجوم وما يشبهها من الأشياء والأفكار ، ومن جرأة ماضية تتحدّى خطوب الدهر ، ومن شوق كالذى يملأ قلوب الصغار رغبة فى معرفة الغيوب ، ومن بشاشة للحياة الزاخرة بالمرح والنضال .

وأنت شاب بقدر ما أوتيت من إيمان ، وهَرِم بقدر ما منيت به من شك ، وصغير بمقدار ثقتك بنفسك ، وكهْل بمقدار وَجَلك ، وفتى بحسب أملك ، وشيخٌ بحسب يأسك .

وما دام قلبك يتلقى رسالات الجمال ، والبشر ، والشجاعة ، والجلال ، والقوة ، من الأرض ، ومن الإنسان ، ومن الآباد ، فأنت شاب .

ومتى وهنت الأسباب التى بينك وبين الحياة ، وطمرت حبة قلبك ثلوج التشاؤم والشك وقلة المبالاة ، فقد شيَّختَ حقاً ، وعليك رحمة الله .

[منذ عهد أشور إلى عصرنا هذا كانت العقاب شعاراً لمجد الأمم وسلطانها] .

ملك الجوّ

دونالد كلروس بيتي • مختصرة من "شيلتشر مجازين"

إذا نزلت أرض أمريكا فوقع بصرك على العُقاب الشهباء أول مرة لم تنسها ما حييت ، ولن تعدم أن تراها فى جلالها ووقارها ساكنة لا تتحرك وهى جاثمة على أعلى فنن فى أطول شجرة من شجر الغابة ، تحرس أنثاها أو ذكرها ، وترقب الغاب والماء.

ولن تجد فى الطير أشد منها إلفاً لوطنها . والعُقاب الأمريكية لا تفارق مملكتها البتة إلا أن تطير باحثة عن أنثاها ، أو أن تضطرها إلى الهجرة قلة الطعام حيث تكون . وأكثر الطيور تهجر أوكارها فى آخر كل فصل من فصول السنة ، فهى لا تعُدّها وطناً بل مهداً لأطفالها . أما العقاب فتبنى كل سنة وكراً فوق الوكر القديم ، وعمرها كعمر الإنسان من بنى آدم ، فمن أجل ذلك لا يزال وكرها يَعْظم على الزمن ، ويكون لها سكنا دائماً صيفا وشتاءً . وقد سقط وكر كان على شجرة بقرب بحيرة إيرى ، فبلغ وزنه نحو طنين ، وتبين أنه كان سكناً لها نحو قرن من الزمان . وقد عُثر على وكر آخر كان على صخرة فى ساحل كاليفورنيا ، فكان فيه حمولة بضع عربات من الأعواد وأوراق الشجر . وربما كان طول بعض الأعواد التى بنيت بها هذه القلعة الحصينة ست أقدام من فروع غير مشذّبة ، أما جوف الوكر فمبطّن بناعم الأعشاب والحشائش والطحلب والريش . وهى تتخذ وكرها فى مكان يطل على أروع مشهد من مشاهد الطبيعة التى تحيط بها .

وذكر العِقْبان يعاشر أنثاه طول عمره . وقد زعموا أن بعض الطير يفعل ذلك ، ولكنه باطل ، أما الذكر والأنثى من العقبان فيتلازمان فى فصل السِّفاد (التزاوج) وفى سواه ، حتى يفرق بينهما الموت . ويومئذ فحسب تهجر العقاب الثكلى مأواها لتهيم فى جو السماء حتى تجد رفيقاً أو رفيقة وتعود بها إلى مثواها . وفصل سِفادها ومغازلاتها يبدأ من نوفمبر وينتهى فى يونية ، فيظل الذكر والأنثى فى وكرها الذى يكون عادة على قمة شجرة غير بعيدة عن الماء ، وبينهما عشق طاغ ووَجْد لا تطفأ ناره . وثمة سبب يحملنا على أن نظن أن السفاد بينهما يتكرر كل يوم عند مطلع الفجر ومغيب الشمس ، وذلك دأبهما حتى تضع

الأنثى بيضها ، وبعد أن تضع أيضاً — كأن تلك المواقعة لم تكن من أجل النسل وحده. ويروى أحد علماء الطير أنه كان يسمع صيحات العقبان وهى تتسافد ، مرسلة من قم الأشجار الكثيفة المغمورة فى رهبة الظل والسكون .

وتضع أنثى العقاب بيضتين أو ثلاثاً لونها أبيض ، وهى ضئيلة الحجم بعض الشىء ، لا يزيد طولها عن ثلاث بوصات ، فهى أصغر من بيضة الأوز الكندى ، ونصف بيضة الأوز العراقى . فمن مثل هذه الكرة الضئيلة يخرج ملك الجو .

ويتناوب الأبوان على حضانة البيض نحو ٣٥ يوما ، فيظل أحدهما جاثما على البيض صابراً لا يتحرك نحو ٧٢ ساعة ، فإذا بلغ منه الجهد نبّه أليفه بصفير يفهمه أحدهما عن صاحبه ، وسرعان ما يحل محله فى الحضانة . وإذا اضطرت العقاب أن تترك وكرها ليس فيه من يحرسه، كان من دهائها وحكمتها أن تشعّث رأس الوكر بأوراق حائلة اللون من أوراق الشجر ، حتى يخيل لمن يراه أنه وكر مهجور .

أما الناهض، وهو فرخ العقاب، فيطول عهد طفولته ، لأنه يولد كما علمت ضئيل الجرم . والأسلوب الذى ينشأ عليه أشد تعقيداً من أساليب سائر الطير ، ولذلك يطول زمن تعليمه، ويبذل الأبوان لصغيرها من العناية والتعهد ما ليس تفعل مثله سائر طيور الجو . فأول ذلك أن تزقّ الأفراخ زمنا ، حتى إذا آن أوان كسْبها لنفسها طعامها ، عمد الأبوان إلى سمكة فجعلا ينهشانها على أعين الصغار ، لتتعلم منهما كيف تفعل ذلك . ثم يأتيان بسمكة ويقفان جانبا ريثما يتدرب الصغار على تقطيعها .

والنواهض (فِراخ العقبان) فى زمن طفولتها تلعب بالأعواد كما تلعب أطفالنا بالدمى ، فتتعلم كيف تقبض على الأشياء بمخالبها . ولا تستطيع الطيران حتى تنتف زغَبها أولا، ثم ينبت لها ريش أبيض جديد صلب المكسِر . ولا تزال كل يوم تتدرب على الطيران ، ويعلمها الأبوان كيف تثب ثم تحط على حافة الوكر الواسعة ، ضاربة بأجنحتها . وتظل تفعل ذلك ساعة وهى تمرح وتتصايح كما يفعل الأطفال فى ساعة لهوهم . وكل هذا تأهب للطيران ، فإن أحدها فيما يبدو لا يستطيع أن يطير كما تطير العقاب حتى يقضى أسابيع فى الرياضة والتدريب .

وأخيراً تستقل العقبان الصغار من وكرها لتطير وهى تصفق بأجنحتها خائفة هيابة ، ولكنها لا تلبث عادة أن ترتد على أعقابها بأسرع ما تستطيع . فإذا طال إحجامها

عن معاودة الطيران، أدَّبها الأبوان بحرمانها من الطعام ، وجعلا أمام أعينها قطعا مشتهاة من اللحم تتدلى على مقربة منهـا . فإذا تم لأحد النواهض أن يطير مسـتقلا بنفسه ، كوفئ بقدر وافٍ من الطعام .

والعقبان الصغار، إذا بدأت تطير ، كانت كالإناث والولدان إذا بلغوا سن الرشـد ، فيأخذ طوافها قريبا من مأواها يقل شيئاً فشيئا ، حتى إذا حال عليها الحـوْل الأول من عمرها انطلقت تبحث عن رزقها المخبوء فى نواحى الأرض . وهذه الصغار لا تشتهى السِّفاد حتى يمضى عليها أربعة فصول أو خمسة من فصول السفاد ، وتتوج هاماتها بإكليـل أبيض ناصع من الريش الناعم ، وحتى يتم ريش ذيلها الأبيض ، وهو علامة البـلوغ . ولـكنها قبل ذلك بزمان طويل تكون قد صارت لها السيادة والسلطان على مدّ ما يتناهى إليه بصرها . وهذه العقبان إذا نشرت أجنحتها كان بعد ما بين طرفيها سبع أقدام أو ثمان ، فهذه الأجنحة المنشورة الهائلة تظاهرها القوة الـكامنة فى خَـوافى ريشها الضخمة . ويبلغ طول أطول ريش قوادمها ٢٠ بوصة . وريش هذه القوادم متباعد الأطراف ، حتى تستطيع العقاب أن تنشر قوادمها متباعدة كأنها أصابع فى كف . وهـذا الضرب من الأجنحة المتفرقة القوادم من خواص جميع الطيور التى تحلق فى جو السماء غير مصفّقة بالجناح ، وكأنه هى التى تقيها من السقوط ، وتمامها فى العقبان هو الذى جعلها سلاطين الجو . وقد رآها بعض الطيارين محلقة على ارتفاع ٩٧٥٠ قدماً من سطح الأرض . ويبلغ من حدّة بصرها ونفاذه أن ترى السمكة على بعد ثلاثة أميال من حيث تحلق، فتنقض عليها دفعة فتختطفها من فورها . وهـذه القوة هى التى تجعلها فزعاً يرعب الصـقر السمّاك ، فكثيراً ما يضطره ملك الجو إلى أن يُلـْقى ما اصطاد مـن سمك ، فلا تلبث العقاب أن تلقف السمكة وهى هاوية بمهارة عجيبة .

وإذا بلغت بك سعادة الجَدّ أن ترى العقاب وهى تهوى هُـوِيّـا من جو السماء ، ترسل صيحتها وصريرها وهى تنقضّ على الأشباح السابحة تحت المـاء ، علمت عندئذ لم صـارت العقبان بحق ملوك الجو . وإذا قدر لك أن ترى سرباً من العقبان تحلق فى السماء وتحوّم وتدوّم صاعدة ثم صاعدة حتى تصـير بقعاً بيضاً فى زرقة السماء ، علمت عندئذ لم اتخذت الشـعوب صورة العقاب رمزاً لمجدها وسلطانها ، منذ كانت دولة أشور ، إلى أن كانت الإمبراطوريات فى عهد الرومان وعهـد نابليون ، ثم إلى يوم الناس هذا .

[illegible]

فيبي رادكليف • مختصرة من مجلة « وماتز هوم كومبانيون »

العجيب أن ما نعرفه عن قوامنا لا يعدو التافه اليسير . وكثير مما نعرفه عن هيئتنا ، ونمونا ، وازدياد وزننا ، ووقفتنا ، ومشيتنا ، وسلوكنا ، باطل . ولكننا نجد عند أهل العلم الأجوبة الصحيحة . فهذه أسئلة تتيح لك أن تتبين الصواب فيما تعرفه عن هذه الشئون .

[illegible]

باطل . فقد نظل آخذين بأسباب النمو حتى بعد الخامسة والعشرين ، فنبلغ أقصى طولنا في الخامسة والثلاثين أو الأربعين . ثم يأخذ الجسم في الانكماش مقدار ربع بوصة كل عشر سنوات ، وبعض السبب في ذلك ضمور غضاريف المفاصل والعمود الفقرى .

[illegible]

باطل . فقد زاد معدل طول الناس مقدار بوصتين تقريباً منذ العصر الحجرى ، وللبيئة أثر عظيم في حجم الجسم . فحيث تتيسر وسائل العيش ويتوفر الطعام يزداد طول الرجال والنساء .

[illegible]

حق على الأغلب ، فالرجل الرَّبْعة العريض الألواح ، يكون في العادة مرحاً ، متفائلا ، حسن المعاشرة ، يأخذ الأمور كما هي . أما الطويل النحيف الضيق الصدر فيغلب أن يكون كئيباً برماً ، تطيب له العزلة ، وينزع إلى المثل العليا .

[illegible]

حق على الأغلب . يرث معظم الأبناء عن آبائهم نمط القوام . ولهذه القاعدة العامة شواذ ، ولكن إذا كانت والدة حبيبتك أو خطيبتك ، هيفاء القوام رشيقة القدّ ، فلك أن تتوقع أن يكون لزوجتك مثل فتنة أمها بعد انقضاء خمس وعشرين سنة على زواجكما .

[illegible]

حق . إن شركات التأمين على الحياة ، تتردد في التأمين على حياة الذين تتجاوز بدانتهم حدود الاعتدال . ووزنك السوىّ ،

فى الخامسة والعشرين من عمرك ، ينبغى أن يظل وزنك ما حييت .

باطل . فالسمين المكتنز عرضة لأمراض القلب والكليتين ، وارتفاع ضغط الدم ، ومرض السكر . أما الطويل النحيف فعرضة للسل ، واضطرابات الهضم ، والإمساك ، والالتهابات المزمنة .

حق . حتى القوام القبيح يحسن منظره إذا حسنت مشية صاحبه وخفّ وَطْؤه على الأرض . والواقع أن حسن المشية يغير من هيئة الجسم . فاللُّغد ، وهو تلك الكتلة من الدهن عند أسفل الذقن ، والكرش ، والعجيزة البارزة ، لا تكاد تبين إذا مشى المرء منتصب القامة ، وأتيح للعضلات أن تؤدى عملها على خير وجه .

حق . إن النساء اللواتى يحملن السلال والجرار على رءوسهن ، لهن على الدوام قدّ أهيف مشيق ، إذْ لا بدّ لهن من التوازن التام والاتساق الكامل بين أعضاء الجسم ، لكى يقين ما يحملنه من السقوط .

باطل . ليس هذا وضعاً طبيعياً ، فهو يرهق الجسم ، وقد يؤدى إلى تقوس الظهر . والوضع الصحيح هو أن تقيم صدرك ، وأن ترفع رأسك غير متكلف ، وأن تدع منكبيك على راحتهما .

وأكثر الناس يسير منحنياً شيئاً ما إذ يعتقد خطأ أن فى هذا راحة لجسمه ، ولكن هذا الوضع الفاسد هو السبب الشائع الذى يورث التعب .

فالعضلات عندئذ تعمل على خلاف ما ينبغى أن تعمل .

باطل . إذا أعقبت الولادة راحة وافية ، ورياضة ملائمة ، لم يضرّا قوام المرأة . وقد ولد كثيرات من ممثلات السنما مراراً ، ولكنهن لم يزلن كما كن صِباً ورشاقة . أما اللواتى يتخذن نماذج للمصورين وبيوت الأزياء ، فقلتهن أمهات ، ويزعم المصورون أنهن صرن بعد الولادة أشد فتنة ونضارة .

المسحوق الذى منع الماء أن يتسرب إلى خط ماجينو ، متاح لك استعماله فى دارك :

جنبنى هذا الماء !

كرت ستيل • مختصرة من مجلة "فوربز"

سوف يظل خط ماجينو رمزاً لإخفاق عظيم، ولكنه أسدى إلى أصحاب الدور خيراً عميما .

فقد كان الماء المتسرب فى جوف الأرض أعقد مشكلة واجهها بناة حصونه . وقد أنشئت الدهاليز ، وحجر الذخيرة والثكنات على مئات من الأقدام تحت أرض كثيرة الأودية ، تنفجر فيها الينابيع ، وتجرى الجداول ، بل بنيت أجزاء منه تحت المستنقعات .

وكان الماء يتسرب من جدرانه المبنية بالأبرق، ويسيل إلى بعض حجراته فيملؤها، فلا تجدى المضخات فتيلا فى نزحها . أما الأماكن التى كفت فيها المضخات لنزح الماء فقد ظلت رطبة ، وخشى ضباط السلاح الطبى أن تتفشى أوبئة الأنفلونزا وذات الرئة، وخشى ضباط غيرهم أن يبتل البارود، وأن يعلو الصدأ الآلات الدقيقة .

وقد جربت جميع الوسائل المعروفة للوقاية من تسرب الماء فلم تجد شيئاً ، فقلقت الحكومة الفرنسية ، وعرضت جزاء كبيراً لمن يبتكر أسلوباً يجنب الخط أضرار الماء . فوفقت إلى الحل « مصانع هاجناور » . وهى شركة حسنة النظام عتيقة الأساليب ، تعنى بصنع ضروب الدهان للسفن والجسور، فصنعت مادة « أكويلا » وهى مسحوق ناصع البياض كالدقيق ، يعدُّ فذًّا بين المواد التى تقى من الماء .

فإذا خلط هذا المسحوق بالماء ودُلِك وجه الأبرق أو الآجر بهذا الخليط، نفذت دقائقه إلى ما تحت الوجه ، ثم تتمدد بعد أن تجف ، فتجعل الوجه طبقة لا ينفذها الماء ، وتمضى فى تحجرها على الزمن .. وثمة مزية أخرى ، هى أن الجدار يصبح أبيض كالثلج .

فلما ثبت نفع « أكويلا » ، جعلت الحكومة الفرنسية تستعملها فى المصانع المبنية فى جوف الأرض ، وفى برك السباحة فى باريس، وجدران سدود الماء، وفى الدور لمنع تسرب الماء إلى جوفها ، وذلك فى البلاد الفرنسية الاستوائية ، حيث الرطوبة تملأ قلوب البنائين يأساً وقنوطاً .

فلما دخل الألمان باريس ، دمرت القنابل مصنع هاجناور ، ولكن صاحبهُ رحل إلى الولايات المتحدة، ومعه سرُّ مادة «أكويلا».

كان مريضاً كسير القلب ، فسعى مرة أو مرتين ليقيم لها صناعة فى أمريكا ثم نفض يده من الأمر ، ولكنه لقى بعد سنة ونصف سنة، فرنسياً من رجال الصناعة ، كان قد صار مديراً لإحدى الشركات الأمريكية ، فأطلعه على نبأ «أكويلا» ، ولمح شعاعاً من الرجاء .

فعرضت نماذج من هذا المسحوق الأبيض على علماء مصلحة المقاييس الأمريكية ، وكانت هذه المصلحة قد جربت منذ عهد يسير ثلاثين تجربة بالمواد الواقية من الماء ، فلم تجد إلا مادتين «ممتازتين» تصلحان لهذا الغرض، غير أنهما لا تصلحان إلا إذا بنيت الجدران على نحو خاص . فأثبت امتحان مادة « أكويلا » أنها « ممتازة » ، وأنها تصلح للآبرق والآجر، سواء أطلى بها وجه الجدار من الداخل أو من الخارج .

وأقبل المقاولون الذين كادوا يقنطون من التغلب على الماء المتسرب ، فجربوا نماذج من هذه المادة ، وراقبوا نتائجها دهشين . فقد كانت ثمة دار لغسل الملابس قائمة على شاطىء البحر، وكان الماء ينفذ من جدارها، فلما دهن بطبقتين من هذا الطلاء صارت الدار جافة دافئة ، وصارت أجمل منظراً ، ولم يكلف كل ذلك أكثر من مئة ريال .

وطليت به جدران مستشفى لم يتم ، قبل هبوب عاصفة ١٩٤٤ ، فلما هبت انهمر المطر مدراراً على البناء ، تدفعه ريح سرعتها ٨٠ ميلا فى الساعة، فظل جوف البناء جافاً لم تتسرب إليه قطرة من المطر .

وكان فريق من المهندسين تساوره الريب، فوضعوا مقداراً من طلاء «أكويلا» فى شقوق سعتها بوصتان ، كانت فى جدران الدور الأرضى من محطة لنزح الماء . وكانت الشقوق تحت مستوى ماء المد ، وكان الماء يسيل منها، وأخفق كل مسعى بذل لمنعه. فجف الطلاء فى الشقوق، وكف ماء المد عن النفاذ، وبعد سنة لم يتبين المهندسون أثراً لتسربه .

وبعد أن تمت هذه الامتحانات ، عرضت شركة «بريما برودكتس» فى الربيع الماضى هذه المادة للبيع . وقد استعملت فى منع الرطوبة عن مبان كثيرة ، بعمل كمثل عمل تبييض الجدران فى بساطته ، وأقبل مئات من الناس عليها فطلوا بها الأدوار الأرضية فى منازلهم ، فحولوها من حجر قاتمة باردة رطبة ، إلى حجر جافة بيض كالثلج . وقد تم كل هذا لأن خط ماجينو أنشىء تحت مستنقعات فرنسا ، ولأن وصول الألمان إلى فرنسا دفع أحد أبنائها أن يهجرها إلى سواحل العالم الجديد .

مختصرة من مجلة «جريب فاين»
لكاتب مستكر

كنت قبل عام سكيراً ميؤوساً منه ، وقد حاولت أن أكف عن الشراب ولكنى كنت أزداد شرباً كلما كانت المحاولة أكبر ، وكنت أشرب لأسكر ، وأشرب لأظل محتفظاً بعقلى .

وقد ردتنى جمعية إرشاد المدمنين إلى الحقيقة .

ولم يكن لى سوى معرفة طفيفة غامضة بهذه الجماعة النافعة ، غير أنى استطعت أن أشق الضباب الذى فى رأسى وقتاً كافياً لأتذكر أن مقرها بمدينة نيويورك ، وكتبت إليها ، وكتبت على الظرف : « إلى مدير بريد نيويورك — أرجو أن تجد لى هؤلاء الناس ، وأنا محارب قديم اشتركت فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبى حاجة إلى معونتهم » . وعلمت فيما بعد أن ساعى البريد حين سلم رسالتى إلى مكتب الجمعية قال : « لقد وجدنا لكم للجندى ، وعليكم الآن أن تعالجوا أمره » .

وبهذا بدأت رسائل الجمعية . وكان أقيم فى مكان ناءٍ لا يتيح لى أن أتصل بها أو بأحد فروعها . وأقبلت الرسائل تترى بلا انقطاع ، وكثيراً ما كانت ترد كل يوم ، ومعظمها بالبريد الجوى . وكانت مكتوبة بعبارة أستطيع أن أفهمها ، وليس فيها تكتم فى موضع الصراحة .

ولست أومن بالاعتذار ، فلم أقدم عذراً ، ولكن هناك أسباباً معينة لعكوفى على الخمر . كنت قد سرحت تسريحاً مشرفاً من فيلق المشاة البحرى التابع للولايات المتحدة ، وكنت أزاول عملى ليلا ، وبنتى تعمل نهاراً ، وكان ابنى يعمل مع القوة الجوية التابعة للجيش فى الصين ، وانقطعت عنا أخباره شهوراً ، ومرضت زوجتى مرضاً شديداً ، وليس عندنا من يساعدنا ، وأرهقنى العمل . فرحت أشرب لأكتسب قوة ونشاطاً ، وصارت الخمر عصاً أزداد كل يوم اتكاء عليها .

وبعد أن ماتت زوجتى واظبت على الشراب للتعزى ، وفى ليلة ممطرة داستنى سيارة وتركتنى راقداً على الطريق .

وقضيت أسابيع فى المستشفى استطعت

بعدها أن أمشي متوكئاً على عصا ، وخرجت أنشد الشراب ، وهو مع إصابات رأسي يجعل المشي صعباً ، وكانت الدنيا تغيم وتذوب بعد مئة ياردة ، ولم أكن أشعر بالوقوع ، بل كأنما كانت الأرض ترتفع وتضربني . ولا بد أني وقعت أكثر من عشر مرات قبل أن يعثر عليّ قسيس منطرحاً على الأرض ورأسي مشقوق والدم يقطر منه .

ولم يكد يفوتني شيء من شرّ ما يلقاه المدمنون ، وقد حاولت أن أتطوع في الجيش مرة أخرى ، ولكن صحتي كانت دون حد القبول من جراء الإدمان . ولما أخفقت ، صرت أتورط في مشاجرات الشوارع ، وكثيراً ما كنت أستيقظ فألفي نفسي في محبس ، أتلوى من الآلام المبرحة التي يحدثها التهاب الأعصاب بسبب الإدمان . وهذه المعاملة التي يلقاها السكيرون عادة — كالحبس الانفرادي ثلاثين ساعة — تقوي الإدمان ، فقد كان كل ما أفكر فيه هو أن أظفر بكأس تمحو هوان ما مرّ بي .

وقصدت ذات ليلة إلى المطبخ لأجيء بزجاجة خبأتها فيه ، فأخطأت وتوهمت أن باب القبو هو باب الخزانة ، وهويت على درج السلم . وبعد ساعات أفقت ورأيت قططنا الثلاث واقفة أمام باب الموقد المفتوح تنظر إليّ ، فخجلت ، وأحسست أن نظرتها

جمعية إرشاد المدمنين هيئة لها عشر سنوات ، وأعضاؤها ١٢٠٠٠ ، وفروعها خمسون . وكل الأعضاء سكيرون تائبون . وهي لا تتقاضى رسوماً أو أجوراً ، وليس لها موظفون ، وبين رجالها كثيرون من طراز الزعماء . والمدمن التائب أقدر على إصلاح المدمن المعاقر .

الساكنة المستفسرة أفعل في نفسي من تأنيب أي إنسان .

وأظلتني الأزمة الآن ، ولم يكن الطبيب يحتاج أن يقول : « إن الشراب سيقتلك » ، فقد كنت أعرف ذلك ، فكنت أكف عن الخمر يوماً لأعود فأعبّ فيها في اليوم التالي . وأصبحت أحيا في عالم غائم أغبر . وتحركت في موضع ما من أعماق خاطري ذكرى بعيدة لجمعية إرشاد المدمنين ، فتعلقت بهذه القشة ، وكتبت إليها تلك الرسالة الأولى . ولما جاء الرد منها ، كان وجيزاً ومشجعاً :

« إن الجمعية ستعمل إذا أنت أردت منها أن تعمل » . وقد ألقى هذا القول عبئاً من التبعة على عاتقي ، ومضى الرد يقول : « إن كل ما يشترط للعضوية في الجمعية هو الرغبة المخلصة في الكف عن الخمر ، ويبدو

من المحقق أن لك هذه الرغبـة . وسنفعل كل ما نستطيع لمساعدتك ، ولن تطالَب بطبيعة الحال بأي نفقة» وتمنى الرد لى الخير، ورجا أن أعاود الكتابة ، ففعلت .

وقد تبينت من النشرات التى بعثت إلىّ بها الجمعية أن هناك نقطة هى محور الخطة كلها ، « قم فى الصباح وأنت مصمم على أن لا تشرب خمراً طول اليوم . لاتقل إنك لن تشرب الخمر أبداً ، واكتف بأن تجعل همك الامتناع فى هذا اليوم» وهذا معقول .

ومرت الأيام وأنا ثابت فى موقفى ، ولكن الأمر كان أكثر من مجرد حالة نفسية ، وهذا هو الذى أحوج إلى الطبيب ، فاستخدم المسكنات وهيدروكلوريد الثيامين (فيتامين ب ١) لتثبيت أعصابى وتقوية الرغبة فى الطعام .

على أنه بقى هناك وحش متربص بى — ذكريات مُرّة من الماضى لا يمحوها سوى الشراب . وقد طلبت منى الجمعية ، بحكمتها المعهودة ، أن أفكر هكذا : « اللهم هبنى سكينة أتقبل بها ما لا يسعنى تغييره ، وشجاعة لأغير ما أستطيع تغييره ، وحكمة أميز بها بين الأمرين » فوقع هذا من نفسى موقعاً عميقاً .

وصارت الرسائل بعد ذلك ترد كل يوم وفيها شىء كهذا : « إذا عذبك إحساسك بالحاجة إلى الشراب فكل حلواء ، فإنها دواء حسن ، لأن المدمنين تعتاد أبدانهم أن يكون فيها مقادير كبيرة من السكر ، ومتى انقطعت عن الشراب ، انقطع المدد من السكر » .

ولم أكسب المعركة على الفور ، فقد زللت زلّتين ، ولكن الجمعية والطبيب اتفقا على أن الزلة ليست نادرة فى البدء ، فشجعنى هذا . وقد بينا لى أن الزلة قد يعجل بها حدوث أزمة عاطفية ، فتعلمت أن أجتنب الجدل والتحمس ، ووجدت أيضاً أن الإسراف فى الثقة بالنفس خطر ، وكتبت الجمعية إلىّ تقول : إنى قد أكون أقرب ما يمكن إلى الارتداد إلى السكر ، حين أكون على يقين جازم من أنى ربحت المعركة .

وقد عثرت حديثاً على إحدى الزجاجات التى كنت خبأتها فى البيت ، فرددتها إلى مكانها بسرعة ، ولكن فتنتها أعادتنى إليها ، فدرت بالزجاجة ورفعتها إلى النور ، وشممت ما فيها ، وتساءلت هل ترى أستطيع أن أشرب كأساً واحدة ؟ وتصورت أنى صببت الشراب فى الكوب إلى نصفه ، وشعشعته بالماء ، وحسوت منه على مهل لأنعم بريّاه ولذعته المحببة ، فصارت أعصابى مشدودة كأوتار القيثارة . ولكن ساعى البريد جاء عندئذ برسالة طويلة من الجمعية ، وفى آخرها هذه الفقرة المدهشة :

«بعض أعضاء الجمعية بعد أن يرتفع عنهم

ضغط الإحساس بالحاجة إلى الخمر، يخطر لهم هذا الخاطر: « ربما أمكن الآن أن أشرب كأساً أو كأسين وأقف عند هذا الحد » فإذا قدر لك أن تبلغ هذه المرحلة ، فقبل أن تشرب هذه الكأس الأولى ، اجلس وتذكر ! هذا كل ما يمكنك أن تفعل ! أن تتذكر ! فإن كأساً واحدة أكثر مما ينبغي ، وألف كأس لا تكفي » .

فعرتني انتفاضة فقد كنت مشفياً على كارثة . وتعجبت لهذه الهداية التي جاءت عفواً ، فحملت إلىّ تلك الرسالة الخاصة في اللحظة الحرجة .

وكانت الرسائل ترد دائماً في أوانها بحذق، وكانت دائماً مشرقة، وفي كثير من الأحيان مرحة . ومنذ وقت وجيز ، وبعد أيام سيئة كثيرة ، فزعت فكتبت إلى الجمعية فجاء الرد : « أرجو من فضلك أن تهدأ أولا ! إني بعد أن أقرأ رسالة منك تكتبها وأنت مهتاج النفس، أحس أني أصبحت أهلاً لأن أوضع في محبس مبطن الجدران » .

وفي مرة أخرى وقفت على الحافة متردداً ، ففطنت الجمعية إلى ذلك ، وجاءتني رسالة بالبريد الجوي الخاص: «لاتتكلم بهذه اللهجة اليائسة، ولاتقل إن الأمر يكلفك فوق ما في طاقتك ، فقد كنت أظن أن مشاة البحرية لا يكفون أبداً عن القتال » . فأنقذتني هذه العبارة فإني فخور بأني كنت من مشاة البحرية

وقد أثمرت الرسائل حيث أخفق كل ما عداها، لأن الجمعية كانت تتكلم اللغة التي أفهمها، فقد كان أعضاؤها سكيرين مدمنين، وقد سبق أن أخجلني وأثارني على نفسي ما قاله لي ابني وبنتي في رفق ، ولكني يومئذ لم أجد مخرجاً ، فأقبلت على الخمر أكرع منها وأنا أجاهد مستيئساً أن أنسى كل شيء. وحثني الأصدقاء والمعارف أن أقسم على الإقلاع ، وأن « أكون رجلا » . ويظهر أنهم كانوا عاجزين عن أن يدركوا أن الإدمان مرض، وأنه لا وجه لتأنيب مدمن، كما أنه لا وجه لتأنيب إنسان إذا كسرت ساقه، أو إذا أصيب بالقُلاب (مرض القلب).

وقد وجدت أن الوسيلة التي تلجأ إليها الجمعية هي أنها لا تدفعك أو تقودك ، وإنما تسايرك وتقدم إليك ما تحتاج إليه — إذا كنت تريد أن تتقبله. فلا محاجّة ولا جدال ولا اهتمام أيضاً بالجماعات التي تكافح السكر. فإن أعضاءها ليسوا مصلحين، وهم لا يعنون بالجنس أو الدين، ولكنهم يشعرون أن مما له شأن عظيم أن يكون لك إيمان بقوة أكبر منك ، لأن وجود هذا الإيمان ، أو وجود شيء تعتمد عليه ، يجعل الكفاح أسهل .

وقد تساءلت في رسالة مني إلى الجمعية :

« ما خير كل هذا ؟ » : فأجابتني بقولها : « سيجيئك الجواب يوماً ما ، فإن أمامك سنين عديدة باقية ، فلماذا لا تجعلها جديرة بأن تحياها ؟ وهناك أناس آخرون مثلك تستطيع أن تساعدهم ، وليس أعون على نسيان نفسك ، من أن تعين غيرك » .

وخطر لى ذات يوم أن أذهب إلى نيويورك وشجعتنى مراسلتى للجمعية على ذلك، وكان القوم فى مكتب الجمعيـة يشتهون أن يرونى كما أشتهى أن أراهم .

وقد قالوا لى فى خلال الحديث أنى سأظل دائماً نزّاعاً إلى الشراب . وأكثر النـاس يفقدون الرغبـة فى الشراب يوماً ما ، ولا يغريهم به أن يجـدوه حاضراً ، ولـكنى أنا أحدهؤلاء القليلين المساكين الذين لا يزول الخطر عنهم أبداً ، فلست أستطيع أن أنظر إلى الخمر ، أو أشمها أو حتى أن أفـكر فيها ، وأنا آمن ، لأنها تحرك تلك النزعة الباطنة، فلو أنى زللت الآن ، لـكان من المحقق أن لا أقوى على خوض هذه المعركة مرة أخرى ، فالشراب فيما يتعلق بى ، معناه الموت .

وفى مقر الجمعية إحصاءات تدل على أن ٥٠ فى المئة ممن يتقدمون إليها برغبة صادقة فى الـكف عن الشراب ، يقلعون على الفور وأن ٢٥ فى المئـة ينقطعون عن الخمر بعـد زلـّة وزلتين ، أما البـاقون فبعضهم يخفق كل الإخفاق ، والبعض لا يبقون على اتصال بالجمعية ، وغيرهم يجـدد الاتصال ويكفّ .

وهناك فريقان لا تستطيع الجمعية معاونتهما: ضعاف القلوب الذين يلهون بفكرة الـكف عن الشراب وأولئك المصابون بمرض عقلى ، أو بآفة فى الدماغ .

وقد قوّى عزيمتى اتصالى بالقـوم فى نيويورك ، وأفادنى بصراً أنفذ بخطر العلاج الروحىّ . ولست رجلا متديناً ولـكنى فى خلال خروجى من عالم الإدمان بدأت أفطن إلى وجود قوة خارجية تعمل لخيرى ، وقد أدركت هـذا ببطء أثناء سيرى الطويل وحدى فى الريف . وبدأت أشعر أنه لا بد للحياة من نهج مرسوم ، فحاولت أن أبتهل إلى تلك القوة التى لا تدركها الأبصار .

وهذا التغيير الذى تساعد الجمعية عليه ، قريب الشبه بالهـداية الدينية ، بل الأمر واحد إذا كان صادقا ودائماً . وإنى لأرى الآن أن معظم الخيبات راجع إلى عدم التسليم بقوة أعظم من الإنسان . وقد لقيت تشجيعاً آخر لا من الجمعية وحدها ، بل من أصدقائى أيضاً . ومتى استعاد الإنسان قدرته على أن يكون فى الحياة حياً نافعاً ، واسترد الثقة بالنفس والإيمان بالمستقبل . فإن شيطان الإدمان يمكن أن يقهر . وأنا أعتقد ، وكذلك يؤكد لى أصدقائى ، أنى قهرته .

« طبيبة عيون إنجليزية تسرد حقائق تبعث الاطمئنان فى قلب كل من فقد إحدى عينيه » .

[illegible]

فيليس ديوك الدر[1] • مختصرة من مجلة " هايجيا "

ليس العَوَر نقمة كما نتوهم ، فإن الأعور يحسن البصر كما كان يحسنه قبل فقدان عينه ، وسرعان ما يتعلم كيف يقدّر الأبعاد ، ويعمل ما يتطلب دقة البصر ، كذى العينين سواء بسواء .

ولهـذا من الخطر ما له عند كثير من النـاس حتى فى زمن السلم ، ففى إحدى السـنوات مثلا فقد ٥٠٠٠ شخص فى الولايات المتحدة إحدى العينين أو كلتيهما وذلك فى المصانع ليس إلا . أما فى الحرب ففقد العين مشكلة عظيمة ، وقد بلغت إصابات العيون فى الحرب العالمية الأولى اثنين فى المئة من مجموع الإصابات . وفى الحرب العالمية الثانية أدّت كثرة استعمال الألغام والقذائف المتكسّرة والقنابل اليدوية التى تحدث جروحاً متعددة ، إلى مضاعفة هذا المعدّل تقريباً .

لقد عالجنا فى مستشفانا ألوفاً من الجنود الذين فقدوا عيناً واحدة ، وأصبح لزاماً أن يدرّبوا حتى يعودوا إلى الحياة العسكرية أو الحياة المدنية غير عابئين بما يلحّ عليهم من شـعور بالنقص يسحق قلوبهم . وأهم ما يحتاجون إليـه فى هـذا التدريب هو معرفة الحقيقة البسيطة مفرغةً فى تعبير بسيط ، وإليكم ما نقوله لهم :

كل من فقد إحدى عينيه توهّم أنه فقد نصف مجال البصر ، وليس هذا حقا ، فإن الخسارة لا تتعدى الخمس من مجال البصر على التقريب ، وهى خسارة ليست بذات بال . فنحْن جميعاً إنما نمدّ البصر إلى الأشياء الخارجة عن نطاق هذا المجال ، بتحريك العينين والرأس على الدوام بغير وعْـى منا . ولا يلبث الأعور غير قليل حتى ينمّـى هذه العادة ، فيصبح بَرَمه بالعجز من التفاهة بحيث لا يشعر به .

نعم قد يلحق بعض الضعف حاسة تقدير الأبعاد ، غير أن المرء لا يدرك هذا الضعف إلا فى تقـدير المسافات القريبة التى تبلغ قدمين أو نحو ذلك .

---

(١) الليدى ديوك إلدر طبيبة عيون ، كانت طوال سنوات الحرب كبيرة الأطباء فى مستشفى السنترال بإنجلترا ، حيث عولج عشرات الألوف من المصابين فى عيونهم .

أما تقدير ما فوق ذلك من الأبعاد ، فيم أكثره بأعمال يتولاها المخ سواء أكانت للمرء عين أم عينان . ففي أول الأمر يصب الأعور القهوة في الطبق لا في القدح ، ويعسر عليه أن يولج الخيط في الإبرة ، ويرتبك في تأدية أي عمل ميكانيكي يتطلب الدقة والإحكام . ولكن هذا الارتباك سرعان ما يزول بشيء من العناية والمثابرة ، ثم يتعود المخ بالتدريج أن يبني حسابه في تقدير الأبعاد على أشياء غير الرؤية وحدها.

وقد ينشأ طفل إحدى عينيه ضعيفة البصر أو عمياء ، فإذا كبر رأيته يعمل كما يعمل السليم العينين من لداته ، فإن مخه يعتمد منذ البدء على عين واحدة ، فيؤدي عمله أكمل أداء . والأغلب أن يشب الطفل وهو لا يكاد يدرك أنه مصاب بعاهة ، وإذا قيل له إن له عيناً لا تبصر ، لم يصدق ما يسمع .

ولكن الرجل إذا أصيبت عينه ففقد بصرها ، صار لزاماً عليه أن يتعود الرؤية بالعين الباقية دفعة واحدة . ومن أجل ذلك يحس في البدء بالحيرة والارتباك والقلق والكلال ، وإن كان أكثر من يصاب في إحدى عينيه يتغلب على هذا الشعور في بضعة أشهر .

على أن الآثار النفسانية التي يورثها العور تكون أعصى على العلاج في أغلب الأحيان. وهي مبعث تلك المخاوف المتطاولة الأكالة التي تنخر في الحياة ثم تقوضها .

وأشيع هذه المخاوف وأدعاها إلى الكرب والضيق هو الخوف على العين الباقية أن يعييها القيام بعمل العينين جميعاً ، فتغيض قواها هي الأخرى على مر الزمن .

وليس هذا بحق ، فإن العين كمصورة السنما تلتقط الصور باستمرار ، غير حافلة شيئاً بأختها تعاونها أو لا تعاونها . نعم إن أولئك الذين يفقدون إحدى العينين قد يشعرون في بدء الأمر بالتعب وبالصداع . ولكنها متاعب لا تلبث أن تزول ، وهي تختلف كل الاختلاف عن كلال البصر . وليس علاجها في الإقلال من عمل العين. بل في الإكثار منه ، مع فترات للراحة طوال الأسابيع القلائل الأولى ، إلى أن يألف المخ عمله الجديد ، فتكون العاقبة أن يقوى الأعور على تأدية أي عمل يتطلب الغاية في حصر البصر ويجيد ذلك ، وبرغم المخاوف الشائعة بين الناس ، لا تصاب عينه بضرر .

ومما يهول الأعور على الدوام أن تكون عاهته قد شوهت مرآه تشويها لا يستر . ولكن الجراحة قد ارتقت رقياً عظيما ، وأصبحت الأعين الصناعية في فن التجميل

الحديث من الكمال بحيث صار التشويه عند الناس وهماً غالباً لا حقيقة واقعة .

وعجيب أن يفقد الرجل ذراعاً أو ساقاً فلا يخشى فقدان ذراعه أو ساقه الأخرى ، فإذا فقد عينه انتابه الخوف على أختها، فأخذ يشيح عن الضوء حتى لا يؤذيها ، ويتجنب عمل المصانع كى لا تضار عينه ، بل يتحاشى كل ما ألف الناس من شئون الحياة ونشاطها مخافة أن يلحقه أذى . وتدل الإحصاءات على فساد هذه المخاوف، والواقع أن الأعور لا يتعرض إلا لنصف ما يتعرض له ذو العينين من المخاطر . وقد ظهر من بحث شامل حديث فى الصناعات الخطرة فى إنجلترا ، كصناعات التعدين ، ومصانع الصلب والحديد ، والمصانع الكيميائية وما شابهها ، أن معدل الحوادث بين العور ضئيل جداً .

لقد كان نلسون أشهر أمراء البحر الإنجليز أعور، ومثله قائد من أكبر القواد هو الفيلد مارشال اللورد ويفل نائب الملك فى الهند الآن . ومع ما يبدو من حاجة الطيران إلى البصر الحديد ، فإن الطيار الذى بلغ الغاية فى الطيران حول العالم هو الطيار الأمريكى الأعور ، وايلى بوست . وثمة رجل كان يقوم بعمل فريد من أشق الأعمال يتطلب الدقة والإحكام ، هو طبيب العيون الأمريكى الشهير فى الجيل الماضى الدكتور جون هويلر الذى فقد إحدى عينيه فى منتصف حياته الطبية، فراض نفسه على جراحة العين كأدق ما كان يفعل وأحسنه .

وكان فى مستشفانا مريض لاعب جولف محترف ، وأصيب بجرح فى عينه اقتضى استئصالها ، وذات يوم تبرع فجأة للمستشفى بثلاثين جنيها ، واعترف بأنه أراد أن يبرئ ذمته. وذلك أنه تسلل من المستشفى خفية ليختبر كفايته القديمة فى لعب الجولف فى مباراة ففاز بالجائزة الأولى، وعاد فتسلسل إلى المستشفى كما فارقه لا يراه أحد . وثمة أعور آخر فاز فى مباراة الرماية وعاد إلى الخدمة العسكرية ، وانتهت الحرب وهو فى فرقة من فرق المدافع المضادة للطائرات ضربت رقماً قياسيا فيما أسقطته من القنابل الطائرة . وهذا ثالث كان محاميا فقد إحدى عينيه وأصاب الأخرى بعض الأذى ، ومع ذلك فلم تمض ثلاثة أشهر حتى صار يقود سيارة فى شوارع لندن المزدحمة .

لقد دلت التجارب أن العَوَر ليس عاهة تعوق المرء عن العودة إلى العمل النافع ، فإن الأعور يستطيع ، إما بفطرته وإما بشىء من الإرشاد ، أن يزاول أعماله على خير وجه وهو مطمئن النفس سعيد .

« جن جنون الطبيعة ، وانطلق الإعصار المدمر »
السو نجت فينة من غوائله بشيء مستحيل قد تم ،

سفينة في إعصار

روبرت إسون رو

ربان السفينة الأمريكية "بيجل"

كنا بعض قافلة كبيرة أخذت تدنو من أوكيناوا فى فجر يوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٤٥ . وقد بدأ البحر يصطخب ، والمطر يزداد انهماراً ، والرؤية تشق على البصر . فلم يكن بد للسفن من أن تبدل مواقعها ، وهى تحاول أن تدخل خليج بكنر ، حتى تظل كل منها بمنأى عن الأخرى .

وفى الساعة الثامنة تبينت مدخل الخليج ، وقد تبينته حين رأيت كل السفن بدأت تخرج منه ، كأنها هجـــرة عامة . وحوالى الثامنة والدقيقة الثلاثين ، التقطت رسالة فحواها أن جميع السفن فى الخليج تلقت أمراً بأن تغادره ، وأن تمضى جنوباً حول الجزيرة ، ثم تيمم شطر الغرب لتنجو من شر الإعصار . وقد كانوا يتوقعون الإعصار ، ولكنه هب قبل موعده بيوم كامل ، وعلى مئتى ميل غرباً من حيث توقعوا أن يكون .

فحثثت رجالى على إنزال الظلل المنشورة على متن السفينة ، وعلى ربط الأشياء غير الثابتة ربطا محكما ، وفى الوقت نفسه أدرت السفينة نحو البحر واتجهت قليلا جنوبا إلى الشرق ، لأجتنب التورط فى زحمة القافلة ، ونحن فى جو تشق الرؤية فيه . وآنست نفسى أن الإعصار أدنى كثيراً إلينا مما ينبغى أن يكون ، وكنت قد عزمت أن أتجـه جنوبا فى الساعة الأولى بعد الظهر ثم غربا فى الساعة الخامسة ، وهذا مسير يجنبنى طرف الجزيرة الجنوبى ، فقد كرهت أن تلطم السفينة حواشى الإعصار ، فتقذف بنا على صخور الساحل .

كتب الضابط روبرت إسون رو ، رسالتين إلى أبويه وصف فيهما ما لقيه هو وسفينته بيجل من هول الإعصـــار ، واختصرت الرســالتان فى هذا المقال .

فلم تكد تبلغ الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، حتى كانت « حاشية الإعصار » شيئاً مخوفاً . فقد جعلت الأمواج تتعالى والرياح تشتد ، والعلم عند الله ، أين كانت سائر سفن القافلة فى تلك الساعة ، فلم يكن على مرأى منا سوى سفينة واحدة — سفينة المستشفى « كومفرت » ، ولم أرها إلا لماماً .

وأخذ اتجاه الريح وموج البحر يتغير فى تلك الساعة ، فإذا لبثنا فى مكاننا نجونا من دفع الريح وتكسر الأمواج علينا . وكذلك بدأت فى الساعة الواحدة بعد الظهر أحوّل اتجاه السفينة ، فكان جهاداً شاقا ، ولكننا تمكننا بعد ثلث ساعة من الدوران بها نصف دائرة ، حتى صار مقدمها إلى الغرب الجنوبى ، وإذا بنا نتبين السفينة « كومفرت » تومىء إلينا بأضوائها وتسألنا عن وجهتنا ، فقلت إن وجهتنا درجة ١٩٠ ، فجاء الجواب المحيّر بعض الحيرة ، أن وجهتها ١٥٠ (إلى جنوب الجنوب الشرقى) وأنها عاجزة عن أن تستدير فى البحر أكثر مما استدارت. وأطبق الجو علينا فلم نر بقية رسالتها ، والواقع أننا لم نرها مرة أخرى .

ولكننى أظن أن ربّانها كان يحاول أن يقول لنا إنه من الخير أن نلازمه ، وكان الموج آخذاً فى الارتفاع ، وكان فى وسعى أن أرى من مرقب السفينة ذروة الموجة المقبلة. وكذلك جاهدت حتى اتجهت يساراً ، فصارت وجهتنا درجة ١٥٠ ، أى صرنا محاذين للسفينة كومفرت . وهذا جعل الريح تهب على جنب السفينة الأيسر ، وهو وضع يهوّن عليها أن تركب متن الماء المائج.

وقد تعذر الدوران على السفينة كومفرت أكثر مما تعذر على ، لأنها عالية الجنبين كسفن الركاب ، ولها برج عال معرض للريح . وأما سفينتنا « بيجل » فكانت مثقلة بشحنها ، فلم يكن ارتفاع وسطها عن سطح الماء يزيد على ست أقدام ، وأما مقدمها ومؤخرها فكانا أعلى قليلا ، ولم يكن لها برج مرتفع . واطرد سوء حالة الجو بعد الظهر ، وقد أخذ التعب يدب فى أوصالى ، فقد مضى على ثلاثون ساعة لم أبرح مرقب السفينة . وفى نحو الساعة الثالثة ظننت أن الإعصار قد بلغ أوجه ، وأننا فى قلبه ، فأمرت الرجال أن يتجمعوا فى وسط السفينة ويبقوا هناك . ولم تنقض ساعة حتى عجزوا جميعاً عن البقاء على متن السفينة ، لأن الأمواج كانت تكتسحه ، ولو أقام بعضهم عند مؤخرها لحال طغيان الموج بينهم وبين رفاقهم .

وقد خيل إلى أن العاصفة قد بلغت أقطع شدتها ، لأننى أبيت أن أصدق أن ثمة ماهو

أفظع . وقد بلغت الريح من الشدة مبلغا يشق على الواصف ، وكان الموج المتلاطم يسامى رؤوس الصوارى . وقد خيل إلى وأنا فى المرقب ، أننى فى زورق صغير لا فى سفينة حمولتها ١٤ ألف طن ، ولكنها كانت سفينة صالحة لركوب الموج ، فهى تسمو على متون الأمواج ولا تنفذ فى جوفها إلا قليلا ، غير أن الرياح القوية كانت تكسر ذُرَى هذه الجبال ، فإذا تكسرت لطمت مقدم السفينة لطما شديداً . وكانت كل موجة تتكسر تدفع مئات الأطنان من الماء على البرج الأمامى ، ثم تتدفق هادرة فتصدم البرج الأوسط .

وخلال ذلك كان يلحقنا بعض الأذى ، فقد طار مصباح الجنب الأيسر ، ثم انفلتت خمسة عشر برميلا من زيوت التشحيم والبنزين ، وجعلت تتدحرج على مؤخر السطح ، وعجزنا عن أن نربطها ثانية أو أن نلقيها فى البحر ، فلم يكن فى وسع أحد أن يدنو منها . وما لبث معظمها حتى تشقق وإذا الزيت والبنزين يسيلان فى كل مكان ، ومن حسن حظنا أن الماء كان يجرفهما ساعة خروجهما من البراميل

وجاءتنى أنباء المصائب تترى — هذا زورق نجاة جرفه الماء ، وهذا زورق آخر قد تحطم ، وهذه حبال قد تقطعت . وقد عجب البحارة لأنى لم أحفل بهذه الأشياء . وسبب ذلك أن حالة الجو ، وعجلة القيادة ، ومحركات السفينة كانت تثير مخاوفى . ولو ذهبت المداخن لما باليت ماسلمت السفينة.

ولم يقوّ ثقتنا المتداعية ما كان يذيعه مكبّر السفينة ، فجميع السفن من حولنا تستغيث ولن نستطيع أن نغيثها حتى تسكن العاصفة . ومن ربابينها من يقول : « إننى هائم على وجهى ، وقد فقدت سيطرتى على سفينتى . أقدر موقفى ... » أو « سفينتى على الصخور وقد بدأت تتحطم ، سأصدر الأمر بمغادرتها » أو « نتوسل إليكم أن تغيثونا إن كان ذلك مستطاعا » ، حالة تورث الحسرة والإشفاق ، وكان أكثرها سفنا صغيرة — كمثل كاسحات الألغام . ولست أدرى كيف استطاع بعضها أن ينجو .

وحاولت جاهداً أن أتذكر ماتعلمته عن خواصّ الأعاصير ، ولبثت أترقب انحراف اتجاه الريح من الشرق إلى الشمال الشرقى ، وما استطعت أن أنسى أن جزيرة أوكيناوا كانت ورائى إلى الغرب ، وأن العاصفة تتقاذفنى فى هبوبها على الجزيرة . فمضيت فى اتجاه جنوبى شرقى ما استطعت ، مع أن ذلك كان اتجاه مركز الإعصار ، ولكننى كنت أرجو أن أعبر إلى الجنوب من الجزيرة . فإذا ما انحرفت الريح إلى اتجاه

شمالى ، تبعتها لكى تبقى وجهة سفينتى إلى عرض البحر .

وفى نحو الساعة الرابعة بدأت الريح تنحرف رويداً رويداً كما توقعنا ، ولكنها كانت أشد هبوبا، لو كان فى شدتها مزيد. وفى نحو السادسة ، كانت الريح تهب من الشمال وكنا قد تبعناها ، فإذا نحن نتجه شمالا، ولكن الموقف كان مذهلا .فلم يكن فى وسعى أن أرى الماء ، وكان كثير منه يطير رذاذاً فى الهواء فلا أرى سطح البحر، ولا سطح السفينة حيث قام البرج الأمامى . ولم أر من البرج إلا قمته وجنبيه أحيانا ، فأدرك أن مقدم السفينة لم يغمره الماء وكان الصارى الأول أمام المرقب ويبعد عنه أربعين قدما، فلم أتبينه فى الظلام إلا نادراً .

وأظن أنها كانت بعد السادسة قليلا ، حين قال لى مدير الدفة : « إن عجلة القيادة تضطرب يا كبتن — ولا أستطيع أن أحفظ السفينة فى مسارها » فجزعت ، وكان الملازم أوجدن معى فى المرقب ، فمضى من فوره إلى غرفة المحركات ليأتى بمساعد الميكانيكى ، فيزحفان حتى يبلغا سلما يصعدان عليه إلى حجرة توجيه السفينة .

فاعتصمت بعارضة خشب وابتهلت إلى الله، ولست ممن يثرثرون عما يكون من استجابة الدعاء و« المعجزات» ، ولكن تقع أحيانا حوادث تكاد تكون مستحيلة .

وبعد انقضاء عشر دقائق أو نحوها على ذهاب أوجدن قال مدير الدفة : « حين أمسك العجلة حتى لا تتحرك ، تنحرف السفينة أولا إلى اليمين مقدار ١٥ فى الألف من الدرجة ، ثم إلى اليسار مقدار ٢٥ فى الألف » . وكان معنى هذا أننا نستطيع أو نبقى متجهين إلى الشمال الشرقى ، مع انحراف يبلغ ٢٠ فى الألف على المعدل . فحمدت الله.

وبعد فترة طويلة عاد أوجدن . فقال : إن حجرة آلات التوجيه قد غمرها الماء إلى الوركين، فقد زال غطاء أحد المنافس، وصار الماء يتدفق بعد كل موجة تكتسح السطح . وكان محرك الدفة معطلا ، والماء قد ارتفع إلى مستوى الأسطوانات ، وصار تزييت الكباسات مستحيلا ، وتروس العجلة لا تتحرك لما داخلها من الخشب وسائر الأنقاض التى حملها الماء ، وكانت الدفة مستعصية لا تتحرك. فقلت له : لا ريب فى إنها تتحرك قليلا ، لأننا نستطيع أن نوجه السفينة بعض التوجيه . وليس ثمة شك فى أنها تحركت مراراً حين كان فى حجرة آلات التوجيه ، ولكنه أصر على أنها لم تتحرك ، ولعله حسبنى مخبولا أهذى — ولم يقتنع حتى راقب البوصلة بنفسه .

فأرسلنا فريقاً من الرجال إلى حجرة التوجيه ليسدوا المنفذ فيقف تدفق الماء ـ أو يقل . وقد استطاع هؤلاء الأبطال أن يفعلوا ذلك .

ولا أرى كيف أصف حال الجو ، فالأمواج كانت كالمردة تبلغ ستين قدماً أو ثمانين فى ارتفاعها . وقد أخذ الرعب بعض الرجال لما رأوا فى الساعة السادسة ليلا ، وما وافت الثامنة حتى تضاعفت شدة الريح ، ولم يكن فى يدى وسيلة أقيس بها سرعتها سوى زمجرة الريح ، فقد كانت ضجتها بين حبال السفينة كعزيف الجن .

وكان البارومتر آخذاً فى الهبوط ، فما وافى الأصيل حتى جعل يهبط هبوطاً سريعاً ـ ١٢ درجة إلى ١٤ درجة فى الساعة ، فجحظت عيناى وأنا أقرأ الأرقام .

ويغلب على ظنى أن الساعة كانت نحو الثامنة ، حين دمّر الماء والريح زوارق النجاة على جنب السفينة الأيسر ، أما كيف استطاعا أن يلويا قضبان الحديد كأنها قشّ هشّ ، فمن العجب الذى لا يتصوره عقل .

وفى نحو الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين حل أوجـدن محلى ، وقد كدت أعجز عن الوقوف ، فتهالكت على سريرى وأغفيت غفوة ، ولكنه أيقظنى فى الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين لأن حالة الجو ساءت . وظللت بعد ذلك قائماً ، ولكن الغفوة جددت قواى ، إلا أننى أحسست ألماً شديداً فى ساقى فقد توترت عضلاتهما من كثرة ما جعلت أميد مع السفينة ساعات عديدة لكى أظل منتصباً لا أقع . وكانت حالة الجو قد ساءت حقاً ، وظلت شدة الريح فى ذروتها سبع ساعات ـــ من الثامنة مساء إلى الثالثة صباحا ـــ ولكننى لا أذكر أننى باليتها كثيراً ، ولعل بالغ اهتمامى بحال الدقة حال دون ذلك .

ومضت الريح تنحرف وتدور ، ولكننا استطعنا بشِقِّ الأنفس أن ندير السفينة حتى تبقى الريح تهبُّ عليها من اليسار ، وفى كل مرة استطعنا أن نقف انحراف السفينة قبل أن يستفحل . فما وافت الساعة الحادية عشرة ليلا حتى كانت متجهة شمالا إلى غرب ، وإذا بنا نرى على حين فجأة وهجاً إلى يمين مقدمها ، فوجب قلبى وجيبا شديداً ، فإذا كان الوهج دليلا على سفينة ، فنحن بخير ، أما إذا كان دليلا على جزيرة أوكيناوا ، فنحن فى مأزق ، لأن الريح تدفعنا إليه دفعا . فبعثنا إشارة ، فلما لم نتلق جوابا قلنا إنه ضوء على الشاطىء . وكنا نعلم أن فى منطقتنا شاطئا ، ولكن قلوبنا تحطمت جزعا حين أدركنا أنه قريب

كل هـذا القرب . فلجأت مرة أخرى إلى الدعاء ، ثم أعلنت أننا سنستدير ونتجه جنوبا ، ولو كانت الريح على يميننا . وظن أوجدن أنى أهذى . وعلى كل حال أمرت أن تدار عجلة القيادة ، وأقسم بالله أنها استجابت ليدى البحار ، وغيرت السفينة اتجاهها . فلما دخلنا حجرة الخرائط لكى نحتفل بنجاتنا بتدخين سيجارة ، كان لون أوجدن ممتقعا ، فأمرته أن يذهب فينال قسطا من الراحة ، فمضى . ثم وجهنا السفينة إلى الجنوب فى اتجاه غربى يسير كما نشاء . وقبل أن تدق السـاعة الواحدة بعد منتصف الليل ، اختفى ضوء الشاطىء ، فكان ذلك دليلا على أننا وفقنا إلى السير جنوبا .

وكان كل رجل قد ارتدى منطقة النجاة منـذ الزوال ، ولم يكن بى حاجة أن آمر أحداً بارتدائها . وكنت أنا الرجل الوحيد الذى لم يرتدها . وقد كنت شـديد الرغبة فى ارتدائها ، ولكننى لم أتعود لبسها من قبل ، فإذا لبستها الآن . ذاع بين الرجال أن الربان قد استبد به الخوف كما تذيع النار فى الهشيم . وكيف يستطيع ربان سفينة أن يبدو رابط الجأش مطمئن النفس ، إذا أقبل على عمله وهو يرتدى ما يدل على تأهبه لهجر سفينته ؟ وكذلك وقفت بين الرأيين ، فأخرجت منطقة النجاة من مكانها ، ووضعتها على الكرسى فى مكتبى .

وفى نحو الساعة الثالثة من صباح الاثنين ١٧ سبتمبر خفت سَوْرة العاصفة ، ثم صرنا بعـد الساعة الثامنة قادرين على أن نروح ونغدو فى السفينة . وكان التلف باديا فى كل سطح من سطوحها ، سوى سطح المرقب ، فقد حطمت الريح مثلا باباً من خشب البـلوط سمكه بوصتان ، إذ نسفت الباب وإطاره .

وشرعنا لساعتنا ننزح المـاء من حجرة التوجيه ، فاستطعنا أن ننزل إليها عند الظهر ونلقى عليها نظرة . ومنذ خفت شدة العاصفة لم نحاول أن نوجه السفينة .

أثبت الفحص أن تروس العجلة مستعصية ، وأن وسائل التحريك عن بعد معطلة أيضاً ، فكان مستحيلا أن تحرك الدفة بتحريك عجلة القيادة فى المرقب ! ومع ذلك فقـد ظلت السفينة خاضعة لسيطرتنا طوال أفظع ليلة مرت بنا . وليس بيننا من يستطيع أن يعلل ذلك تعليلا مقبولا ، فليس له تعليل . وكلما ذكرته اعترتنى قشعريرة تدب فى أعضائى .

وفى الساعة الثانية بعـد الظهر ، كانت حجرة التوجيه على ما يرام ، ولكن المـاء قد جرف أجهزة التوجيه عن بعـد ، فاضطررنا أن نسير السفينة بالعجلة القائمة

فى مؤخرها . فلما تبينا موقعنا ، اعتماداً على الشمس ، اتجهنا إلى أوكيناوا ، فبلغنا خليج بكنر فى صباح الثلاثاء ١٨ سبتمبر .

لقد سلمت السفينة وشحنتها ، ولم نفقد أحداً من الرجال ، ولم يصب أحدهم بإصابة خطيرة ، ولكن السفينة لا تستطيع أن تركب متن البحر ثانية حتى يجرى فيها إصلاح كثير .

وأنا الآن متعب منهوك القوى ، وفى كل مفصل من مفاصلى ألم ، من جراء مَيَدانى واستمساكى بكل ما تطوله يداى حتى لا أقع ، إلا أننى لم أجد بداً من كتابة هذه القصة .

بعد عشرة أيام تعذر على أن أدوّن فى سجل السفينة ماحدث فى تلك الليلة العصيبة . فإذا كتبت : « فى الســاعة ٣٨ : ١١ تعطلت آلة التوجيه » عجز القارىء عن أن يوفق بين ذلك وبين قولنا إننــا وجهنا السفينة وجهة جديدة . وقد بحثت الأمر بحثاً وافياً عسى أن أظفر بتعليل معقول ، فأيد البحث جميع الوقائع . ولذلك لا أجد مناصاً من أن أسجل الحقائق المتعارضة ، متحفظاً فى تدوينها ما استطعت . وإذا حدث المستحيل كان خليقاً بأن يسجل . ومن حسن الحظ أن سجل السفينة « بيجال » لن يقرأه أحد على الأرجح بعد أن يطوى فى الخزائن الرسمية ، ولن يدعى أحد منا لتفسير ما حدث .

وقبل أن ألقى القلم ، أريد أن أقول : إن الذين عرفوا ما حدث يحمدون الله حمداً لا يبلغ اللسان غايته ، فنحن مدينون بحياتنا لذلك المستحيل الذى تمّ .

صورة لفظية

لقد مرنت على أن تقول بعينها ما يضّيع الناس أوقاتهم فى التماس العبارة عنه بالألفاظ .

[كورى فورد]

أعرب فردريك الكبير مرة عن إزدرائه لأحد الضباط ، فاعترض أحد القواد وقال : « لقد خاض هذا الضابط معارك عشر حملات » . فقال فردريك : « هــذا البغل أيضا قد خاض معارك عشر حملات ، ولكنه لا يدرى اليوم من أمر الحرب أكثر مما كان يدرى قبل المعركة الأولى .

[هوفمان نكرسون ، مجلة « ذى أميريكان مركيورى »]

آن للناس أن يجددوا إيمانهم

نورمان ڤنسنت پيل

مختصرة من مجلة "ومانزهوم كومپانسيون"

خلال الأعوام الستة الأخيرة ، حذقنا في القتل والتدمير ، وعلمتنا الضرورة أن نطرح جانباً ذلك الدرس القديم الذى يدعو المرء إلى حب جاره كما يحب نفسه .

أما الآن ، إذ لاح فجر يوم جديد ، فقد أخذ أمل جديد يختلج فى ملايين من الصدور ، وجعل عامة البشر يحنون إلى الإيمان بشيء أعمق وأخلد من أنفسنا .

ومن الدلائل على أننا تنبهنا مرة أخرى إلى قدرة الإيمان على إحياء النفوس ، هو أن الناس قد زاد إقبالهم على بيوت الله ، وأن المربين يزدادون عناية بالدين فى مدارسهم حتى رجال العلم الذين أطلقوا قوة الذرة المدمرة ، دعوا الله أن يهديهم وهم يعملون . والآن وقد أطللنا من فوق رأس المنحدر على مجهول الطبيعة ، فإنهم يحضوننا على نشدان النجاة من عند الله القوى العزيز .

إن هذا الظمأ العام إلى سلام حقيقى ، لا يمكن أن يطفأ إلا إذا قام عامة الناس من نساء ورجال ، فى كل مكان ، بالدعوة إلى دينهم والعمل به كائناً ما كان هذا الدين .

وقد انتهينا إلى زمن صار فيه لزاماً على

> إن صورة العالم بعد الحرب خليقة أن تكون سخرية ، ما لم يتبوأ الدين من نفوس الناس مكانه ، ولو أننا استمعنا جميعاً إلى ما يهيب بنا من أعمق أعماق روحنا ، إذن لما ذهبت تضحياتنا عبثاً .
>
> [لويل توماس]

أهل الأديان جميعاً أن ينتبهوا إلى حقيقة طال إغفال بعضهم لها ، وهى أنه ينبغى لكل امرىء من ذكر أو أنثى أن يحمل دينه معه حيث سار ، متبعاً لأوامره ومتجنباً لنواهيه فى كل شأن من شئون الحياة اليومية . وبذلك تصير حياتهم أرغد وأحفل بالخير والسلام . فإذا آمن بهذا الرأى نفر قليل وعملوا به ، كان خليقاً أن يمتد ويشمل الدنيا كلها ، وعندئذ يتيسر للبشر أن يعيدوا بناء هذا العالم الذى دمرته الشرور .

وكانت قد جاءتنى سيدة شابة أنيقة الثياب تنشد الهداية ، وكان لها زوج مخلص ، وأطفال حسان وبيت جميل ، غير أنها كانت تشعر بالإخفاق والهزيمة ، وتحس أن حياتها عبث ولا معنى لها .

فنصحتها أن تلتمس العـون من قوة أعظم منها ، واقترحت عليها أن تسأل الله المعـونة ثلاث مرات فى اليوم على الأقل ، لا لنفسها وأسرتها وأصدقائها فحسب ، بل لمن لا تحب أيضاً .

وبعد أسابيع قليلة زارتنى مرة أخرى، وكان فى محياها من السكينة وعليـه من الوضاءة ما لم يكن هناك من قبل ، وقالت إن متاعبها زالت واحدة بعد واحدة ، مذ توجهت بهـا إلى الله ، وأنها تحس كأنها إنسان آخر ، وسألتنى ماذا تصنع بعد ذلك.

فقلت لها : « إن الدين ، ككل خـير آخر ، ينبغى أن نشرك فيـه الآخرين » واقترحتُ أن تتصل بامرأة أخرى أعرفها، كانت قد جددت فى المدة الأخيرة إيمانهابالله.

والتقت المرأتان وصـارتا صديقتين على الفور ، وبدأتا تعملان فى هدوء وبحكمة بين معارفهما،وسرت عدوى اغتباطهما الجديد وسكينتهما ، وهما اليـوم نواة جماعة فيهـا أكثر من مئتين من الشباب وقفوا جهدهم على الحياة الصالحة — وهى حياة لا تقوم على التقوى الكئيبة بل على الغبطة العميقة .

وهكذا الدين ، يسرى وينتشر ، أو هو كما قال كارليل مرة : « يطير كالنار المباركة من قلب إلى قلب». والآن، وفى هذا العصر الذى أورثتـه الحرب الإعيـاء والكلال والشك الرخيص والوثنية الجديدة ، يجب على الناس أن يبثوا هـذه التعاليم الشافية للروح ، بالقول والفعل ، بين زملائهم .

أعرف فتاة تستقبل المرضى فى عيادة طبيب أسنان ، وهى ، على طريقتها الخاصة، تحسن العمل فى سبيل البر والخير والدين ، وهى لا تحـاول أبداً أن تلقى حديثاً دينياً على المرضى الذين يفدون على العيادة ، وإنما تدعو الله لهم فى سرها حين يدخلون ، وهذا فى العادة يلهمها أشياء صغيرة تستطيع أن تقولها أو تعملها للتسرية عنهم . وفى صباح اليوم التالى تدق التلفون لمن غادروا العيادة وهم فى ألم مبرّح، وتسألهم عن حالهم.

وقد اكتسبت مئـات من الأصدقاء ، وهؤلاء الأصدقاء لا يلبثون أن يتبينوا أن سر شخصيتها الجميـلة البريئة من الأثرة ، راجع إلى إيمانها البسيط ، فلا يتعذر عليها أن تغريهم بمشاطرتها هذا الإيمان . فلو أن هناك مليوناً من أمثالها لشهد العالم نهضـة دينية بين مساء وصباح .

وحتى فى أحط مراتب المساعى الإنسانية، تتاح الفرص لتحقيق ما أمرنا الله به، فى كل ناحية . وهذا يذكرنى بسائق سيارة مغرم بالغناء لقيته حديثاً .

كنت قد عدت لساعتى إلى نيـويورك بعد أن قضيت ليلتى فى القطار مسهداً ، فلما

عثرت على سيارة أجرة لم يسعني إلا أن أعجب ببشاشة السائق الوضيئة . ثم أدهشني أن أسمعه يسألني إذا كان يطيب لي أن يغنيني .

ولم أكن متحمساً للاقتراح ، ولكني أذنت له أن يفعل ما يشاء . فلما انطلقت السيارة تطوي الشارع ارتفع صوته بدعاء مأثور تغني به ، وكان صوته قوياً حسناً ، فأنساني التعب في أوجز وقت . ولما بلغت غايتي سألته عن هذا الدعاء ولماذا اختاره ؟

فقال لي إنه في كل صباح حين يهم بأن يخرج بسيارته من الجراج ، يحني رأسه فوق العجلة ويقول : « رب ، إني سأحمل وأنا أخترق شوارع المدينة ، كل صنوف الناس ، وسيكون بعضهم سعداء ، وبعضهم مهموماً ، والبعض متحطماً ، فكن معي يا رب في سيارتي ، وأعني على بث السكينة الشافية في نفس كل من ألقى »

وهذا هو الذي يقوي حاجتنا إلى الدين إذا أريد إنقاذ مدنيتنا المهيضة — في السيارات وفي المصانع والمكاتب ، وفي البيوت وعلى قارعة الطريق .

إن خيبة الأمل والحيرة الروحية هما سمة زماننا . وقد طرح كثيرون منا مثلهم العليا القديمة دون أن يعتاضوا منها سواها . حدثني ذات يوم طبيب نفساني مشهور قال : إن ملايين من الرجال والنساء يزحفون في الحياة على أيديهم وركبهم — مجازاً — لا لسبب سوى أنهم يأبون أن يعتمدوا على أية قوة سوى أنفسهم ، وهم يتوهمون أنهم شجعان مستقلون ، ولكن الحقيقة أنهم يسعون إلى التهلكة . وقال : إن الهم والشعور بالنقص قد صارا أعظم الأوبئة الحديثة . والحياة الدينية الصحيحة ، هي من وجهة نظر العلماء والنفسانيين ، هي المثل الأعلى للحياة .

وقد أدرك بعض جيراني مبلغ إلحاح الحاجة إلى الإحياء الديني ، فكونوا حديثاً جماعة ، وشرعوا يوزعون عدة آلاف من الرسائل الدينية كل شهر ، ولا تتعرض هذه الرسائل للمناقشات الدينية وإنما تعنى بأن تشرح « كيف » يكون التدين ، كيف يساعدك الإيمان على مغالبة الخوف والهم ، وكيف يعينك على حسن معاشرة الناس ، وكيف يمكنك من التحليق فوق الآلام والأحزان ، وهذه سبيل تستطيع جماعات أخرى أن تسلكها . وليس في الوسع أن ترسم طريقاً واحداً للنفس الإنسانية ، أو أن تضع خططاً محدودة لتجديد الإيمان . ولكنا جميعاً نستطيع أن نحاول أن نجدد إيماننا نحن ، وأن ننشره بين أصدقائنا وجيراننا . ولنذكر أن الإيمان دائماً قريب منا ينتظر من يصغي إلى نبض الروح .

هذه طبائع البشر

خرجت أتنزه مع صاحب لي فمررنا بملجأ الأيتام في المدينة ، وإذا صبي في الرابعة ، أحمر الشعر ينادي : « بابا ، بابا » . فحيرنا نداؤه ، ونظر كل منا إلى صاحبه ، ثم نظرنا إلى الصبي ، فقال دون أن يسأل : « أعليّ ضير إذا أنا جربت مثل هذا النداء ؟ » فضحكنا ومضينا ، ولكنني لم أستطع أن أنسى ذلك الصبي . وبعد أسابيع ذهبت أزور صاحبي وزوجته ، فوجدت أني لم أنفرد بما ترك نداؤه من أثر في نفسي . فقد وجدت أولاد صاحبي يلعبون في الفناء ، وقد زاد عددهم واحداً ، هو ذلك الصبي الذي ثبت له الآن أن لا ضير عليه إذا هو جرب .

كنا جماعة من الجند قد سرحنا لساعتنا من الجيش ، وكنا في قطار عائدين إلى أهلنا ، فذهبت بعيد قيام القطار إلى عربة الأكل لأحمل إلى أصحابي بعض أقداح من المرطبات . فلما عدت بها وقف أحد أصحابي فجأة فصدم ذراعي ، فاندلق الشراب على ثوب عجوز أنيقة كانت جالسة بقربنا . فجمد لساني خزياً ، ولكنني تمكنت بعد لأي من أن أتمتم : « معذرة ياسيدتي . عسى أن لا يكون الشراب قد أتلف ثوبك » .

فقالت وهي تبتسم ابتسامة لطيفة : « لا تبال يا فتى . وعليّ عن هذا الشراب » .

كان بحار يتردد على مقصف الجنود في نيويورك ، فجاءنا يوماً في ملابسه المدنية ، فأعجبنا جميعاً بجمالها وإتقانها . فروى لنا ما يلي :

« كنت لا أزال في ثوب الجند وعليه شارة التسريح من الجيش ، ووقفت أحدق في واجهة مخزن فيه ملابس الرجال ، فإذا أنا أسمع نشيجاً مكتوماً ورائي ، فالتفت فوقع نظري على سيدة نصف حسناء ، ورجل طويل أشيب ، يحاول أن يكفكف دمعها . فهممت أن أسير ، فاستوقفني الرجل وقال : معذرة « يا بني . أترضى أن تكلم زوجتي ؟ » فترددت ثم تمتمت : « أهلا وسهلا » . فقالت : « كان ابننا ديف يشبهك شبهاً كبيراً ، وكان بحاراً وقتل في أوكيناوا وكنا قد أعددنا لعودته ... » ثم تهدج صوتها .

« فقال الأب : ترى ... أترضى أن نصنع لك بعض ما كنا ننوي أن نصنعه له ؟ »

لم يسألاه عن اسمه ، ولا باحا له باسمهما ، فكان يناديهما : بابا ، ماما ، وكان كلاهما يناديه يابني . وذهبا به إلى خياط ، وتولت الأم الكلام فقالت : « نريد أن نرى حلة من الجوخ الرمادي ، سترتها مزدوجة الأزرار . فقد كان ديف يحب هذا النمط » . ثم اشتروا له قمصاناً وأربطة وأحذية وجوارب وقبعة . فلما ارتدى حلته ذهبا به إلى مطعم ، فجلس بينهما وطلب ألوان الطعام التي يشتهيها . فلما حانت ساعة الفراق ، ضمته الأم إلى صدرها ضمة الأم الحنون ، واغرورقت عينا الأب بالدمع حين صافحه . فقد تخيل الأبوان لحظة قصيرة ، أن « ديف » قد عاد إليهما .

من اهم ما تم صنعه فى الحرب ، جهاز كراحة اليد ، له شأن عظيم زمن السلام .

الأمواج الدقيقة آتية فى الطريق

تشارلس ماتشستر

مختصرة من مجلة " سينتفيك أمريكان "

تمكن مئات من علماء أمريكا وبريطانيا وهم وراء ستار الرقابة فى زمن الحرب ، من أن ينتهوا بالراديو إلى نطاق الأشعة المتناهية فى القصر ، المعروفة بالأمواج الدقيقة . وهذه الذبذبات القصيرة الحثيثة الاهتزاز ، أتاحت للعلماء أن يصنعوا طائفة من أجهزة رادار العجيبة ، التى لا يزال عملها أدنى إلى الخوارق . فقد استطاعوا أن يتبينوا بها تبيناً واضحاً طائرات الأعداء على مسافة مئتى ميل ، وكشفوا صواريخ الألمان وأسقطوها بمدافع ترشدها أجهزة رادار وتوجهها ، وحددت القاذفات مواقع المصانع من خلال أطباق الضباب والسحاب، وأغرقت السفن الحربية فى الليل البهيم سفناً معادية تبعد عنها أميالا . وأعجب من ذلك كله أن هذه الأجهزة استطاعت أن تستكشف البوارق قبل سقوط المطر بساعات .

أما فى زمن السلم ، فسيكون للأمواج الدقيقة نفع أعظم وأعجب . وقد تمَّ إنشاء شبكات لتوليد هذه الأمواج وإطلاقها ، وهى تبشر بقرب حدوث هذه العجائب التالية : فهذه مئات الألوف من المكالمات التليفونية الخاصة ترسل فى وقت معاً ، محمولة على منطقة واحدة من الأمواج ، بغير أسلاك ولا أعمدة ولا حبال من الأسلاك ممدودة فى جوف البحار . وهذه مدن يكون فيها لكل امرىء موجة راديو خاصة به ، يستطيع أن يتلقى بها الصوت أو الموسيقى أو صور الأشياء ، وأن يطلب رقم أى تلفون فى البلد بإدارة جهازه المرقوم وحسب . وسوف يقضى قضاء تاماً على ما يكون فى الراديو من لغط ناشىء من الأجهزة الكهربائية أو محطات الإذاعة . وسوف يتسع مجال الإذاعة مئة ضعف ، إذا قيس إلى مجال أمواجه المخصصة اليوم للراديو . وهذه شبكة لإذاعة الصور الملوّنة إذاعة واضحة تشمل البلد . وعسى أن يكون أهم من هذا كله ، إنشاء شبكة عامة من أمواج رادار ، تضبط حركة طائرات النقل، وتتيح لرجال المطارات فى طول البلاد وعرضها

أن يتبينوا حالة الجو بنظرة واحدة تلقى على الجهاز الخاص بها .

ولن تتم جميع هذه الأشياء معاً ، ولكن البحث العلمى فى زمن الحرب قد جعلها جميعاً ممكنة ، وسيتم لنا بعضها ما بين طرفة عين وانتباهتها .

إن مركز بحث الأمواج الدقيقــة فى أمريكا ، قائم فى مختبر الإشــعاع فى معهد ماساشوستس التكنولوجى . وقد أنشئ هذا المختبر سنة ١٩٤٠ ، وكان عدد علمائه ومهندسيه ومساعديهم زمن الحرب ٣٨٠٠ نفس ، منهم فريق من أكبر علماء الطبيعة .

وكان رادار يومئــذ فى مهده ، وكان العلماء يعرفون أن الأمواج القصيرة فى طيف الشمس ، قرب منطقة الضوء المرئى ، لها خواص غريبــة ، فهى لا تتبع فى سـيرها تكور سطح الأرض ، وإذن فالتقاطها فى مكان ما وراء الأفق كما تلتقط أمواج الإذاعة الطويلة ، أمر متعذر . ولما كانت هذه الأمواج قريبة من منطقة الضوء المرئى فى الطيف ، فإن لها خواص كمثل خواصه ، فالأجسام الصلبة تصــدّ الأمواج الدقيقــة وتعكسها ، فإذا اعترض مسارها بناء أو جبل ، تكوّن للبناء أو للجبل « ظل » فى الناحية الأخرى . ثم إن أمواج الإذاعة العادية تنتشر فى كل جهة من السلك الهوائى الذى تنطلق منــه ، ولا يستطاع توجيهها وجهــة خاصة إلا بقدَر ، ولكن الأمواج الدقيقة ترسل فى شعاعة واضحة المعالم ، كأنها الضوء المنبعث من مصباح كشاف .

وكان العلماء يعلمون ما للأمواج الدقيقة من منافع عظيمة ، ولكن لم يكن بد من صنع المعدات اللازمة للانتفاع بها . وقد كان أحد هذه المعـدات جهاز « المـاجنترون » وهو أنبوب يخدعك ببساطتــه ، ولكن لا معدى لك من أن تعدّه أحد المخترعات العظيمة التى أسفرت عنها الحرب .

هو جهاز مصنوع من فلز ، وحجم بعض الأجهزة يبلغ صِـغره بحيث تضع الجهاز كله فى راحة يدك . وقد صنعه فى أوائل الحرب علماء الطبيعة فى جامعــة برمنجهام الإنجليزية ، فلما تولاه علمــاء مختبر الإشعاع ومهنــدسو شركة بل للتلفون — صار الماجنترون قلب جهاز رادار الحديث .

وأهم ما تراه فى الماجنترون سلسلة من فجوات كخرم المفتاح ، محفورة فى قطعة من فلز كطوق الكلب ، وهى تحيط بمصــدر الطاقة . وينطلق تيّار من الكهيربات من خلال هــذه الفجوات ، فينشىء ذبذبات حثيثة الاهتزاز ، كما ينشأ الصفير العالى من اندفاع الهواء فى ثقب صفّــارة ، فتولد هذه

الأنابيب أمواجاً قصيرة لا يزيد طولها على بوصة واحدة ، وفى الوسع توجيهها توجيهاً محكما على مسافات بعيدة ، كأنها خط دقيق من الضوء . وتكاد جميع أجهزة رادار التى قصّرت أمد الحرب وأنقذت ألوفاً من الناس ، تعتمد فى عملها على هذه الأمواج الدقيقة الموجهة .

ولم يلبث العلماء أن تبينوا أن هذا الجهاز المرهف الإحساس متعدد المنافع أيضاً . ففى مارس من سنة ١٩٤٢ كان العالم الدكتور دونالد كار يمتحن جهاز رادار على سطح المختبر ، فتبين « أصداء مزعجة » تمثلت على اللوحة أمامه أشباحاً شعثاً غامضة المعالم ، لا يمكن أن يكون مردّها إلى الطائرات ، أو أى جسم صلب آخر . فخطر له أن سبب الأشباح غيوم مثقلة بماء المطر ، فأنبأ سلاح الطيران ، فهبّ رجاله فطاروا إلى المواقع التى قدرت لهذه الغيوم ، فصدّق الخاطر ، وصار الجيش منذ ذلك اليوم يعتمد على أمواج رادار الدقيقة فى استكشاف العواصف فى المحيط الهادى قبل هبوبها وانهمار مطرها .

وقبل أن تضع الحرب أوزارها ، طلبت الشركات التى تصنع أجهزة المخاطبات والكهرباء ، أن تصرح لها الحكومة بمد الشبكات الكهربائية اللازمة للتلفزة والراديو والتلفون ونقل الصور . وقد شرعوا فى إنشاء طائفة منها ، واستولوا على القمم التى تصلح لرفع العمد العالية التى تلتقط الأمواج ، ثم تعيد إذاعتها إلى المحطة التالية .

وقد خطت شركة « ريثيون » الخطوة الأولى فى إنشاء شبكة من الأمواج الدقيقة تعم البلاد كلها . وهى اليوم معنية بأن تصل مدينة نيويورك بمدينة بوسطن ، ورجالها يشيدون ستة أبراج على ست آكام بين المدينتين ، يبعد كل منها عن الآخر ٣٥ ميلا ، فينقل الأمواج التى يتلقاها إلى البرج الذى يليه . وهمّ الشركة متجه إلى أن تربط فى آخر الأمر بين المدن الكبيرة وكثير من مناطق الريف، بأسباب من الأمواج الدقيقة.

وإذا طلبت دليلا آخر على هذا الانقلاب فى المخاطبات ، فإنك تصيبه فيما أعلنته شركة «وسترن يونيون»،من الاستغناء عن أعمدة التلغراف متى تم استعمال الأمواج الدقيقة . وقد أنشأت هذه الشركة حلقة لتجربة التجارب تصل مدينة نيويورك بمدينة فلادلفيا ، وهى تستعمل أمواجاً طولها ثلاث بوصات، تستطيع أن تنقل بها ١٢٨٠ رسالة برقية فى وقت معاً . وهى تنوى أن تعمم هذه الطريقة حتى تشمل البلاد الأمريكية ، فيكون ذلك قضاء على أسلاك طولها ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ ميل ، تراها اليوم محمولة على الأعمدة أو ممدودة تحت الأرض

لنقل الرسائل البرقية . فإذا تم هذا العمل ، كفل للناس وفراً كبيراً فى مراسلاتهم .

وإذا لم يزد طول الأمواج الدقيقــة عن قدر بعينه، أمكن إرسال تيارها فى «أنابيب» تمد فى جوف الأرض . وقد مضى زمن على شركة التلغراف والتلفون الأمريكية ، وهى تتعهد نظاماً يمكنها من أن تمد تحت الأرض أسلاكا بعيــدة المدى تحمل رسائل كثيرة فى وقت واحد ، ثم توجه عليها أمواجاً تبلغ من القصر مبلغاً يجعلها غير صالحة للانتقال فى أسلاك البرق المكشوفة الممــدودة بين أعمدة التلغراف . وفى الوسع أن ترسل على هذه الأسلاك الممدودة تحت الأرض ، مئات من المحادثات التلفونية فى وقت معاً ، وأيضاً برامج التلفزة المعهودة الآن والراديو وغيرها . وقد بدأت هــذه الشركة توسع من نطاق هــذا النظام حتى يعم القــارة ، ولـكن الأمواج البالغــة الدقة لا يمكن أن ترسل إرسالا صالحاً على هــذه الأسلاك . ولما كانت هذه الأسلاك غالية الثمن وعرضة للتلف ، عمدت الشركة إلى الآكام تبنى عليها المحطات لتتخذها أسـباباً تحمل الأمواج الدقيقة بين نيويورك وبوسطن ، ثم تقارن نتائجها بنتائج الأسلاك الممدودة تحت الأرض. وقد تقــدمت شركتا وستنجهوس الـكهربائية وجلين مارتن للطائرات، بأعجب مشروع فى هذا الشأن . فهما تقترحان أن تركبا محطات للتلفزة فى طائرات تحلق فى الجو ، فتلتقط هذه المحطات المحلقة أمواج البرامج المذاعة من محطات على سطح الأرض، ثم تعيد إذاعتها على الناس، كأنها تنثرها عليهم نثراً من جو السماء . ومعظم محطات الإذاعة التى تعتمد على الأمواج الدقيقــة فى إرسال برامجها، يستطيع أن يوصل برامجه إلى أجهزة لاقطة قائمة فى نطاق لا يتعدى خمسين ميلا . ولـكن البرامج المذاعة من طائرات محومة على ارتفاع ستة أميال فوق مدينة كبيرة ، يمكن أن تصل إلى الأجهزة اللاقطة فى منطقة أوسع كثيراً . وإذا أذيعت هذه البرامج من طائرات محلقة فى الفضاء ، لم يجد الناس الذين يقطنون الأودية أو قرب المبانى الضخمة ، أى عناء فى التقاطها خالية من كل لغــط .

وثمة شركات أخرى — كشركة الآلات التجارية الدولية ، وشركة جنرال إيليكتريك وشركة جوديير — تجرب التجارب بدفع مناطيد ليس فيها طيار إلى طبقات الجو العليا فوق المحيط الأطلسى، ثم تسيطر عليها بأمواج رادار فتتخذها محطات تذاع منها البرامج بالأمواج الدقيقة ، إلى ما وراء المحيط .

ويرى بعضهم أن انتشار استعمال الأمواج الدقيقة ييسر كثيراً من مهام رجال المال

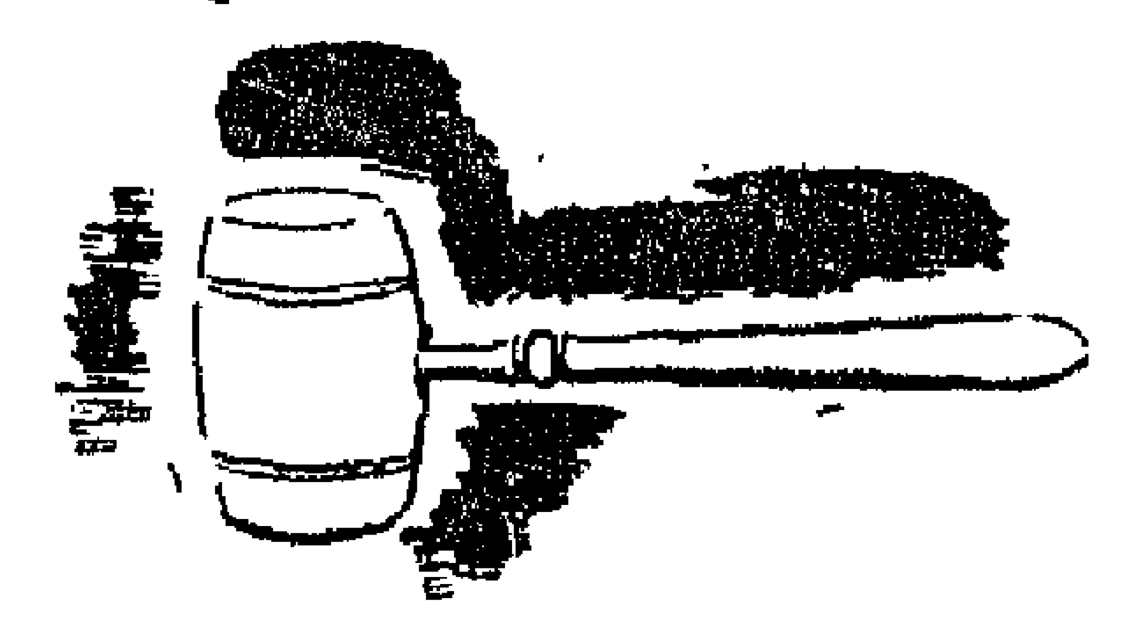
والأعمال . فهؤلاء الرجال يرحلون اليوم رحلات مملة كثيرة إلى مدن بعيدة ، ليحضر أحدهم اجتماعاً خطيراً قد لا يزيد على ساعة . أما فى غد القريب ، فإن التلفزة والتخاطب بوساطة الأمواج الدقيقة، يمكنانهم من شهود الاجتماع والتحادث ورؤية بعضهم بعضاً ، وبين كل منهم ألوف من الأميال .

وهناك طريقة جديدة أخرى لاستعمال الأمواج الدقيقة ، سموها « التحكم فى نبرات الصوت » . وحين عرضت أول مرة دخل أربعة وعشرون صحفياً أربعة وعشرين كشكا من أكشاك التلفون ، وبدأ كل منهم يتحدث ، فطارت أحاديثهم فى الهواء خليطاً واحداً من الذبذبات الكهربائية الدقيقة مسافة ثمانين ميلا ، ثم ردت إلى أربعة وعشرين كشكا مجاوراً ، كان فيها أربعة وعشرون آخرون من الناس ، فدار بينهم حديث واضح كل الوضوح أخذاً ورداً . ولولا أنبوب جديد يدعى « سيكلوفون » لما كان هذا العمل العجيب مستطاعاً . ففى هذا الأنبوب جهاز كهربى يدور حول طرف كل من التلفونات الأربعة والعشرين، فيلتقط أطراف الأحاديث بسرعة ٨٠٠٠ مرة فى الثانية ، ثم يرقمها ويرسلها فى الهواء . فإذا بلغت سماعات التلفون فى الطرف الآخر فصلت هذه القطع المختلطة بعضها عن بعض بحسب رقمها وترتيبها ، فيسمع كل رجل حديث صاحبه دون حديث الآخرين . وأما فاصل الزمن بين قطع الأحاديث ، فأقصر من أن تتبينه أذن البشر ، فيجرى الحديث على ما ألفناه بين الناس .

وهذا النظام يمكنك من أن تذيع خليطاً من ٢٥٠ حديثاً تلفونياً ، وإذا تعددت المحطات التى تعيد إذاعة الأمواج التى تلتقطها، استطعت أن تجرى هذه الأحاديث على مسافة ٣٠٠٠ ميل دون مشقة .

وهذا الجهاز يمكن أصحاب محطة إذاعة ، أن يذيعوا عشرة برامج موسيقية أو أكثر فى خليط واحد من الأمواج ، أما الجهاز اللاقط الذى ضبط على طول موجة بعينها ، فيركب فيه ما يمكن صاحبه من أن يختار البرنامج الموسيقى الذى يؤثره من هذا الخليط . ثم إن السيكلوفون يمكن محطة التلفزة أن ترسل الصور والأصوات التى تصحبها على موجة واحدة .

وقد أرادت الحكومة الأمريكية أن يطلق اسم « التجربة » على جميع هذه المشروعات . ولكن نجاحها ، يبدو الآن أمراً لا ريب فيه ، ولن تنقضى بضع سنوات حتى يكون للأمواج الدقيقة أثر عظيم فى حياة الناس وأسباب معيشتهم .



كن أنت قاضياً

عندما يواجه القضاة قضايا تنطوى على مشاكل تستعصى على الحل، فكثيراً ما يضطرون إلى الفصل فيها دون استعانة بسوابق القضاء المألوفة . وإليك عدداً من هذه القضايا اختارها هنتنجتون كيرنز المستشار القضائى لدار الفنون الوطنية بوشنطن ، وينج ب . سميث عميد مدرسة الحقوق بجامعة كولومبيا . وكان من الممكن عقلا أن يكون الحكم فيها براءة أو إدانة ، فهل توافق القضاة على ما قضوا به ؟

١ — اصطدمت السفينة وليام براون بجبل من الثلج وغرقت، ونجا معاون الربان وثمانية من البحارة و٣٢ من ركب السفينة فى زورق النجاة . وكانوا على شفا الهلاك ، فإن حافة الزورق لم يكن بينها وبين سطح الماء إلا قليل ، وكان من المحتمل أن يبتلعهم اليم بين لحظة وأخرى . وبذلوا الجهد فى نزح الماء منه فلم يغن ذلك فتيلا ، ولم يبق سوى التخفيف من حمولة الزورق . فأمر معاون الربان بحارته أن يؤدوا واجبهم، على أن لا يفرقوا بين المرء وزوجه ، أو أن يقذفوا بامرأة إلى الماء . فتولى البحار هولمز قذف اثنى عشر رجلا فى البحر ، بغير قرعة . ولم يمض على قذف هؤلاء النفر إلا قليل حتى جن معاون الربان وذهب عقله ، وخلفه هولمز على قيادة الزورق ، ونجا بما بذله من جهود ركب الزورق الباقون .

اتهم هولمز بالقتل ، فهل تدينه أنت أم تبرئه ؟

٢ — كانت أفراخ الدجاج التى خرجت من بيضها منذ يوم واحد تباع فى مدينة سيتل بسعر الفرخ الواحد عشرة مليمات . وعلم رئيس جماعة مفرخى الدجاج أن اليابانيين قد اكتشفوا طريقة للتفريق بين الذكر والأنثى من الأفراخ . وكان الفرخ الذكر يساوى سبعة مليمات ونصفاً، والأنثى تساوى ٢٠ مليما . فاستقدم اثنين من الخبراء اليابانيين إلى مدينة سيتل ، ولكن حيل بينهما وبين دخول الولايات المتحدة طبقاً لقانون الهجرة ، فأنزلهما بكندا ، وأخذ يرسل إليهما الأفراخ بالقطار السريع ، ثم يعيدها بعد تعيين جنسها .

وفرض عمال الجمارك رسما على الأفراخ المعادة ، محتجين بأن قيمتها قد ارتفعت ،

أو أن حالتها قد تحسنت . وزعم المفرخون أن الأفراخ لم يزد عليها شيء ، وما هو إلا خصيها . فذلك أشبه ما يكون بشراء صورة من بائع أدوات مستعملة بأربعة جنيهات ، ثم إرسالها إلى خبير بلندن لتثمينها ، فيجدها من تصوير رمبراندت ، فيقومها باثني عشر ألفاً من الجنيهات .

فأيهما على حق ؟

٣ — بينما كانت هيلين بالسجراف واقفة على رصيف محطة سكة حديدية تنتظر القطار ، جاء رجل يحمل حقيبة ويركض ليلحق قطاراً آخر قد بدأ يتحرك في هذه اللحظة فقفز إلى إحدى العربات ، ولكنه مال كمن يوشك أن يسقط ، فأدركه حارس العربة بعينه ، وأخذ حارس آخر على الرصيف يدفعه في العربة غير محتفل . وبين ذلك أفلتت منه الحقيبة فوقعت بين القضبان ، وكانت على براءة مظهرها تحوي مفرقعات ، فلم تكد تصطدم بالقضبان حتى انفجرت وتناثرت بعض شظاياها إلى نهاية الرصيف الآخر على بعد ثمانية أمتار ، فأصابت إحداها ميزاناً فوقع على هيلين بالسجراف ، فرفعت على شركة السكة الحديدية دعوى تطالبها بتعويض عما أصابها .

ترى أيحكم لها بهذا التعويض ؟

٤ — دخلت حامل قد دنا وضعها مستشفى تعاقدت معه على أن يعنى بها وبطفلها بعد أن يولد . وأجلست المرأة في كرسي ، ثم وضعت في مصعد يحملها إلى طابق عال لتفحص فيه . وأدى إهمال قيم المصعد إلى وقوع المرأة من الكرسي على الأرض ، فعلقت قدمها بين أرض المصعد وجدار البئر التي يتحرك فيها ، فأصيبت بأضرار في قدمها اليسرى وحوضها وجانبها الأيسر ، فرض الجنين في بطنها رضاً شديداً أدى إلى ولادته مشلولا . فهب أن المستشفى مسئول عما أصاب الأم ، فهل تحسبه مسئولا عما أصاب الجنين من أذى قبل أن يولد ؟

٥ — حوكمت بغي على جريمة قتل فبرئت منها ، وأقلعت عن سيرتها الأولى وتزوجت وعاشت عيشة كريمة ، واستقرت في بيئة محترمة ، واستصفت بعض أصدقاء كانوا يجهلون ماضيها . ثم ظهرت في السنما رواية دار موضوعها على ماضيها كما كانت ، وذكر فيها اسمها وهي عذراء بغير إذن منها أو علم . فعرف أصدقاؤها ماضيها الوضيع ، وجعلوها عرضة للتعيير والاستهزاء . فهل تستحق تعويضاً ؟

٦ — هجر جون دو زوجته ماري ،

وأقنعها أخوه بأنه هلك فى سفينة قد غرقت. وبعد ستة أعوام من غيبته لم يسمع عنه شىء فيها، تزوجت مارى من رتشرد رو، وهى تعتقد اعتقاداً صادقاً أنها أرملة. ثم ظهر بعد ذلك أن جون لا يزال حياً، فحوكمت مارى بتهمة تعدد الأزواج بمقتضى قانون ينص على ان من كان متزوجا ثم عاد فتزوج شخصاً آخر فى حياة الزوج الأول، رجلا كان أو امرأة، عدّ مذنباً وحوكم لتعدد الأزواج، ما لم يثبت أنه حين تم الزواج الثانى، كان الزوج الأول متغيباً غيبة دائمة منذ سبعة أعوام، وأن الآخر لم يبلغه طول هذه السنين أنه لا يزال حياً. وذكر القاضى للمحلفين أثناء المحاكمة أن اعتقاد مارى وفاة زوجها اعتقاداً صادقاً قائماً على أسباب معقولة، لا ينفى عنها تهمة التعدد بمقتضى نص القانون المذكور، ما دامت قد تزوجت قبل انقضاء سبعة أعوام على غيبة زوجها، فأدان المحلفون مارى، فاستأنفت.

فهل تدان مارى بتهمة تعدد الأزواج؟



الأجوبة

١ — أدان المحلفون هولمز، ولكنهم طلبوا الرأفة به. وكان القاضى الذى نظر الدعوى قد قرر فى تلخيص القضية للمحلفين أن اختيار الضحايا بالقرعة كان هو الوسيلة الوحيدة الملائمة فى الكارثة التى واجهت هولمز «ولا ريب فى أن الانتخاب بالقرعة يوجب الطاعة على المنتخَب، فإذا أبى أن يطيع جاز إخضاعه بالقوة».

٢ — حكم مجلس إدارة الجمارك بأن الأفراخ يجب أن تعاد دون رسم، لأنه لم يطرأ أى تغيير على خصائص البضاعة المستوردة.

٣ — قضى المحلفون بغلبة أربعة أصوات على ثلاثة، برفض دعوى هيلين بالسجراف، إذ ليس من المعقول أن يتوهم حارس السكة الحديدية أن فى الحقيبة مفرقعات. ولو كان الراكب الذى دُفع دون عناية هو الذى أصابه الضر من جراء هذا الحادث، لكان له مسوّغ لطلب التعويض، ولكن الحارس لم يكن مهملا فيما يخص هيلين بالسجراف.

٤ — رأت محكمة إلينوى العليا أن المستشفى ليس مسئولا عما أصاب الجنين ، ما دام الجنين الذى لم يولد ليس له وجود قائم مستقل عن أمه . وقد رأت مثل هذا الرأى ثمانى ولايات أخرى ، ولكن أكثر الفقهاء الذين بحثوا الموضوع خالفوا هذه الآراء .

٥ — لقد أيدتها المحكمة، وكان تأييدها منصباً على ذكر اسمها لا على استغلال قصة حياتها . وبنت المحكمة رأيها على أن حماية الأسرار حق ممنوح من دستور ولاية كاليفورنيا الذى ينص على أن كل الناس « لهم حقوق معينة لا تقبل الجدل، من بينها الدفاع عن النفس والحرية . . . ، والسعى فى طلب الأمن والسعادة » .

٦ — قررت المحكمة أنها بريئة من تهمة تعدد الأزواج ما دامت نية الإجرام لم تتوفر .

وفى بعض الولايات الأمريكية يبرأ أحد الزوجين الذى يتزوج ثانية من تهمة التعدد ، إذا توفر حسن النية ، وبلغت الغيبة الدائمة خمس سنوات . ومع أن الزوج الذى يتزوج قبل انصرام هذا الأجل قد لا يدان بتهمة التعدد نزولا على آراء بعض الفقهاء ، فإن الزواج الثانى فى هذه الحالة يعد باطلا . أما إذا انصرم الأجل المضروب ، فإن بعض الولايات تبيح رفع دعوى لفسخ الزواج فسخاً شرعياً ، فيمكن عقد زواج جديد يظل قائماً وشرعياً ، حتى ولو كان الزوج القديم لا يزال على قيد الحياة .

هذه هى الحقيقة !

لقيت مرة هنرى إرفنج الممثل الإنجليزى المشهور فى مأدبة ، فمال علىّ وسألنى : « أسمعت القصة التى يتندر بها الناس عن فلان ؟ » فشقّ علىّ أن أقول لا ، ولكننى قلتها . فبدأ يروى القصة ، ثم كفّ ، وسألنى مرة ثانية ، فتمالكت نفسى وقلت : « لا لم أسمعها » . فمضى يقص ، ولكنه لم يلبث أن التفت إلىّ وسألنى ثالثة : « أواثق أنت ؟ » فقلت : « فى سعى أن أكذب من أجل المجاملة مرة أو مرتين ، ولكننى لا أستطيع أن أكذب ثلاثاً كائناً ما كان السبب ، فقد سمعت هذه القصة يا صاحبى ، لأننى أنا الذى لفقتها » .

وهذه هى الحقيقة .

[مذكرات ماك توين]

... إذا نشبت حرب أخرى ...

روبرت تراوت

مختصرة من مجلة "ستردای ریفیو" الأدبية

[كان ملايين من الناس يستمعون إلى ما يذيعه روبرت تراوت من تعليق متصل على الأنباء خلال الحرب من محطة كولومبيا . ومنذ عهد قريب عمد تراوت إلى شيء من التكهن . فإذا لم يكن من المستطاع منع حدوث حرب أخرى ، فإنه يتصور تعليقاً كمثل التعليق التالى يذاع ارتجالا فى الساعة العصيبة .]

١٢ إبريل سنة ١٩٥٠ ، الساعة ٢ والدقيقة ٧ بعد منتصف الليل ، هنا محطة إذاعة كولومبيا فى نيويورك ، محدثكم « بوب تراوت » . مضت ساعتان وبضع دقائق على انتصاف الليل ، ولا نزال نحن فى نيويورك ليس عندنا أنباء جلية عن الانفجار فى مدينة بتسبرج ، ولكن — هاأنذا واقف هنا أمام الآلات الكاتبة التى تسجل مايصل إلينا من أنباء بالتلفون، وبيدى ميكروفون متحرك ، أتنقل به من آلة إلى أخرى — فلأختصر الأنباء التى بين أيدينا . منذ ٣٦ دقيقة تماماً — لا بل منذ ٤٦ دقيقة تماما ، أبرقت شركتا الأسوشييتدبرس ، واليونايتد برس إلينا ، أن بتسبرج الجبارة مدينة الحديد والصلب ، قد رجّها انفجار عظيم . ومن الغريب أننا لم نتلق من بتسبرج نفسها تفصيلا ما — عسى ألا يكون ذلك نذير سوء . أما ما تلقيناه فهو سيل من الأنباء ، صادر من أماكن يبعد بعضها ١٨٠ ميلا عن بتسبرج ، وفحواها أن الناس شاهدوا أضواء باهرة فى الفضاء ، وسمعوا دمدمة انفجار .

بعد دقائق أنتقل بكم إلى الرسائل الواردة ، ولكننى أرى من خلال الزجاج الفاصل فى حجرة الأنباء ، أننا اتصلنا بعد جهد بمراسلنا فى وشنطن ، فنحولكم الآن إلى وشنطن ، « بل هنرى » يحدثكم ...

لقد عدنا إلى نيويورك ، ولقد سمعتم أننا لم نزل عاجزين عن أن نجيئكم برسالة من وشنطن ، وقد روت شركة الأنباء الدولية منذ نصف ساعة ، أن المصابيح مضاءة فى البيت الأبيض ووزارة الخارجية ، ومع ذلك لابد من ... لحظة واحدة ، هذه نشرة جديدة (جرس يقرع) أتلوها عليكم .

ديترويت ، ١٢ إبريل ، يونايتدبرس . زلزل ديترويت انفجار كبير فى الساعة ١٢ والدقيقة ٥٨ هذا الصباح . ولا يعلم مقدار

الضرر ، ولكن الدلائل تدل على أنه ضرر بالغ ، وقد قتل عدد من الناس . وعلى أن حقيقة ما حدث لا تزال مكتومة ، فموظفو المدينة يقولون إن البحث قد بدأ ، عسى أن يتبين لهم أهناك صلة بين هذا الانفجار ، والانفجار الذى قيل إنه حدث فى بتسبرج . للنشرة تتمة .

للخبر تتمة ، ولكن جهاز اليونايتد برس ارتد الآن إلى إذاعة حديث عن أزياء النساء ... والقبعات أيضاً ستتجه اتجاهاً شديداً إلى الفتنة ... حسبنا هذا الآن ، فى هذه اللحظة العصيبة .

وخليق بنا أن نعيد الآن أننا لا نعلم عن ثقة ما وقع ، مع أنه يبدو لنا أن كارثة كبيرة قد نزلت ، فلا نرى خيراً فى أن نستبق الحوادث بالذعر .

وقد بدأنا نحشد رجال المحطة بأسرع ما نستطيع . فالماجور جورج فيلدنج إليوت الذى طار صيته خبيراً حربياً فى الأيام الغابرة ، حين كان الناس يشنون الحروب ، لن يتأخر فى الوصول إلى حجرة الأنباء ، ولعل العاصفة العاتية التى تهب الآن قد أخرته .

أما ونحن لا نزال عاجزين — مغفرة وعذراً . نعم ؟ لقد أنبئت الساعة أن الأسوشييتد برس روت أن دعوة ملحة صدرت إلى جميع رجال المطافىء وفرق نقل المصابين فى جميع المدن إلى حدود فلادلفيا شمالا ... ولست أدرى عن ثقة ما معنى هذا ، ولكن الأسوشييتد برس فى نيويورك تلقت هذا النبأ بالتلفون ... إن فى أسلاك هذه الشركة اضطراباً . أين ؟ جنوب ترنتون . نعم ، إن الأسوشييتد برس أرسلت هذا النبأ بالتلفون لأن أسلاك البرق العادية معطلة جنوب فلادلفيا . ليس فى هذه الجملة إيضاح ما ، ولكننا سنوافيكم بالأخبار ساعة تتلقاها الشركة ، ولست أعلم بأية طريقة تتلقاها . وقد كانت الآلة التلفونية الكاتبة المتصلة بمكتب الشركة ، تثبت الأنباء على الورق إلى حين قريب ، ولكنها توقفت الآن . والواقع أن جميع الآلات الأخرى قد توقفت أيضاً . ومثل هذا السكون أمر نادر فى مكتبنا

ولعله من الخير أن أتلو عليكم الرسائل السابقة التى وردت من أماكن خارج بتسبرج ، ومعظمها غامض ، وليس فى رسالة منها أى تلميح — أى تلميح إلى قيام قتال . كدت أقول « قيام حرب » ، ولكن حتى لفظ « القتال » يبدو وهما عجيباً لا يصدق فى هذا الزمن .

على أننى أرى فى سكون المكتب شيئاً يزعج ، ولكن لا تعجلوا فتفزعوا ، فكل أداة

من أدوات الأخبار لا تزال صامتة . وإنما أروى هذا على أنه حقيقة واقعة — دون أن أقصد إلى بث ... الذعر . والذعر كلمة مفزعة ، ولكن لا غلوّ فيها ، إذا ذكرنا أن لوحة التلفون فى مكتبنا قد صمتت منذ تلقينا الإشارة الأولى — فى الساعة الواحدة والدقيقة الواحدة والعشرين تماما بحسب توقيت نيويورك . أكرر أننا لم نتلق نبأ رسمياً ما ولا تلميحاً غير رسمى ، بأن الحرب نشبت.

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية ، منذ سنين تقدم فيها الناس فى ميادين كثيرة ... (تنقطع الإذاعة) ... والنوافذ تحطمت والدخان يتدفق الآن . ومتى سكن ضوء المصابيح وعاد لا يضطرب ... ...

تصفية الحساب

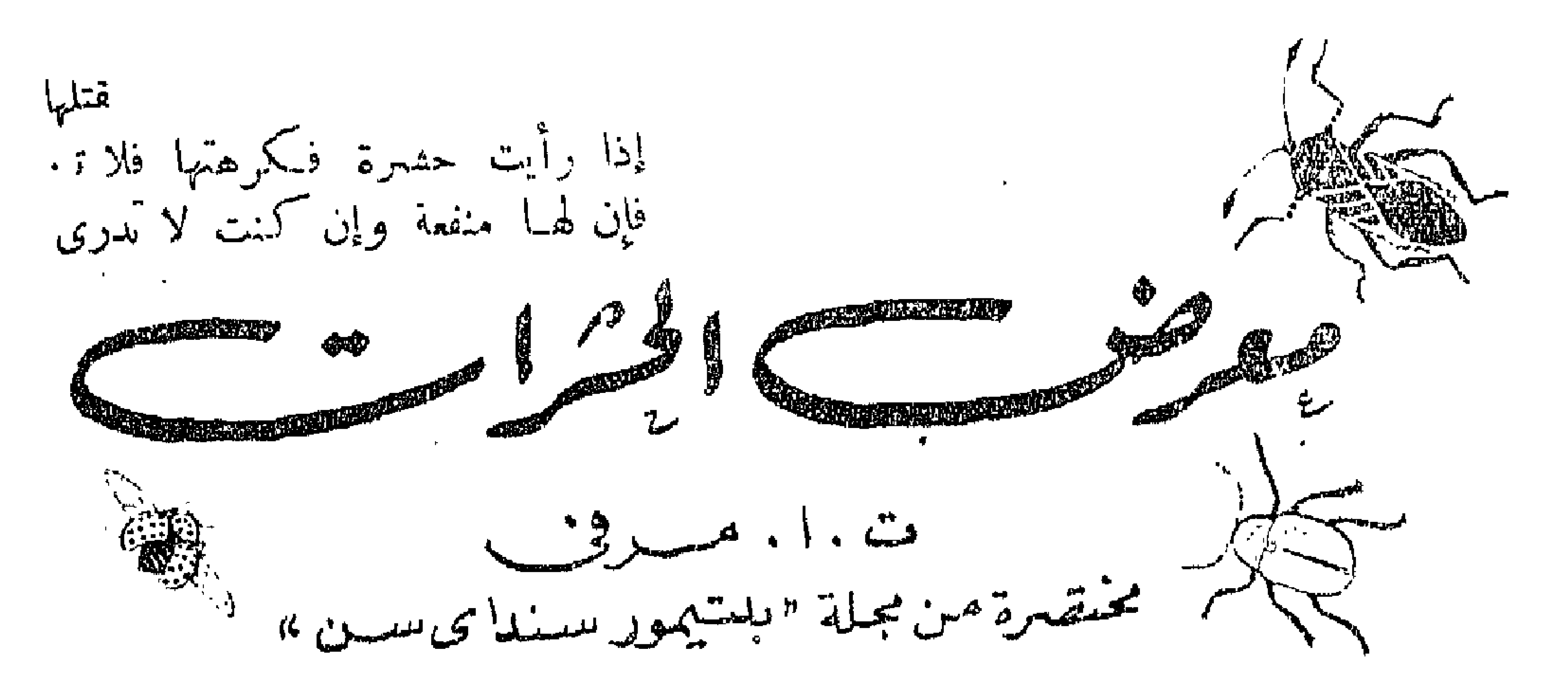
يتندر رجال وزارة الحربية البريطانية بقصة تعد من القصص الرائعة التى رويت عن هذه الحرب :

رقى ملازم شاب إلى رتبة كبتن ، فلما نشر خبر الترقية فى الجريدة الرسمية ، وقع خطأ فى التاريخ ، فلم يكتب : أول أبريل ١٩٤١ ، بل كتب أول أبريل ١٠٤١ . وبعد أن قضى فترة ممتعة مع زملائه فى نادى الضباط ، أقنعوه بأن يطالب بمرتباته التى لم تدفع منذ سنة ١٠٤١ . فقدم الطلب على الورق الرسمى وفقاً للقواعد المتبعة ، واستشهد بما يلزم من فقرات القانون المالى ، ثم أوى إلى فراشه . وفى الصباح أدرك الضابط الشاب هول ما فعل ، فملأ قلبه الخوف وخشى أن يحاكم أمام محكمة عسكرية .

وبعد أسابيع جاءه الرد : « ثبت أن مطالبتك بمرتباتك منذ أول أبريل ١٠٤١ مطالبة صحيحة ، فلذلك قيدنا لحسابك مبلغ ٣٩٫٩٩٩ جنيهاً . ولكن يلوح أنك أغفلت فقرة أخرى فى القانون المالى ، تجعل الضابط الذى يقود فصيلة ما مسئولا عن المدافع والجياد التى تضيع فى القتال من جراء إهماله . وإذا قتل الضابط القائد ، وقعت التبعة على الضابط الذى يليه فى الرتبة .

« وكتابك يثبت دون ريب أنك الرجل الوحيد الباقى على قيد الحياة ، من الذين خاضوا معركة هاستجز (سنة ١٠٦٦ ميلادية) ، والتى أضعنا فيها إهمالا ٢٠ ألف جواد ثمن كل منها جنيهان ، فتبعة توفية ثمنها واقعة عليك . وقد روجع حسابك ، فظهر أنك مدين لنا بمبلغ جنيه واحد » .

[مارسيا ون فى صحيفة « شيكاغو تريبون »]



إذا رأيت حشرة فكرهتها فلا تقتلها
فإن لها منفعة وإن كنت لا تدرى

معرض الحشرات

ت . ا . مرفى

مختصرة من مجلة « بلتيمور سنداى سن »

في الربيع الماضى ، انتخب برايتون إدى ، مديراً لقسم الحشرات فى حديقة الحيوان بنيويورك ، فشرع فى إنشاء معرض عجيب للحشرات الحية ، فى بناء مستقل . وقد كانت معارضه الأولى التى أقامها إلى حين فى أبنية مختلفة ، مما أثار إعجاب الناس كافة .

وقد خامرته فكرة إنشاء حديقة مستقلة للحشرات منذ اثنى عشر عاما مضت ، يوم أقيم فى شيكاغو ذلك المعرض الذى جمع وجوه التقدم العلمى والصناعى فى القرن الماضى ، فلقى هنالك أحد وكلاء العارضين ، فأفضى إليه بفكرته ، فقال له الوكيل : « اسمع يابنى ، لقد اتفقت منذ قليل على أن أتولى عرض بعض عجائب المخلوقات ، وهذا أنت تريدنى أن أتولى لك عرض حشراتك . اذهب عنى قبل أن يطير عقلى » .

عاد إدى إلى مسقط رأسه فى ولاية رود أيلاند . فوجد قسم الحدائق قد أنشأ حديقة جديدة وأنفق مالا كثيراً حتى زودها بأسباب الترفيه واللهو ، ولكن الجمهور ظل معرضا عنها كل الإعراض ، فاقترح إدى أن ينشىء فيها « حديقة للحشرات » تستجلب طوائف الناس إليها .

فقال له مدير القسم : « لو فعلنا لصرنا مضحكة ، وشر من ذلك أن الناس ينفرون من هذه الحشرات »

جعل إدى يلح ذاكراً أنه سيبذل الجهود متبرعا ، راجيا بذلك أن يبدأ تحقيق فكرته ، وأخيراً أعطوه ١٠٠ ريال ، ومنزلا خاليا كان فى أرض الحديقة ليفعل فيه ما يشاء .

ولم يلبث إدى وزوجته أن شرعا فى العمل ، وجعلا يتسلقان الأشجار ، ويحفران فى الأوحال ، ويقلبان كتل الأخشاب بحثا عن الحشرات .

فابتكرا فى ذلك وسائل عجيبة دقيقة ، فيجيئان مثلا بشمسية مفتوحة ويضعانها مقلوبة تحت أيكة كثيفة الأغصان ، ثم يهزان الأيكة ، فيتساقط منها قدر كبير من المخلوقات الزاحفة . أما بعض الحشرات فتستنزلانها بشهواتها ، فتراهما يطوقان جذع شجرة بخليط من العسل الأسود والجعة والخمر ، فما هى

إلا ساعات قلائل حتى تراه قد اصطاد طائفة من الحشرات .

فلما جاء موعد افتتاح «حديقة الحشرات» كان لديهما ١٦٥ نوعا مختلفا من الحشرات معدة للعرض ، فكان نجاحا باهراً . وزاد عدد زوار الحديقة العامة ٤٠٫٠٠٠ نسمة فوق معدل الزوار فى كل شهر ، وعرف الناس أشياء كثيرة عن الحشرات ، وعرف إدى أشياء كثيرة عن طبائع البشر ، وتبين له صدق ظنه أن الناس إذا رأوا الحشرات من قريب رأى العين ، فتنوا بما يرونه منها .

يقول إدى : « ينبغى أن تكون حديقة الحشرات مكانا لا تزال تجد فيه شيئا لم تألفه يحدث أمام عينك » . وهو يقص قصة إحدى زائرات الحديقة ، فقد جعلت تناديه ثم أومأت إلى شرنقة قد أخذت تخرج منها فراشة جميلة الألوان ، ثم قالت : « لقد طوفت فى جنبات الأرض فلم أر منظراً أروع من هذا » . ومثل هذه اللحظات تملأ قلب إدى رضى وغبطة ، فقد فطر على حب الروعة .

وترى إدى يفحص عما فى الحشرات من طبائعها الغريبة ، ثم يهتدى بهديها حتى يجعلها تؤدى أعمالها على أعين الناس . فتراه مثلا يضع الخنافس التى تألف الأماكن الرطبة فى قفص جاف فيه خشبة ندية ، فمن الطبيعى أن تتخذ الخنافس هذه الخشبة موقفا بحيث يراها الناس . وأما الجُعَل (الجعران) فمن دأبه أن يصنع كرة صغيرة ثم يُدَهْدِهها ويدفنها فى الرمل ، ولكن إدى لا يدع عنده من الرمل ما يكفيه ، فترى الجعل يجهد جهده لكى يخفى تلك الكرة ، فلا يزال ينقلها على أعين الناس من مكان إلى مكان ليظفر بما يريد .

ومن أحب الحشرات إلى الناس ، حشرة يقال لها « أم عويف » تفترس النمل ، من دأبها أن تحفر للنمل مصيدة ثم تقيم فيها ، فإذا هوى فيها النمل انقضت عليه فأكلته أكلا ذريعا . وتنفث من خرطومها فى النمل عصارة هاضمة ، فإذا النمل قد صار طعاما مهضوما وهو لا يزال فى قشرته ، ثم تعود فتمتص هذا الطعام المهضوم كما يمتص الصغير شراب الليمون بالقصبة .

والطعام الذى تتطلبه حديقة الحشرات مختلف ألوانه كل الاختلاف ، فالنمل ذو المظلة مثلا ، يبنى لنفسه أكواما من الدِّمَن ينبت فيها الفطر (عش الغراب) ، ولكن إدى يزودها بأوراق الورد ، فترى النملة تروح وتغدو حاملة ورقة أكبر منها أضعافا مضاعفة مرفوعة على رأسها كالمظلة ، ومن أجل ذلك سمى النمل ذا المظلة .

وعثّ الكتب الذى يأكل كعوب جلدها غذاؤه الغراء . ودود الطماطم مولع بنبات

سام من فصيلة الطماطم هو (البلادونا) ، أما العث والأساريع (دود بعض الحشرات) فيطعمها شيئاً من الفرو والريش . وأما بعض العناكب فتأكل الأنثى منها الذكر ، فلما كان إدى لا يستطيع أن يقدم لها هـذا الطعام الغالى ، صار لزاما عليها أن تقنع بالذباب .

ومن الحشرات المفترسة ، الحشرة المعروفة باسم (فرس النبي) ، وهى على فظاعة منظرها صديق للبشر ، وطعامها البعوض والأساريع والأرق (حشرة الندوة العسلية) . وذكر هذه الحشرة يخشى أنثاه ، لأنها حين تجوع تمد خرطومها فتقضم رأسه ، فيرى الزائر مشهداً مهولا . ولما كانت هـذه الحشرة قد خلقت ومركز حركتها فى غير رأسها ، فإن الذكر الذى تقضم رأسه يظل يتحرك على غير هدى حتى يموت جوعا كما يقولون .

ويضيق إدى درعا بالذين يقتلون الحشرات أولا ثم يتساءلون عن أمرها . وقد تبين أن الناس يسرعون إلى قتل اليعاسيب الجميلة التى تظل ناشرة الجناحين ، كإسراعهم إلى قتل الصراصير ، ولكن اليعاسيب حشرات نافعة تفتك بالبعوض وأشباهه . أما أبو العيد ، الحشرة المرقطة الظهر ، فهى تفتك بالأرق ، ويزعم إدى أن الحشرات الضارة من مليون نوع من الحشرات ، لا تزيد على نصف واحد فى المئة .

وقد جاءته امرأة تشكو كثرة الذباب حول بيتها ، ففحص عن أمره ، فوجدها قد أبادت وكراً للزنابير ، فقال لها : « إن الزنابير تهلك فى اليوم الواحد أكثر من ٢٠٠٠ ذبابة ، وقد أهلكت بفعلتك أعدى أعداء الذباب . فلا عجب إذا كثر الذباب » .

وقد أراد إدى أن يحرك اهتمام النـاس بالحشرات ، فلجأ إلى أساليب الإغراء حتى كادت تكون مَذَمّة له . ولقد دبّر عرض « معركة عظيمة » تدور رحاها بين عنكبوت سامة وعقرب وأبى شبث ، فاهتمت الصحف بإذاعة خبرها لشذوذها ، فما وافت ليـلة العرض حتى تدفقت عليه أفواج الناس .

كانت سـاحة المعركة قفصا من زجاج يتدلى من السـقف ، يسهل على النظـارة المفتونين أن يروا ما فيه من أىّ جانب شاءوا . فـلم تلبث العقرب أن أطبقت على أبى شبث ، فكر هو عليها وعضها عضـة بليغة ، فما كان من العقرب إلا أن تظاهرت بالتقهقر ، ثم أسرعت فلدغته بإبرتها لدغتين متواليتين ، فتهالك أبو شبث تحت ضرباتها ، وانقلب إلى زاوية القفص وهو يترنح .

أما العنكبوت فظلت خلال ذلك متنحّية عن ميدان المعركة ، فلما تخاذل أبو شبث وهجمت عليه العقرب لتضربه الضربة القاضية ، وثبت العنكبوت على ظهرها . وذهبت

العقرب تقضم فى قائمة من قوائم أبى شبث متلذذة بما تأكل ، ولكن العقرب لم تهنأ بهذا الطعام ، فقد عضها أبو شبث وهو فى سياق الموت عضة مهلكة ففاضت روحها ، ولم ينج سالما سوى العنكبوت وحدها .

وإدى رجل قد أشرب قلبه حب التمثيل الرائع ، حتى إنه لما كان فى جامعة براون ألف أو اشترك فى تمثيل ٣٧ رواية ، فلما تخرج عاون أحد علماء التاريخ الطبيعى فى تأليف كتابين هما : « شخصية الحشرات » و « شخصية حيوان الماء » ، ثم بدأ يحاضر الناس عن الحشرات لكى يروّج لهذين الكتابين . فلما تزوج حملته زوجته على أن يعود إلى طلب العلم ، وقالت له مؤنبة : « إنى أراك حتى اليوم لا تستطيع أن تخاطب العلماء بلسانهم » .

فقضى سنة فى معمل لعلوم الأحياء ، ثم درس علم الحشرات فى جامعة كورنل ، حيث أذاع أول مرة فى التاريخ إذاعة لحشرة — فقد وضع أمام المذياع جُندُباً وأذاع على الناس صريره .

وأخوف ما يخافه إدى اليوم ما سوف يدخله د . د . ت من اختلال فى موازين الطبيعة وهو يقول : إن لكل حشرة فى موطنها منفعة ، حتى الأرَضة ، قارض الخشب البغيض ، له نفع فى الغابات . فتراه هناك يكدح كدحا فى قرض الحطب الساقط على الأرض ، فيعرضه لفعل البكتريا حتى يسرع إلى التحلل ، ويصير للغاب سماداً . ويعلم إدى عامة الناس أن الحشرات التى تأكل غيرها من الحشرات ، إما أن تكون سريعة الطيران أو سريعة الزحف ، وأسرعها أنفعها للناس .

ومن رأيه أن جهل الناس بالحشرات النافعة يفضى كل سنة إلى ضرر يحيق بالمحاصيل ويبلغ تقديره ملايين من الريالات . وهو يرجو أن يكون معرض حشراته منبراً يتيح له أن يذيع على الناس رسالته هذه .



« لمَا يُدَهْدِه الجُعَل بأنفه خيرٌ من آبائكم الذين كانوا فى الجاهلية » .

« قال رسول الله : إياكم وخضراء الدِّمَن . قالوا : وما خضراء الدِّمَن يا رسول الله ؟ قال : المرأةُ الحسناء فى المَنْبِت السوء » [حديث نبوى]

أينبغي أن تتبع هذه الوسيلة العتيقة في مراقبة ألمانيا حتى تظل مسالمة ؟

الاحتلال العسكري لن يجدي

مختصرة من مجلة "هاربرز"
بقلم رجل من سلاح الطيران البريطاني

كل خطة تتبع زمنا طويلا وتقلّ مناقشة الناس في سدادها ، كثيراً ما تؤدي شيئاً فشيئاً إلى أوخم العواقب . ويرى كثيرون أن احتلال ألمانيا الراهن هو أحد هذه الخطط ، وأنه سيجر إلى خطأ جسيم يؤثر في حياة جيل بأسره ، أو هو خليق أن يدمر حياته .

ويحيط الحلفاء نياتهم بستار من الكتمان ولكن يبدو أن بريطانيا والولايات المتحدة تنويان أن تحتلا المناطق التي عهد إليهما بها في ألمانيا ، حتى يمحى على أيديهما كل أثر للنازية، وتوجّه تربية الشعب وجهة جديدة، وتعمر البلاد وتردّ الأمور فيها إلى نصابها ، ويثبت أن الألمان قد تم تجريدهم من السلاح وأصبحوا عاجزين عن خوض غمار حرب أخرى، وبعدئذ تجلو الجيوش مخلفة وراءها قوماً قد لانت أخلاقهم ، وأخذوا بأساليب الإنجليز والأمريكيين في الحياة ، وتعلقوا بأهداب السلام ، فيعيشون عيشاً رغيداً إلى ما شاء الله . والزمن الذي يستغرقه هذا التحول يتفاوت في تقديرهم بين عشر سنوات وخمسين سنة .

وقد قيل إن الحلفاء لن يتولوا بانفسهم شئون الاقتصاد والاجتماع في ألمانيا ، وإنما يحتفظون بالإشراف عليها إلى أن تقوم حكومة ترضى عنها الديمقراطية .

ولكن حذار من الخطأ . فمهما تعلن الحكومتان البريطانية والأمريكية أنهما نزلتا عن قسط من التبعة للألمان ، فإن جيوش الاحتلال هي صاحبة السلطان الأعلى ، ولن يدخل في وسع أحد أن يقنع الألمان بأن صاحب السلطان الأعلى يمكن أن يعفَى من حمل التبعة العليا .

وكثيراً ما يقال إن إحجام الحلفاء عن احتلال ألمانيا بأسرها كان سرّ العجز عن صون السلام بين الحربين العالميتين . وقد قيل إنه ينبغي للحلفاء « أن يستخرجوا العبرة من التاريخ » ، و « أن لا يقعوا في الخطأ نفسه مرة أخرى » .

وأية عبرة يستخرجها الحلفاء من التاريخ ؟ إنني لا أعرف للاحتلال العسكري في التاريخ مثلا واحداً يدل على أنه كان احتلالا مجدياً . فهذا احتلال الرومان لبريطانيا ، واحتلال

البريطانيين الدامى الطويل لفرنسا، واحتلال الأسبان لهولندا وبلجيكا ، والفرنسيين لأسبانيا وألمانيا، والروس لبولندة، واحتلال الألمان لمعظم دول أوربا ، وقد بدأ كل منها وشعار أصحابه : « سيكون هـذا الاحتلال مختلفاً عما سبق » ، ولكن كل احتـلال منها أخفق .

فخليق بنا أن ندرك أن فكرة الاحتلال الخرقاء المنحدرة إلينا من القرون الوسطى لا توافق منهج التفكير الحديث ، وأنها اليوم فكرة خطرة عصيّة على التطبيق ، ولا داعى لها . وليس ثمة وسيلة لبعث الروح العسكرى فى الألمان ، وجمع كلمتهم علينا ، أفضل من هذه الوسيلة .

واحتلال دولة مغلوبة من شأنه أن يفسد الغالب ، فكل ما يضعف احترام الجنـدى المحتـلّ لنفسه ، ويؤثر فى سعادته وثقتـه وشجاعته ، إنما هو جزء من هزيمة منكرة ينتهى إليها الغـالب . فشعور العار الذى يلحقه حين تردّ عليه فتاة ألمانية نظرة الإعجاب بنظرة احتقار ، وإحساسه الفطرى بالإثم عنـد رؤية سيدة ألمانية عجوز وهى تنكت بيديها أنقاض غارة جوية باحثة عن قطعة خشب ، وكل سخرية يسيرة يلقاها ، وكل سخط خفى يساور قلبه ، وكل أكذوبة وكل إعراض ، وكل لسان يمدّ له ، إنما هو خطوة فى طريق الفساد والانهيار . وليس بين هؤلاء المغـلوبين من هو خليق بأن يعتقل ، إلا إذا أراد المنتصر أن يصير مضحكة بين الناس .

وأنت ترى فى ألمانيا اليوم جميع هـذه الصغائر التى تهدم الكرامة وقوة النفس ، ثم يلى ذلك ، عاجلا أو آجـلا ، الحوادث المألوفة فى زمن الاحتلال : مكر خفى خسيس تعـدّه القوة المحتـلة تخريباً ، وتعـدّه الأمة المغـلوبة بطولة وجهاداً فى سبيل الحرية .

وقد تغمد فتاة ألمانية خنجرها فى قلب جندى فيقضى نحبه ، فتقول : « أراد أن يهتك عرضى » ، ولعله قد فعل ، أو لعلها أقسمت لتقتلن إنجليزياً أو أمريكياً قبل أن تموت . فأنّى لك أن تعرف ؟ فما من الشهود الألمان من يبوح بالسر . وإذن فماذا تستطيع أن تفعل ؟

ويطلق الرصاص على جندى فى الشارع فى ليلة ظلماء ، فيقول الشرطة الألمان إنهم لا يسعهم أن يفعلوا شـيئاً . أو قد يوضع رمل فى خزان السيارة ، أو تشق إطاراتها بالمدى ، أو تصنع قنابل فى البيت ثم تنفجر هنا أو هنـاك ، وتكتب الأقوال المثيرة على الجدران ، ويزداد عدد الألمان الذين تنتابهم نوبة من البصق كلما مر بهم إنجليزى أو أمريكى ،

وتسمع فى الليل صياحاً وصفيراً لا تتبين سرّه . فماذا تفعل ؟

إن الجواب الوحيد الذى يطالعك به التاريخ هو : « اقتل كبير الشرطة ، اقتل محافظ المدينة، اقتل الرهائن، أقم معسكرات للاعتقال » . بيد أن الإنجليز والأمريكيين ينفرون من كل هذا ، ومهما يكن من شىء فإن كتب التاريخ تقول لنا إن هذه الأعمال لم تجد قط فتيلا .

وليس فى التاريخ ذكر بلد انتهى به الأمر إلى أن يطيق رؤية المحتل ، فضلا عن أن يحبه . والجندى الذى يحتل ألمانيا يعيش فى بغضاء تحف به من كل من يقابله أو يراه تقريباً ، حتى ولو نسى هو ما كان يضمر للألمان من حقد . والعيش فى جو من البغضاء مهلكة للنفوس .

وهناك طريقة واضحة سهلة يسيرة ناجعة لمراقبة ألمانيا حتى تظل مسالمة :

أولا — أن يتم تجريدها من السلاح كله ، من البندقية الصغيرة إلى الطرادة ، وقد تم من ذلك شىء ليس باليسير .

ثانياً — يجب أن تقرر لجنة من الخبراء أى الصناعات ينبغى أن تكف ألمانيا عن مزاولتها حتى تعجز عن شن حرب أخرى . ومهما تكن حجة رجال الصناعة الألمان فى ضرورة بقاء هذه الصناعات لحفظ الكيان الاقتصادى ، ففى الوسع أن تسحق قدرة أمة على شن الحرب دون أن يفضى ذلك إلى هدم كيانها الاقتصادى . فمن الضرورى لأوربا أن تكون لألمانيا صناعات عظيمة ، ولكنها تستطيع أن تحتفظ بمصانع الحديد دون مصانع المدافع الضخمة ، وبمصانع الراديو دون مصانع رادار ، ويسمح لمصانع الفلزات الخفيفة بأن تصنع الأوانى ، دون الطائرات .

ثالثاً — ينبغى أن تذاع هذه القواعد أوسع إذاعة ، وأن تذاع العقوبات الشديدة التى يعاقب بها من يخالفها .

رابعاً — يجب أن يسيطر الحلفاء عند حدود ألمانيا على واردها وصادرها ، ولا يفرض قيد ما إلا على السلع التى يمكن أن تستخدم فى أغراض الحرب ، أو السلع التى يتضح أنها تستخدم لغرض سياسى ، كما كان النازى يفعلون قبل الحرب .

خامساً — ينبغى أن يحتفظ الحلفاء بسيطرتهم على مطارات ألمانيا ، ولن يجدوا فى هذا عناء يذكر ما دام امتلاك الطائرات فى ألمانيا قد منع إلى الأبد .

هذه هى القواعد التى ينبغى أن تكون أساس الاتفاق مع ألمانيا ، فإذا ما أذيع وتمكنت من النفوس مبادئه انسحبت جيوش الحلفاء . أما قوتهم فلا ينبغى أن يتقلص

ظلها ، فالألمان لا يفهمون إلا القـوة ، فلنستعمل هذه المرة ضرباً جديداً من القوة.

وللقوة ثلاثة أصول : أن تستعمل فى المكان المناسب ، والزمن المناسب ، وبالقدر المناسب . وأول ما ينبغى لاستخدام القوة استخداماً صحيحاً فى ألمانيا ، هو معرفة ما يحدث فيها ، وذلك لا يقتضى ضرورةً أن تجد فى فرانكفورت مثلا جندياً أمريكياً يتجول ، أو أن ترى على أبواب الأحواض فى همبورج جندياً إنجليزياً يتسكع .

بل الحاجة إلى جماعة من العلماء ، ورجال الصناعة، والخبراء فى الأسلحة وفنون الحرب، وأن يسهل عليها الانتقال السريع ، وأن يحق لها أن تقتحم على الفور ما تشاء من المصانع أو مخازن البضائع أو حجر المهندسين أو معامل البحث ، أو دور المحفوظات فى ألمانيا ، وأن تفتشها ، وأن لا يوصد دونها باب . فتطوف جماعات المصورين فى طول البلاد وعرضها، فتمد الحلفاء بخبر كل جديد من الأعمال والمشروعات . وقد تعترض على هذا بأن سلطة هذه الجماعة سلطة ساحقة ، ولكن أليست أيسر محملا من جيش محتل ، وأجدى ؟

تنتقل هـذه الجماعة سراً بالطائرات ، أو بسيارات أو قطرات سريعة ، وقد يهبط رجالها من السماء ليفتشوا مصنعاً من المصانع قبل أن يتاح لمديره أن يرفع سماعة تلفونه . وتمكنهم استعانتهم بوسائل العلم الحديث ، من أن يكونوا أمضى إلى الغرض وأقدر على تحقيقه . وما دامت هـذه القوة قائمة ، فلا يعقل أن يستطيع الألمان أن يبدأوا حركة حربية دون أن يقف الحلفاء على خبرها ، ولا أن يستعملوا السلطان السياسى استعمالا لا يقرّونه .

غير أن هذه الجماعة لن يكون غرضها إلا الاستطلاع والرقابة الدائمة، على أن تؤيدها قوة كبيرة مرابطة خارج ألمانيا .

وعلى طول الحدود الألمانية ، ترى فى هولندة والدنمارك وفرنسا وبلجيكا ، قوة حربية حديثة سريعة ، تطوف أبداً ، ولا يكون سلاحها البنادق وحسب ، بل أجهزة الراديو ورادار والدبابات والسيارات السريعة المدرعة والطائرات . وفى الحين بعد الحين تعرض قوتها على الألمان ، بأن تقتحم البلاد بسرعة ثم تنسحب منها بسرعة، دون أن تقول كلمة واحدة لأهلها ، فلا تؤاخيهم ولا تناقشهم، وحسبها أن تذكّرهم .

ثم تصور أن شنك الألمانى وجد وهو يجرب مفرقعاً جديداً فى مصنع أسمدة . فترسل رسالة بالراديو من مقر جماعة الاستطلاع والرقابة ، فلا تمضى أربع ساعات

حتى ترى جنود المظلات قد أقبلوا من فرنسا وتولوا حراسة المصنع، واعتقلوا جميع رجاله، وها هى ذى الدبابات تدبّ مرة أخرى فى الطرق العامة، وطائرات القتال والاستكشاف تهدر فوقها . فهذه مظاهر القوة المدرعة تتجلى ثانية ، ويتم التفتيش لساعته ، فإذا ثبتت الجريمة دمر المصنع وأعدم شنك ومعاونوه ، وسجن من هم دونهم شأناً ، وعزل موظفو المدينة .

والألمان يفهمون هذا الضرب من المعاملة، ولا يفهمون ما يبدو من ضعف وتردد فى العتيق البالى من أساليب الاحتلال . وبذلك لن يستطيع الألمان أن يصبّوا دعايتهم الماكرة فى جيوشنا عن طريق « المؤاخاة » ، ولن يتاح لجماعات منهم أن يقولوا : « إننا أخيار الأمة الألمانية ، وأن النازيين هم الذين اقترفوا تلك المآثم . لم تكن تلك جريرتنا نحن » .

وقد بدأوا يفعلون ذلك . والإنجليز والأمريكيون يصدقونهم ، وسوف يصدقهم الجند جميعاً على مر الأيام . وسرعان ما يصطلح حقد الألمان وعدم مبالاة الحلفاء ، على الأمم المنتصرة ، حتى تصير مكرهة على الاعتراف بخيبة الاحتلال، كما فعلوا فى احتلال الرين بعد الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم تعود سَوْرة الجنون طاغية كما كانت .

ولهذا الضرب من الرقابة الذى رسمناه هنا حسنات الاحتلال جميعاً ، مع خلوه من عيوبه ، فهو يمهد لعودة معظم الجند إلى أوطانهم ، أما من يبقى منهم فسيكون فى بلد تربطه بأهله أواصر الصداقة ، ويصيب ضروباً من التدرب الحديث الذى يلذ له وينفعه ، ولا يتعرض لشىء من مساخط الاحتلال ومخاطره ، وتقع تبعة الفوضى والمجاعة اللتين لا مفر منهما ، على أكتاف الذين ينبغى لهم أن يحملوها . وقد بدأ الألمان يوجهون النقد إلى الحلفاء، فيحملونهم تبعة مصانع لم تستأنف عملها ، وجسور لم ترمم أو لم يعد بناؤها ، وجرايات تصل متأخرة عن موعدها .

وكل ما فى هذه الخطة من ميل إلى الإنصاف، ورفع لأعباء الاحتلال ومساخطه، كفيل بأن يحببها بعض الشىء إلى الألمان. فإذا قرّ الرأى على وسيلة أخرى غير هذه ، كان انقياد الألمان لعواطفهم ، وتساهل الحلفاء ، ونفور كل أبى النفس من البقاء حيث يُكره بقاؤه ، مُفضياً إلى إخفاق الاحتلال وجعل السلام أقصر أمداً من أمده فى المرة السابقة .

لواذع هوليوود

يختارها ويحررها : أندرو ب. هشت

قال الممثل الهزلى بوب هوب : سخط بنج كروسبي سخطاً شديداً منذ عهد قريب ، حين لازمت الهزيمة جياده فى حلبة السباق ، فأخذ الجياد وجعلها صفاً واحداً قرب خط السكة الحديدية ، ولبث ينتظر القطار السريع . فلما مر القطار منطلقاً بسرعة مئة ميل فى الساعة ، التفت بنج إلى جياده وقال : «أرأيتم ما أريد ؟ »

كان أحد مديرى شركات السنما فى هوليوود يبدى إعجابه بممثلة شابة جالسة إلى مائدة قريبة منه فى ملهى ، وكانت معه زوجته التى تأكل قلبها الغيرة . فقال لها : «انظرى إليها فإن ثوبها غاية فى الحشمة ، ووجهها غير مصنع ، وأظافرها غير مطرفة» . فردت زوجته بصوت كفحيح الأفعى قائلة : « من النساء من تتكلف أى شيء حتى تستوقف عيون الناس ! »

ذهب الممثل الهزلى بوب هوب إلى أحد المستشفيات ليعرض على نزلائه بعض ما يسليهم ، فجاء أحد المرضى وهو فى منامته (بيجامته) وجعلا يتجاذبان أطراف الحديث وهما على المسرح ، وبيناهما كذلك وقد حمى الحديث بينهما ، جاء ممرض من رجال المستشفى وأخذ بيد المريض لينطلق به إلى جناح الأمراض العقلية . فقال بوب : « أخوف ما أخافه على نفسى أن الحديث الذى دار بيننا كان فيما خيل إلى حديث عقلاء » .

اشتهر المخرج دافيد سلزنك بأنه يكثر من كتابة المذكرات إلى رجاله مهما هان السبب ، ومنذ عهد قريب تبين أحد معاونيه أنه قدم إلى رئيسه كشفاً خطأ عن الأفلام المرتقبة ومواعيد إعدادها ، وأنه أيضاً أرسل إليه بياناً غير تام عن المرتبات التى دفعت . فلما أدرك خطأه وضع رأسه المصدوع بين راحتيه ، وتنهد حائراً ماذا يفعل ، ثم جلس إلى مكتبه وكتب رسالة إلى رئيسه بدأها بما يلى : عزيزى المستر سلزنك ... رداً على المذكرة التى سترسلها إلى غداً ...

ليس سراً أن نقول إن القصار من كبار ممثلى السنما يستعينون بوسائل شتى لكى يوهموا من يراهم أنهم أطول قامة مما هم . ولكن قلما يعرف الناس أن مديراً قصيراً من مديرى شركات السنما فى هوليوود ، جعل مكتبه وبيته وكل ما يحيط به ، مناسباً لقامته فالسقوف والأبواب منخفضة ، وحجم الموائد والكراسى ورفوف الكتب والآنية أصغر من الحجم المألوف — وقد بالغ فى الأمر حتى اتخذ له سكرتيرة قصيرة !

[أكبر صانعي الطائرات الخفيفة ، يود أن يرى كل امرىء يركب متن الهواء . وبلاد الشرق الأوسط أصلح ما تكون لهذا الضرب من الطيران]

كل إنسان يستطيع أن يطير

لنكلن بارنيت • مختصرة من مجلة «لايف»

همه أن يقنع رجل الناس بأن كل إنسان يستطيع أن يطير ، فيضرب لهم مثلا بما كان من أمره. فهو طيار قليل الاحتفال بما تواضعوا عليه من قواعد الطيران ، ومع ذلك فالطيران معه مأمون المغبة . وقد تعلم أن يطير في الخمسين من عمره ، أما اليوم فتراه وقد بلغ الرابعة والستين ، يجد متعة عظيمة في أن يبين لزوار مصنعه أن في وسع الطيار أن يغالي في مخالفة أصول الطيران، ثم يبقى مع ذلك بمنجاة من غوائل الموت .

هـذا هو « وليم توماس بايبر » صانع الطائرات الخفيفة « بايبر كب » .

وكثيراً ما يستفتح بيانه بمحاضرة عن قدرة الطيار على « التنسيق » وتحريك ذراع الطائرة ودفتها تحريكا دقيقاً محكما ثم يقول : « إن كلمة التنسيق يجب أن تحذف من معاجم الطيارين » . ثم ينظر بعين كثيبة إلى «دليل الانحراف» في الطائرة، وهو أنبوب من زجاج في جوفه كرة صغيرة سوداء . فإذا كانت دورة الطائرة محكمة ، ظلت الكرة في وسط الأنبوب . ولكن حين يحلق « بايبر » بأحد ضيوفه ، يتعمد أن يخرج على القواعد في حركات الطائرة ، ولا ينفك يسخر من تذبذب الكرة في جوف الأنبوب .

ثم يقول ساخراً : «أرايت؟ هذا دليل لا قيمة له . لقد أدرنا الطائرة كما نشتهي، أليس كذلك ؟ حسبي أن تبقى الكرة في جوف أنبوبها » .

أما ازدراء بايبر بالتزام القواعد الدقيقة في الطيران ، فيرجع إلى أنه يستنكر كل شيء يثني الناس عن تعلم الطيران ، وعن شراء الطائرات . ولما كان يصنع طائرات صغيرة رخيصة، فهمّه منصرف إلى بيع عدد وافر منها . وقد كان قبل الحرب يصنع نصف الطائرات التي تستعمل في أمريكا لأغراض غير حربية . وثلاثة أرباع الطيارين المدنيين وفريق كبير من الطيارين الحربيين ، تعلموا الطيران أول ما تعلموه في طائرته ــ طراز « كب » . وجميع الطائرات التي استعملها

الجيش الأمريكي للاستطلاع والاتصال ونقل المصابين في ميـادين القتال ، تكاد تكون من هذا الطراز .

ولـكن « بايبر » لا يرى دليلا على أن عصر الطيران قد حان حينه ، وهو مقتنع بأن الرجل من أوساط الناس لن يشترى طائرة حتى يتزود براديو وثلاجة ومغسلة ميكانيكية أو كهربائية ، وبسيارة أوسيارتين أو بيخت بخارى . وستظل الحال على هذا المنوال ، ما دام معلمو الطيران لا يكفون عن التشدّق بالـكلام عن « التنسيق » ، وما دامت القوانين المعقدة تعطل حركة المرور فى الجو . إلا أنه يرى أن أكبر عقبة دون شيوع الطيران هى قلة المهابط ، فلست تجد فى ١٥ ألف مدينة وبلدة فى أمريكا ، سوى ٢٢٠٨ من المطارات . ويزعجه أن تنفق جماعة مبلغ ٥٠ ألف ريال على كل ميل من الطرق العامة ، ثم لا تهتم بإعداد مهبط للطائرات الصغيرة، وهو يقول : « إن معظم المدن لا يحتاج إلى مطارات كبيرة . ولست تجد فى طائفة من أجمل الحقول سوى عشب ، فتمهيد أحدها وإقامة جهاز يدل على اتجاه الهـواء . عمل قد لا يكلف أكثر من ألف ريال » .

وعلى أن دعوته إلى حمل الناس على مزاولة الطيران قد تستغرق زمناً قبل أن تلقى نجاحا ، فإنه قد أصاب بعض النجاح فى أسرته ومصنعه . فأولاده الثلاثة طيارون . ويبلغ عدد عماله ١٥٣٨ من رجال ونساء، فتجد ٤٠٠ منهم أعضاء فى نادى الطيران . ويحق لـكل منهم أن يستأجر إحدى طائرات الشركة بأجر قدره ريال ونصف ريال فى الساعة ، وهو مبلغ يكفى لتغطية ثمن البنزين والزيت وحسب . ولـكل موظف فى الشركة أن يطير متى شاء فى أثناء العمل ، ولـكن عليه أن يقضى مثل هـذا الوقت فى عمل للشركة. وقد أعد بايبر لهؤلاء العمال والموظفين، اثنتى عشرة طائرة وأربعة معلمين ، ويكلفه هذا السخاء ٤٠ ألف ريال فى السنة، ولـكنه يرى أن إنفاقه يعود عليه بمنافع كثيرة .

ويرى بايبر أن الريح والسحاب والمطر جزء من دسيسة عامة مدبرة لـكى تثنى الناس عن الطيران . وقد ظفر فى الخريف بما عجز عنه غيره ، فقد استقل طائرته الصغيرة وانطلق بها فى عاصفة شـديدة إلى حفلة افتتاح مطار جديد . أما سائر المدعوين فلم يستطيعوا أن يفعلوا ما فعل ، وكان بينهم فريق من طيارى الجيش ، وطائفة من رجال الـكونجرس فى طائرة نقل كبيرة ، وطيار مشهور بألعابه البهلوانية . وقد اضطر بايبر أن ينزل على سفح أكمـة حين اشتدت وطأة البَرَد ، فلما كف سقوط البرد ،

وارتفع الضباب قليلا ، استقل طائرته ثانية ، ومضى بها طائراً فوق سطوح البيوت حتى بلغ غايته .

وقد ظل بايبر زمناً طويلا ، بعد أن تخرج من جامعة هارڤرد سنة ١٩٠٣ ، بعيداً عن شئون الطيران . فقد اشتغل فى آبار البترول فى مدينة برادفورد بولاية بنسلفانيا ، وفى سنة ١٩٢٩ جاء هذه المدينة صانع طائرات يدعى « تيلور » وبدأ يصنع طائرة صغيرة تباع بأربعة آلاف ريال . فاشترى بايبر حصة فى الشركة ، وصار أحد مديريها . فلما أفلست لم يجزع بايبر بل أنفق قدراً آخر من ماله ، وأعاد تنظيمها ، وصار أمين صندوقها ، ووضع خطة لصنع طائرة جديدة ذات سطح واحد ، رخيصة الثمن ، ولا يقتضى طيرانها وصيانتها سوى قليل من المال . وهذه هى طائرة « كب » الخفيفة التى قوتها ٣٧ حصاناً ، ومنها نشأت طائرات « كب » الحاضرة .

إلا أن الطائرة ماتت وهى لا تزال فى مهدها تقريباً . ففى السنوات الثلاث الأولى صنع بايبر أقل من ستين طائرة وباعها . وكثيراً ما كان يوفى أجور عماله مما يكسبه فى آبار البترول . وحدث مرة أن أبى مصرف أن يقبل صكا من صكوكه ، فاتفق مع بدّال على توفية أجور عماله مما يبيعه البدال . ولكن حاله أخذت تتحسن فى سنة ١٩٣٤ ، فزاد ما باعه منها إلى سبعين طائرة ، وفى السنة التالية باع ٢٢٨ طائرة . وأخرج فى سنة ١٩٣٦ طائرة فيها بعض التحسين ، فارتفع ما بيع منها إلى ٥٤١ . ففتنه هذا النجاح ، فاشترى حصة شريكه وصار رئيس « شركة بايبر للطائرات » ومديرها العام .

ولم يكد يتولى الرئاسة حتى شبت النار فى مصنع قيمته ٢٠٠ ألف ريال فالتهمته . وكانت أقساط التأمين عالية ، فلم يؤمن إلا على خمسة فى المئة من المصنع ، فلما جاءه خبر النار بالتلفون قال هادئاً : « سنظفر بشىء من الشهرة على الأقل » . ووجد مصنعاً مهجوراً للحرير فى بلدة « لوك هايڤن » وكان قريباً من مطار المجلس البلدى ، فبذل فيه كل ماله ونشاطه ، ليعيد إنشاء المعمل الذى أكلته النار .

ومن ثم أربى ما يبيعه بايبر من الطائرات كل سنة على كل ما يبيعه منافسوه جميعاً . فلما أخذت الحكومة الأمريكية بخطة تدريب الطيارين المدنيين سنة ١٩٤٠ ، زاد ما يصنعه بايبر زيادة كبيرة حتى بلغ ٣٠٠٠ طائرة أو أكثر .

ولم يتبين رجال الجيش فى أول الأمر منافع هذه الطائرة الخفيفة ، فأشاروا عليه

بأن يكف عن صنعها . وأن يبذل المعونة لأصحاب المصانع التى تصنع الطائرات الحربية، فكان رده أن قدم للجيش اثنتى عشرة طائرة من طراز « كب » فاستعملت فى مناورات سنة ١٩٤٠ ، لاستطلاع حسن رماية المدافع ، فشهد لها كبار الضباط ، وكان أيزنهاور أحدهم . فلم تنقض أسابيع حتى اشترى الجيش اربع طائرات ، ثم أربعين طائرة ، ثم بضع مئات . وقد بلغ عدد الطائرات التى صنعها بايبر للجيش أثناء الحرب ، ٧٠٠٠ طائرة .

وقد كانت طائرات بايبر خلال الحرب عيونَ المدفعية ، تحوم فوق خطوط الأعداء فتكشف الاستحكامات المستورة ، وتوجه نيران المدافع بوساطة الراديو . وكان رمزها الرسمى حرف « ل — ٤ » ولكن الجند كانوا يسمونها « الجرادة » أو « النطاطة » أو « سيارة جيب الطائرة » . وكان أيزنهاور يطير بواحدة منها حين يخرج للتفتيش فى ساحة الوغى . أما فى ميدان المحيط الهادى ، فقد كانت تستعمل لنقل مصل الدم والبريد والمؤونة ، إلى جماعات الجند التى فى جوف الأدغال . وكانت تحوّم ثم تحط فى مهابط صغيرة لتنقل الجرحى . وقد استعملت أيضاً لنقل الرسائل من السفن إلى الساحل ، ومن سفينة إلى أخرى حين كانت الأعمال الحربية تقضى بالكف عن التخاطب بالراديو .

ولما كانت هذه الطائرات تستطيع أن تحط على الأرض بسرعة لا تزيد على ٣٨ ميلا فى الساعة ، ففى وسعها أن تطير فى أماكن لا يتسنى للطائرات السريعة أن تبلغها . وقد كانت « مطاراتها » رقعاً صغيرة فى أرض موحلة، أو فى سفوح تلال جُرْدٍ ، أو فى بقعة كثيرة الحجارة . وحين نزل الحلفاء فى سالير نو حلقت طائرتان منها من مدرج طوله ٧٣ قدماً ، أقيم على سطح سفينة من سفن إنزال الجند . وفى كازيرتا ركب لطائرات نقل الرسائل عوامات، فاستطاعت أن تقوم من سطح برك الماء فى حدائق القصر ، ثم تحط عليه . ولما كانت بطيئة رقيقة الحواشى مجردة من كل سلاح ، فقد كانت أشد الطائرات تعرضاً لخطر المطاردات ، ومع ذلك لم يسقط الأعداء إلا قليلا منها . وكان قوادها يهبطون بها ويتوارون عن مطارديهم بالطيران بين الأشجار وفى مخارم الأودية . وقد تمكن أحدهم من التفلّت من تسع مطاردات ألمانية كانت تطارده . وتمكن آخر من تدمير طائرة كانت تطارده ، فقد اتجه إلى واد ضيق ثم دار نصف دائرة فى مساحة صغيرة ، ولما كانت الطائرة المطاردة لا تستطيع

أن تدور مثل هذه الدورة ، اصطدمت بسفح الأكمة وشبت فيها النار .

ومع ما ظفرت به طائرات « كب » من مجد في ميادين القتال ، فإنك ترى بايبر كالوالد المدلّه، ينتظر اليوم الذى تخلع فيه طائرته ثوب الحرب الزيتونى القاتم ، وتعود إلى ثوبها الأصفر الذى ترتديه زمن السلم . وهو يكره العمل فى المكتب ، ويهمل أكداس الرسائل التى يتلقاها ، ويمضى إلى المصنع ، فتراه رثّ الملبس، مشعّث الشعر حتى ما يكاد يعرفه الموظفون الذين لم يطل عهدهم به . وقد دخل ذات يوم قسم « الشحن » فرأى كومة من صناديق فيها أجزاء الطائرات وقد أعدت للشحن، فقال: « خير لكم أن تنقلوا هذه الصناديق من هنا » ، وكان على مقربة منه عامل يراجع كشف الصناديق ، فقال : « خذ هذا الكشف وراجعه، وأصعد أنا إلى قمة الكومة ثم أناولك الصناديق واحداً واحداً » فأجاب بايبر : « طيب » فأنجزا العمل معاً .

أما وقد أخذت مصانع الطيران الأمريكية تتحول من إنتاج الحرب إلى إنتاج السلم، فإنك ترى بايبر يواجه أشد منافسة واجهها فى حياته . فطائفة كبيرة من أعظم شركات الطيران فى أمريكا ، معنية اليوم بصنع طائرات صغيرة رخيصة الثمن ، أو بإعداد الخطط لصنعها ، ومنها طائرة من طراز هليكوبتر، وأخرى تستطيع أن تحط على الماء والأرض ثمنها ٣٩٩٥ ريالا ، وثالثة تطوى جناحيها إذا ما نزلت على الأرض فتصير سيارة .

فلكى يذبّ بايبر عن منزلته فى مقدمة صانعى الطائرات الصغيرة فى أمريكا ، تراه يصنع اليوم طائرة ذات مقعدين ثمنها ٢٠١٠ ريالات ، وأخرى ذات ثلاث مقاعد ثمنها ٢٠٩٠ ريالا ، وهما صورتان منقحتان من طائرة « كب » التى استعملت لتدريب الطيارين . ورجاله يجربون التجارب لصنع ثلاث طائرات إحداها ذات سطح واحد ومقعد واحد، وثانية ذات مقعدين ، وثالثة ذات أربعة مقاعد ، ويرجو أن تباع الأخيرة بأقل من ٣٠٠٠ ريال .

ولا تزال تسمع عماله يرددون قوله : « إنك لن تصاب بأذى فى طائرة كب بايبر » وعلى أنه من الممكن أن يقتل طيار فى طائرة « كب » كما يقتل فى أخرى ، فإن لهذا القول ما يسوّغه . وقد أقسم بايبر أن لا يصنع طائرة من غير هذا الطراز .

حكمة الحيوان

ألن ديفشو

هذا طرف مما يدور فى خلد الحيوان وما يعتلج فى صدره . ولقد بلغت الأبحاث العلمية كل مبلغ ، ولكن لا يزال ثمة شيء يعجز عقل الإنسان عن تفسيره . وإذا أسقطنا من هذه العجائب القصص التى يبالغ الصيادون فى تهويلها ، بقى لدينا قدر عظيم من ملاحظات لا سبيل إلى الشك فى صحتها . تدع المرء مبهوتاً حائراً .

ذكاء النمل

لست أحبُّ النمل ، وأكره منها خاصة ذلك النوع الذى يجتاح مطبخ كوخنا الصيفى . وقد أخذ صديق لى من علماء الطبيعة يطنب يوما فى الحديث عن ذكاء النمل فتحدّيته بقولى : « أراهنك بمئة ريال أنى أستطيع أن أضع طعاما فى إناء مفتوح فيظل كذلك أسبوعا دون أن يستطيع النمل أن يصل إليه » . ففكر هنيهة فى الأمر ثم قبل الرهان ، بعد أن اشترط على أن لا أستعمل أى نوع من أنواع السم .

وضعت طست غسل على أرض المطبخ وصببت فيه الماء حتى بلغ نصفه ، ثم وضعت فى وسط الطست مصباح زيت قديم ، ثم أخذت فطيرة حلوة موضوعة فى طبق عسل ورفعتها فوق المصباح ، ثم جئت بغراء لا يجف فطليت به جزءاً مما ظهر من المصباح فوق الماء ، وجعلت الطلاء خطاً عريضاً يدور بالمصباح ، وكذلك فعلت بظاهر الطست ، وقلت لنفسى : لن تصل نملة إلى ذلك الطعام !

ودخلنا مطبخ الكوخ بعد أسبوع فوجدنا الطعام يعج بالنمل ، وفرك صاحبى يديه سروراً بالمئة ريال ، وبين لى وهو يبتسم مرتاحاً كيف فعل النمل حتى بلغ الطعام . فقد اقتحم النمل شريط الغراء صفوفا صفوفا . ورقد فيه واحدة تتلوها أخرى من طرف إلى طرف ، وجعلت أجسامها جسراً يعبر عليه غيرها إلى الطست . وجمعت النمل عند الماء قطعاً من القش (ألصقت بعضها ببعض بمادة خاصة تفرزها) . وأقامت جسراً عظيما يمتد من حافة الماء إلى المصباح .

واعترفت له بخيبتى وإخفاقى ، ولكن صاحبى العالم لم يكتف بذلك وأشار فى سرور إلى فوق وقال : « لقد كان للنمل طرق أخرى ، إنها لا تحب أن تسير مقلوبة على السقوف ، ولا تحب أن ترمى بنفسها من عل .

ولكنها تفعل ذلك إذا كان الطعام مغرياً . فنظرت إلى السقف ورأيت النمل تسير مقلوبة عليه ، ثم تقف فوق الطعام بالضبط ، ثم ترمى بنفسها على الطعام واحدة بعد أخرى بدقة لا مثيل لها ! [ا . باتيستا]

صائد السمك

خرجت يوما فى فصل الربيع ، والجمد لا يزال يغشى البحيرة ، وأدليت بخيوط الصيد من ثغرات فتحتها فى الجمد ، وقد جعلت الصراصير وصغار السمك طعما لصيدى ، فرزقت صيداً كثيراً من السمك . وعدت يوما إلى خيوطى أتفقد الصنانير ، فألفيت عدداً كبيراً منها قد أخرج ونزع منها الطعم. كان أول ما خطر ببالى أن هذا من عمل بعض صغار الصبية ، فاختفيت على شاطئ البحيرة أريد مراقبة هؤلاء الأولاد وتأنيبهم على فعلتهم .

ولشد ما كانت دهشتى حين تبينت أن أولئك المتطفلين لم يكونوا سوى غربان ، جعلت أرقبها فى ذهول ولا أكاد أصدق ما ترى عيناى .

رأيت أحد الغربان يأخذ خيط الصيد بمنقاره ويجذب منه جزءاً ويتراجع به خطوات إلى الوراء وهو يمعن فى جذبه ، ثم يضع قدمه على الخيط حتى لا ينزلق ثانية إلى الماء . ويهرع الغراب الثانى إلى حافة الثغرة ، ويقوم هو الآخر بجذب جزء آخر من خيط الصيد ثم يضع عليه قدمه ، وهكذا دواليك حتى تخرج الصنّارة وما عليها من طعم إلى سطح الجمد ، فيصيب الغرابان فيها طعاما شهياً . [كارل لورنتزون]

بالتجزئة

نزل رذاذ من مطر على أرض الحديقة فأحال أرضها المعشبة التى جففتها حرارة الصيف ، ندية رخوة ، وشاهدت أنثى طير تهرع إلى العشب لتفيد من الفرصة السانحة ، وراقبتها وهى تستخرج دود الأرض . ولشد ما كانت دهشتى إذ رأيتها بعد أن أخرجت الدودة من الأرض لم تعمد إلى أكلها بل شطرتها شطرين وخلفتهما على العشب . ثم إذا بها تبتعد بضع أقدام وتستخرج من باطن الأرض دودة أخرى فعلت بها مثل ما فعلت بالأولى . وكانت بعملها هذا تريد أن تجعل فرائسها من الدود عاجزة عن أن تعود فتنسرب فى جوف الأرض ، وتستفيد هى من تلك الفرصة النادرة للصيد .

وبعد أن أخرجت سبع دودات وقطعتها بتلك الطريقة العجيبة ، جمعت فى منقارها ستة أنصاف أو سبعة منها على مهل ، وطارت إلى

عشها . وبعد هنيهة جاء ذكر الطير فجمع في منقاره ما بقي من الدود ، وعاد إلى العش ليطعم صغارهما ولاريب . [بول لوروه]

كمين

بينما كنت في إجازة في مخيم الاستراحة لجيش الولايات المتحدة برانيخت عند سفح جبال الهملايا بالهند ، دبرت أنا وبعض صحبي حفلة صيد . وتبعتنا يوم خرجنا إلى الصيد جماعة من قردة برية كبيرة الأجسام ، لم تكف عن الصخب والضجيج وهي تنتقل وراءنا من شجرة إلى شجرة . وسرعان ما أدركنا أن تلك القردة الصاخبة ستنذر كل صيد باقترابنا .

فقررنا — دون أن نأبه لرجاء أدلائنا الهنود — أن نتخلص من هذه القردة الملعونة بقتل واحد منها . فسدد أحد أصحابي بندقيته وأصاب منها قرداً كبيراً ، فلم نلبث حتى خيم على الغاب صمت مخيف ، وشاهدنا أشباح القردة المربدة ترتد عنا في سرعة وسكون . على أن أربعة من القردة نزلت على عجل إلى حيث سقط رفيقها ، وقبض كل واحد منها على ذراع القرد الميت أو ساقه وولوا به مدبرين ، وقد رأيناها شديدة الشبه بالإنسان ، وهي تنظر إلينا بعيون شفها الحزن والألم .

وفي عصر اليوم التالي ، وقد مررنا في عودتنا بتلك الطريق ، شاهدنا ثلاثة قردة وقد جلست على شجرة فوق البقعة حيث قتل صاحبي القرد العجوز . ولما اقتربنا جعلت القردة الثلاثة تصرخ وتعوي كأنها تنادي عشيرتها أن تنفر إليها . فتقدم صاحبي ببندقيته نحوها وجثا على الأرض على ركبة واحدة ، واستعد لإطلاق النار عليها . وفي تلك اللحظة ضجت الغاب فجأة بكرات من الفرو الأربد تنقض من عل متكاثرة على صاحبي من كل حدب . وأوقعت طلائع القردة صاحبي إلى الأرض ، وعدت البقية خلفها لتقضي عليه ، ولم ينقذه من النكبة البالغة أو الموت ، سوى إسراعنا لنصرته بالبنادق والهراوات .

كان هذا الكمين فيما أرى من أبرع ما شهدت في هذه الحرب فكرة وتنفيذاً .

[الجاويش وودى ساليس]

روث وإدوارد برتشر – مختصرة من مجلة « ترو »

٢٥ ديسمبر عام ١٨٨١ : ثلاثة وعشرون جندياً من الفتيان تبرق وجوههم بين لحىً أنيقة ، قد جلسوا حول مائدة من خشب غير مصقول ، عليها من ألوان الطعام : حساء سلحفاة البحر وسمك وطيور، ولسان ثور المسك المطيّب بالأفاويه، وبط البحر وأنواع الخضر والفطائر المسقيّة بالنبيذ، والفواكه والمثلجات والنقل، وشيء من الحلواء والقهوة . ثم بدأوا يغنون ويمرحون، مع أن درجة الحرارة في الخارج كانت ٤٢ تحت الصفر . وكانت الجماعة قد توغلت شمالا إلى أقصى ما بلغه إنسان في الشتاء ، فقد كانت على أقل من ستمئة ميل من القطب الشمالي .

كان الملازم الشاب الباسل أدولفوس وشنطن جريلي قد نقل هذه النخبة من الرواد منذ خمسة شهور من جرينلند إلى خليج ليدى فرانكلين بجزيرة إليسمير ، فعبر بهم مضيق روبيسون الذى عرضه ٢٥ ميلا . وكان الغرض من هذه البعثة كتابة تقرير عن الأحوال الجوية . وكانت الأرقام التى سجلها جريلي ساعة فساعة عن الرياح والمد والجزر ودرجة الحرارة والضغط الجوى والمغناطيسية والجاذبية ، هى أول وصف كامل عن الأحوال الجوية فى منطقة القطب الشمالى، وعن أثرها البليغ فى تحديد جو المنطقة المعتدلة . وقد وضع بذلك الأساس الأول لدراسة الظواهر الجوية فى منطقة القطب ، فكان لهذه الدراسة شأن عظيم فى الحرب العالمية الثانية .

كانت الخطة تقتضى أن تأتى سفينة تموين فى صيف عام ١٨٨٢ فتمدهم بالزاد والأخبار، وأن تأتى سفينة أخرى فى صيف عام ١٨٨٣ لتحمل رجال البعثة إلى بلادهم .

أما سفينة الزاد المحدد لها عام ١٨٨٢ فلم تصل ، بيد أن هذا لم يفتّ فى عضد رجال البعثة ، فقد خرجوا على زحافات الثلج وهم يفيضون قوة وبشراً ، وقطعوا أكثر من ٣٠٠٠ ميل فى جولاتهم العلميــة .. وعبر جماعة منهم المضايق المتجمدة إلى جرينلند ، وبلغوا شمالا أقصى ما بلغــه إنسان قط . وكشفت جماعة أخرى وادى هازن ، وهو وادٍ معشب مخضلّ ، ازدانت حواشيه بزهور شقائق النعمان الصفراء ، ورفّت الفراش على جنباته ، ورعت ثيران المسك ناعمة فى مرابعه ، واصطفق البط فى مياهه الصافية . وأثبتت البعثة للناس أن المنطقة المتجمدة بقعة يستطيع أن يعيش الإنسان فيها فى راحة ويسر ، إذا عرف كيف يعيش .

ومضت ســنة ثانية ولم تأت أية ســفينة إلى خليج ليدى فرانكلين . وكان جريلى قد أُمر ، إذا ما وقع هذا الحدث، أن يرتد جنوباً ٢٦٠ ميــلا إلى رأس سابين حيث تنتظره سفن الإنقاذ . وإذا اضطر الجمد السفينة ان ترتد جنوباً قبل أن تتصل به ، فإنهــا تدبر له مقاماً مريحــاً يقضى فيه الشــتاء ، ومؤونة تكفيه سنة أخرى .

وفى ٩ أغسطس عام ١٨٨٣ ، شخص الأمريكيون الثلاثة والعشرون ومعهم اثنان من الإسكيمو فى قارب بخارى طوله ٢٧ قدماً اسمه ليدى جريلى ، وقد شدت إلى مؤخرته ثلاثة قوارب تجديف كبيرة ، وكان طريقهم يقع فى المضيق الضــيق الذى يفصل بين جرينلند وبيــن الجزر الكبيرة فى شمال القارة الأمريكية .

كان المضيق فى ســنة ١٨٨١ مفتوحاً تسهل فيه الملاحة ، وفى ســنة ١٨٨٢ كان متجمداً يمكن الانزلاق عليــه ، أما فى عام ١٨٨٣ فلم يكن هــذا ولا ذاك ، بل كان قطعاً مــن الجمد السابح وذَوْب الثلوج القطبيــة تتقاذفها الرياح والتيار . وظل القارب ليدى جريلى ثلاثين يوماً يتسلّل فى المياه تارة، ويشق طريقه بين الثلج الرجراج تارة أخرى، وكثيراً ما أوشك أن يُسْحق سحقاً بين قطعتين كبيرتين من الجمد السابح .
وقد اعترض طريقه مرة جبل هائل من الجمد السابح ارتفاعه خمسون قدماً، وغَوْره فى فى المــاء أكثر من ذلك ، وإذا بمعجزة كمعجزة انفلاق البحر ، وإذا بهذا السدّ الهائل ينشق وتمر قافلة القوارب الصُغيرة الرقيقة دون أن يمسها أذى ! ولـكن فى

٩ سبتمبر، حين كادت البعثة أن تبلغ غايتها، ووقف القارب عند جمد لا يمكن اجتيازه.

ولم تعوز الحيلة رجال البعثة، فقد صنع الرجال مراكب للجليد من مقاعد القارب، وأحاطوها بأطواق الحديد من مراجل القارب، وشدوها إلى القواعد الخشبية بسيور من جلد الفقمة. وحملوا على هذه المراكب المؤن والآلات العلمية وقاربين من القوارب الصغيرة. وخرجت هذه الزمرة تسير على الثلج الخؤون، تريد رأس سابين. وكانوا يسيرون بحملهم، وتبلغ زنته ثلاثة أطنان، ويجرّونه نحو ميل واحد فى اليوم.

وكتب جريلى فى مذكرته يوم ١٤ سبتمبر: « لقد ساء حظنا فوجدنا أن حقل الثلج الذى نسير عليه يتحرك حركة ظاهرة ساقتنا شمالا فى ثلاث ساعات أكثر مما سرنا جنوباً فى ثلاثة أيام ». وواجهتهم بعد ذلك قطعة من الجمد السابح كانوا قد قضوا أياماً فى الالتفاف حولها، ولكنها جعلت تدور، فألفوا أنفسهم حيث كانوا، وصار لزاماً عليهم أن يقطعوا ذلك الطريق الشاق مرة أخرى.

وهبت زوبعة، واستحالت الريح صرصراً عاتيـة تهب بسرعة ٥٠ ميلا فى الساعة، وجعل حقل الثلج يتحرك سريعاً نحو الجنوب، وظهرت على سطحه شقوق كبيرة، فإذا لم يتمكن الرجال المجاهدون من بلوغ الشاطىء قبل أن يجرفهم التيار إلى عرض خليج بافن. فلا محيص من أن يتفتت الجمد تحت أقدامهم. فألقى الرجال كل مالا حاجة لهم به من العتاد. وكتب جريلى فى مذكراته يقول: « لقد بذلنا ما وسعته طاقتنا، وعلينا الآن أن نكل الأمر لعناية الله ».

وأدركتهم عناية الله، فإذا جبل ضخم من الجمد السابح قد أخذ يبدو من خلال الضباب بين حقل الثلج والأرض. فإذا استطاعوا أن ينتقلوا إليه انفسح أمامهم طريق إلى الشاطىء. ودنا جبـل الجمد حتى صار على خمسين قدماً منهم، وحال ذَوْب الثلج وفتات الجمد المتراكم دون دنوّه أكثر من ذلك. وكتب جريلى فى مذكراته يقول: « إن حركةً من أىّ الجمدين تشق قطع الثلج الطافية، وتجعل البحر يبتلع كل من وقف عليه، ولكنه مع ذلك هو طريق النجاة الأوحـد. نخفوا سراعاً إلى نقل قارب وزحافة ومؤونة فوق تلك الهوة، ولم يكد آخر رجل من الجماعة يعبر الهـوة حتى تحرك الجمدان وكاد اليمّ يبتلعه.

وبعد ذلك بيومين بلغت البعثةُ اليابسةَ بالقرب من رأس سابين، وقد نهك البرد والجوع رجالها. وقد كانوا يتوقعون أن يجدوا بها أصدقاء، ونيراناً تتأجج، وكساء وطعاماً، ولكنهم لم يجدوا سوى رسالة

تحمل نذير سوء ، فإن جماعة الإنقاذ التى نهدت إليهم ،قد عادت أدراجهامنذ شهرين إلى بلادها، وخلفت وراءها خبيئة مطمورة، هى بضع ملابس وقدر من الزاد لا يسمن ولا يغنى من جوع .

لقد تألب الجهل وقلة الكفاية والحظ العاثر على إحباط مسعى البعثة ، فقد أرسلت سفينة للمؤن إلى الشمال سنة ١٨٨٢ ، فاعترضتها الجمد بالقرب من رأس سابين . وكان من جهل الربان وطاعته العمياء للأوامر البلهاء، أن خبأ لهم زاد عشرة أيام فقط ، وعاد إلى بلاده يحمل ثمانية أطنان من المؤن .

وفى عام ١٨٨٣ سحقت الثلوج السفينة « بروتيوس » بالقرب من رأس سابين ، وكان يخفرها المركب البحرى « يانتك » ، وترك رجالها لجريلى زاد شهر أو أقل . واستنقذ ربان اليانتك الناجين ، ثم استدار بمركبه وآثر الفرار . وكان يعلم ، كما يقول جريلى ، ان خمسة وعشرين من مواطنيه يعولون التعويل كله على معونته لهم فى تلك السنة ، ولكن الأوامر التى تلقاها لم تلزمه بمساعدتهم ، وعادت سفينته أدراجها إلى الجنوب موقرة بزاد كثير .

وقال أحد أعضاء الوزارة فى وشنطن أنه لا يرى حاجة إلى صرف مال آخر فوق المال الضائع فى سبيل إنقاذ خمسة وعشرين رجلا من الهالكين، ولكن جهود زوجة جريلى أدت إلى قيام حملة صحفية واسعة النطاق تطالب الحكومة بعمل فى هذا الصدد.

وفى ٢٢ يناير سنة ١٨٨٤ أقر مجلس النواب الأمريكى إرسال بعثة إنقاذ أخرى، بيد أن القرار لم يقدم إلى مجلس الشيوخ على الطريقة البرلمانية الصحيحة ، من جراء خطأ فى الإجراءات . وقد قال فى ذلك أحد أعضاء مجلس الشيوخ: « أرجو إذا ترك جريلى ورفاقه للهلاك أن يموتوا بطريقة برلمانية » ، فإن سفن الإنقاذ لم تبحر إلى رأس سابين إلا فى ٢٤ إبريل ١٨٨٤ .

٢٥ ديسمبر عام ١٨٨٣ : خمسة وعشرون رجلا أضناهم الهزال وعضهم الجوع ، قد انطرحوا على الأرض فى ظلام وبرد وقذر ، ولم يتسع كوخهم الحجرى الخشن فى رأس سابين لرقودهم متمددين ، وكان سقفه منخفضاً بحيث أنهم إذا أرادوا الجلوس معتدلين فى غرائر نومهم المتجمدة ، مست رؤوسهم الثلج الذى يغطى سقف الكوخ. ولن تطلع شمس المنطقة المتجمدة التى غابت منذ أمد طويل إلا بعد أسابيع كثيرة ، ولن يكفى زادهم إلى آخر مارس، حتى إذا قتروا على انفسهم فى جراياتهم من الطعام .

وانطرح فى أحد أركان الكوخ جوزيف أليسون ، وكان أسوأهم حالا ، فقد تطوع هو وثلاثة آخرون للبحث عن مخبأ لحم على مسافة ٣٥ ميلا إلى الجنوب ، وقدوجدوا الخبيئة،ولكن أطراف إليسون جمدت كالحجر ، فتوسل إلى رفقائه أن يتركوه ، ولكنهم تركوا اللحم وعادوا به إلى الكوخ ، وقد هُرِئت يداه وقدماه من البرد حتى سقطت مبتورة . وكتب جريلى يقول : « لقد كان إليسون فى الأسبوع الأول يتمنى الموت ضارعاً، ولكن لم ينقض شهر حتى عادت إليه بشاشته » .

وكان جريلى يقرأ بصوت جهير على ضوء مصباح زيت الفقمة الخابى فى بعض ما لديه من كتب ، وقد كتب فى مذكراته يقول : « إن بعضهم يستكثر تبديد الزيت فى هذا الغرض ، ولكنى أرى أنه صُرِف فى خير الوجوه ، فقد زوّد عقولنا بمادة للتفكير، فلو كنا تركنا عقولنا تنطوى على أنفسها خلال الشهور المقبلة، كان خليقاً بنا أن ننتهى إلى الجنون . »

١٨ يناير ١٨٨٤ : مات كروس جوعاً وكان أول من هلك من الجماعة ، فكُفّن فى غِرارة ، ولفّ فى العلم الأمريكى ، ووسّده رفقاؤه فى الثلج فى موضع سرعان ما عرف بينهم باسم « رَبْوَة المقبرة » .

وفى ٢ فبراير خرج الجاويش جورج رايس والإسكيمو جنز إدوارد، وعبروا الثلج إلى جرينلند فى طلب المعونة من إسكيمو إيتاه، وقد عادا بعد أربعة أيام وقد خارت قواهما وملأ اليأس قلوبهما، فقد ألفيا المضايق لا يمكن عبورها .

وأراد جريلى أن يزيل ما اعترى رجاله من خيبة الأمل ، فزاد جراية الخبز نصف أوقية فى اليوم، وكتب فى مذكراته : « كل هذا ضرب من اللهو الفارغ ، وسأضطر إلى إنقاص جراية كل شىء فى الأسبوع القابل » .

ولم يبق من الزيت ما يمكن الاستغناء عنه للقراءة ، وأخذ جريلى يحاضر رفاقه فى الظلام فى تاريخ الولايات المتحدة وجغرافيتها، وكان جريلى صارماً محباً للنظام ، فأصر على أن يستيقظوا مبكرين كالجنود ، وعلى أن تكون الأوامر والتقارير مكتوبة ، إلى غير ذلك ، وذلك لعلمه أنّ مثل هذا خليق أن يحفظ على رجاله صحتهم وقوة عزائمهم .

وكان أكثر حديثهم عن الطعام ، وقد كتب جيمس لوكوود نائب جريلى فى القيادة يقول : « سيحضر برينارد إلى منزلى للعشاء عندوصولنا وشنطن ، وقد وعدت أن أقدم له محاراً مطهياً ومربى الفراولة والكعك . »

٢٦ مارس : وأخيراً ارتفعت الشمس بحيث تسربت من خرق ثقبناه فى سقف الكوخ . وكتب جريلى يقول : « لقد كشفت أشعة الشمس البازغة عن منظر تناهى فى القذارة والبؤس . وفى تلك اللحظة رأيت ما اعترانا من الضجر والألم والبرد والجوع والضنى والهياج، والأسى الناجم عن خيبة الآمال، وغضبنا العاجز من قلة حيلتنا، كل ذلك رأيته ماثلا لعينى، بيد أن أفكاراً أخرى جالت بخاطرى : تلك الشجاعة الصابرة وهذا الجلد الذى يطاول الشقاء ، وذلك الوفاء الذى لايتزعزع، والإيثار العظيم الذى أبداه كل رجل خلال تلك الشهور المتطاولة . لعمرى إن تلك البلية ستجعلنى دائماً أحسن الظن بالجنس البشرى » .

٦ إبريل : لم نستطع أن نظفر بشىء من صيد البر، وجعل الرجال يأكلون « براغيث الرمل » أو كما يسمونها «جمبرى» ، وهى من صغر الحجم بحيث تزن كل ٧٠٠ منها أوقية واحدة . وخرج رايس وجوليوس فردريك يحاولان ثانية أن يعثروا على خبيئة اللحم ، فبحثا عنها على غير جدوى . وبدأت أطراف رايس تجمدمن البرد ، فخلع فردريك بعض ملابسه ودثـّر بها صاحبه وهو فى غمرة الموت يريد تدفئته ، واحتضنه بين ذراعيه حتى أسلم الروح، فقبل جبينه، ثم عاد أدراجه على الجمد جاهداً متوحـّداً . ولقد ضرب فردريك مثلا لا نظير له فى انتصار الإرادة البشرية ، بأن أضاف عند عودته نصيب رايس من الزاد الذى لم يأكله ، إلى بيت الزاد العام .

٩ إبريل : مات لوكوود جوعا ، وقد استمر إلى ما قبل موته بيومين يسجل درجات الحرارة .

٢٦ مايو : كتب جريلى فى مذكراته عن إدوارد إسرائيل فلكىّ البعثة : «أصبح إسرائيل الآن فى ضعف شديد ، لايستطيع حتى أن يجلس . وتراه يكثر الحديث عن أهله وأيام صباه . ولقد أعطيته جرعة من الروم هذا الصباح ، ولم يك ذلك منى عدلاً بينه وبين الباقين ، إذ كان من الجلى الواضح أنها لن تفيده شيئاً . بيد أنه وجد فيها راحة وعوناً ، ولقد عاملته كما أحب أن أعامَل فى مثل هذه الساعات . »

ولقد بدا فى النهاية أن بلوانا الفاجعة كانت أكثر مما يتسع لها طوق تشارلس هنرى ، فقد جعل يسرق الزاد من رفاقه الجياع ، وصار بذلك أشد الجميع قوة . كنا نخاف أن تسوّل له نفسه أن يقتل الآخرين ليستأثر بالزاد كله لنفسه ، أو ليأكل لحمهم بعد موتهم . وفى النهاية اضطر جريلى إلى أن يكون شديداً فى معاملته، ووافقه الجميع،

بأمر بإعدامه ، وأعدم رمياً بالرصاص يوم ٦ يونيو .

قامت بالقرب من المخيم مركبة الجليد القديمة التي اصطنعوها من القارب ، ففكوا عنها سيور جلد القمة وجعلوا يأكلونه ، وآثر البعض الجلد مسلوقاً ، وشواه الآخرون على ما بقي لديهم من خشب قطعوه في طول عود الثقاب ليستوثقوا من احتراقه . واشتدت الحال فتبلّغ الرجال بجلد أحذيتهم وقفازاتهم ، وزودهم جريلي بعد ذلك بدثاره وهو من جلد القمة ، ثم بغطاء غرارة نومه ، وجعلها أنصبة متساوية بين الجميع ليأكلوها .

ويذكر دافيد برينارد احتياطاً غريباً اتخذوه في ١٩ يونيو ، فقد ربطوا ملعقة إلى ذراع إليسون المقطوعة ، حتى يستطيع إذا مات الجميع وبقي هو ، أن يجد وسيلة يحمل بها ما قد يبقى من زاد إلى فمه .

ولم يتوان الرجال حتى ذلك اليوم عن أداء العمل الذي قامت البعثة العلمية من أجله كأحسن ما يستطيعون ، إلا أن البارومتر كان قد كسر ، وكتب جريلي يقول : « لقد كان هذا من الجدّ العاثر ، إذ كنت آمل أن نواصل عملنا حتى يموت آخر رجل منا » ، ولكنهم لم ينقطعوا عن تسجيل أحوال الرياح ودرجات الحرارة . وقد وجد برينارد في رحلاته حين خرج يلتمس لهم طعاماً من بقايا الطحلب ، بعض آثار الإسكيمو ليضمها إلى مجموعته الأثرية . ووجد لونج ١٢ نوعاً غريباً من المحار .

وعلى الرغم من أن الجوع قد برّح بهؤلاء الرجال ، حتى كانوا يأكلون الحشرات إذا هم عثروا عليها ، فإنهم رفعوا ذلك المحار الذي بضّرى شهوة الجائع ووضعوه في آخر ما تبقى لديهم من الخمر ، وذلك رجاء أن يدرسوه من الوجهة العلمية فيما بعد .

٢٠ يونيو : كتب جريلي في مذكراته يقول : « تزوجت في مثل هذا اليوم منذ ستة أعوام مضت ، وقد تركت زوجتي منذ ثلاث سنين لأخرج في هذه الرحلة . متى ينتهي عيشنا هذا تحت ظلال الموت ؟ »

٢٢ يونيو : هبت على « مخيم الجوع » رياح وثلوج أحاطت به من كل جانب ، وتهيأ كل من السبعة الباقين للموت كل على طريقته . فتناول جريلي مذكراته مرة أخرى وكتب فيها : « فتح مضيق بيوكانان ظهر اليوم على مسافة طويلة من الشاطئ » ، وكان هذا آخر ما خطه جريلي في مذكراته .

وقارب الليل أن ينتصف ، وخيل إليه أنه يسمع صوت صفير طويل خافت يعلو على زمجرة العاصفة . ومضت الدقائق متثاقلة

كأنها أجيــال ، ثم طرقت سمعه أصوات غريبــة كانت أول أصوات يسمعها بعد ثلاث سنين فى البقاع المتجمدة ، فإن جماعة الإنقاذ التى خرجت بقيادة القومندان ونفيلد سكوت شلى عام ١٨٨٤ كانت على خلاف سابقاتهــا ، إذ كان لهــا من نفاذ البصيرة والإقدام ما يتطلبه الشمال المتجمد ، وقد شقت طريقها قُدُماً فى الضباب والثلج حتى بلغت رأس سابين فى اللحظة الأخيرة .

كان إليسون ، ولا حول له ولا قوة ، يلعق الملعقة التى ربطت إلى ذراعه ، وكان موريس كونل ملقى على الأرض كأنه ميت . واعتدل برينارد فى شجاعة يريد أن يحي التحية العسكرية ، ولم يكن بين تلك الجماعة من يستطيع المشى غير فردريك ولونج . أما بيدربك ، وهو ممرض الجماعة من قديم ، فلم يزل يبذل كل مساعدة لرفاقه ، فجرّ بدنه جراً ، زاحفاً على يديه ورجليه ، وجرّع كونل ، وقدغاب عن وعيه ، آخر جرعتين من الكونياك .

وإذا بصوت عال يسأل : « أهذا أنت ياجريلى ؟ »

وسمع جريلى هذه الكلمات كأنها آتية من فجّ عميق ، فثبت نظارتيه بأصابع ترتجف على عينين غشّاها الإظلام .

وقال : « نعم » ثم قال وهو يجهـــد أن لا يرتجف صوته : « إنى لسعيد بلقياك » .

مات إليسون فى طريقه إلى بلاده ، وقد ظل ستة أشهر أو تزيد بلا قدمين وبلا يدين . وعلى الرغم من أن جروحه لم تتقيّح فإنها لم تندمل . وقد ظن فى بادئ الأمر أن جريلى لن يعيش أيضاً ، ولكن لم تكد مسز جريلى تصل إلى السفينة فى بورتسموث حتى كانت العنــاية والطعام والدفء ، قد مهدت للستة الناجين طريقاً إلى العافية .

وعاش جريلى نصف قرن آخر يدير مكتب الأرصــاد الجوية الأمريكية وفرقة الإشارات ، وبلغ رتبة القيادة فى عام ١٩١٦ ، وفى عيد ميلاده الواحد والتسعين فى مارس ســنة ١٩٣٥ ، وهى الســنة التى توفى فيها ، منحه الكونجرس وسام الشرف لما أسدى إلى بلاده من أيادٍ كثيرة . أما الجاويش برينارد ، الذى صار جنرالا فى الحرب العالمية الأولى ، فقد اعتزل الخدمة ولا يزال حياً يرزق إلى يومنا هذا .

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها نمْ ، فالمخــاوف كلهنّ أمانُ

« تقاس الديمقراطية بما تمنح من حرية لأقل الناس شأناً فى الحياة »
[جون جالزورذى]

حاربت، ولا أزال أحارب

الشاويش بين كيروكى

هى أرض أسلافى ، ولكننى ما أحببت قط أن أزورها . لقد جئت من بلدة تدعى هيرشى بولاية نبراسكا فى الولايات المتحدة . ولى أنا ووالدى ووالدتى وأخى الأصغر مزرعة هناك نزرع فيها البنجر والبطاطس .

لم أغادر بلدتى إلا قليلا ، وذلك حين كنت أخرج لصيد السمك ، أو أسافر إلى شيكاغو لأزور أختى . ولقد نويت أن أزور نيويورك يوماً ما ، ولكننى لم أفكر فى زيارة طوكيو .

فى اليوم التالى للإغارة على برل هاربور ، قطعت أنا وأخى ١٥٠ ميلا ، وتطوعنا فى الجيش ، وجعل بعض الناس يحدقون فى وأنا فى القطار إلى المعسكر ، وسمعتهم يقولون : « ما يصنع هذا اليابانى فى الجيش ؟ » فصدمنى ذلك صدمة أذهلتنى ، ولم ألبث أن أدركت ، بعد انتقالى من بلدة أعرف كل أهلها ، أنه مهما تكن البلدة التى ولدت فيها ، ومهما تكن العواطف التى أكنها لهؤلاء الناس ، فأنا عندهم غريب أجنبى ، وظل الناس يحدقون فى وجهى فى طريقنا إلى المعسكر ، ولن أنس سفرتى هذه فى القطار .

تقدمت لقيادة الطيران أريد التطوع فى سلاح الطيران ، فكانوا يزعمون لى مرة بعد أخرى أن أوراقى قد ضاعت ، أو أنها محجوزة فى جهة ما ، فلما سافرت وراء البحار كنت فى وظيفة كاتب فى جماعة قاذفات القنابل الثالثة والتسعين .

وكان ذلك فى أوائل نزولنا فى إنجلترا ، وكانت الأحوال تسير على غير ما يرام ، وكانت قاذفات القنابل تهوى كالفراش ، حتى قلّ عدد رجال المدفعية المدربين للطيران . ثم قرأت ذات يوم عن جماعة تدعى أبناء وبنات « جولدين ويست » الوطنية ، وكانت دعوتهم ترمى إلى عزل الأمريكيين الذين من أصل يابانى فى بقعة تغمرها المستنقعات ، فكدت أجنّ حين قرأت هذا المقال ، فتطوعت لأكون مدفعيا ، ودرست خمسة أيام ، ثم انتقلت وحدتنا إلى إفريقية .

مختصرة من خطبة ألقيت فى اجتماع عام عقدته صحيفة « ذى نيويورك هيرالد تريبون » . وكيروكى هو أول أمريكى من أصل يابانى ظفر بوسام صليب الطيران الممتاز فى الحرب ضد اليابان .

وقمت بأول غارة لقذف القنابل على بنزرت، وفى هذه الغارة قتل مدفعى ذيل الطائرة ، فاتجهت نحو برج الذيل لأحل محله ، ثم قمنا فى تلك الأيام ببضع غارات عنيفة على نابلى، وفينار نويشتات ، وروما . وكنا نردد هذا القول : «إنك تطير فى سبيل أمريكا وأنت فى طريقك إلى الهدف،أما وأنت فى طريقك إلى قاعدتك، فإنك تطير فى سبيل نفسك» .

وأما غارتى الرابعة والعشرون فكانت على بلويستى، وهى أول غارة منخفضة على هذا الهدف ، فكانت مقتلة عظيمة ، ولم يعد من سربنا سوى طائرتين من تسع طائرات.

ثم أتممت الغارات التى كلفتها، واستعدت وحدتنا لتعود إلى الوطن،غير أنى تطوعت كى أظل فى الخدمة وأقوم بخمس غارات أخرى . فقد كان أخى الأصغر لا يزال فى أمريكا،ولم يخرج للخدمة فيما وراء البحار ، فأحببت أن أقوم بهذه الغارات نيابة عنه .

وكانت آخر غاراتى على مونستر،فأصابت طائرتى قذيفة فحطمت جوانب البرج وتطاير الزجاج فمزق وجهى، وعصف الهواء فأطار قناع التنفس، فوضع مدفعى قناعاً آخر على وجهى ، فسار كل شىء على ما يرام .

عدت بعد ذلك إلى مسقط رأسى فى الولايات المتحدة ، وشعرت بما يشعر به صبى غداة إجازته ، وأخذ الناس ينظرون إلى أوسمتى ويصافحوننى ، ولقد راعنى أن أشعر بتقدير الناس لما قمت به وباحترامهم لى من أجله .

ولما تقدمت للجيش ثانية فى كاليفورنيا رشحونى للاذاعة فى الراديو ، فأحسست حقاً بأننى رجل ذو شأن ، ثم دعوت بعض زملائى ليستمعوا إلى إذاعتى ، ولكننى قبل أن أبدأ بساعة واحدة أمرت بأن أكف وأتنحى عن العمل ، ولم يحفل أحد بأوسمة الطيران الممتازة التى نلتها ، ولاح لى أنهم يعدوننى أمريكيا من أصل يابانى ، ولذلك كان أمرى مثاراً للجدل .

ولعل هذه هى المرة الأولى التى خطر لى فيها أننى لم أنته من هذه الحرب بعد ، وقد جعلنى على يقين من ذلك ما وقع لى فى اليوم التالى ، إذ هممت بالركوب فى سيارة أجرة مع رجل ، فبادرنى بقوله إنه يأنف أن يركب مع يابانى قذر ، وكان على صدرى أجنحة سلاح الطيران وأوسمتى ، ولكنه لم يحفل بها ، فكدت أبكى وجن جنونى .

فلما لقيت كل ذلك قلت لنفسى : « إما الإغارة على طوكيو وإما الموت» . وقد وددت لو أستقل قاذفة قنابل ، فمكثت ثلاثة أشهر وأنا أسمع قول من يقول : « لا ، هذا مستحيل إن اللوائح لا تسمح » ولكننى لجأت إلى من يحبون معاونتى ، وهم نفر

من الأمريكيين يعتقدون أن ماقمت به خليق بأن يجعلنى أهلا للثقة ، فأيدونى . وعلمت بعد ذلك أننى سأدرب على قاذفة القنابل ، فشجعنى بعض التشجيع أن ألقى نفراً من الناس لا يأخذون المرء البرىء بما كان من جنسية أسلافه أو لون بشرته .

انطلقنا من مطار فى جزيرة تنيان ، واشتركت فى ثمان وعشرين غارة فى منطقة المحيط الهادى على كوبى وأوزاكا ، وعلى طوكيو فى النهاية . بل أتيح لى أن أشترك فى غارة على يوكوهاما مسقط رأس والدتى.

ولما علم زملائى أننى قد شننت غارات كثيرة فى الميدان الأوربى ، ظنوا أن بى مسًّا من الجنون ، لأننى عدت فتطوعت مرة أخرى ، فجعلت أمزح معهم بقولى : «إن المواصلات بيننا وبين اليابان قد قطعت، وأن هذا هو السبيل الوحيد الذى يكفل لى زيارة ناجازاكى » ، ولم أقل شيئاً عن السر الذى دعانى إلى الإغارة على اليابان .

لم أفعل ذلك لكى أحارب المبادىء الفاشية التى تسود ألمانيا واليابان وحسب ، بل لأحارب أيضاً بعض الأمريكيين الذين لم يحسنوا فهم مبادىء الحرية والمساواة .

إننى امرؤ لا سلطان له ، ولست أعلم شيئاً لا يعلمه أى شاب فى أمريكا ، غير أننى أعلم أنى حاربت مع طائفة من الرجال من جميع الأجناس ، منهم المدفعى البولندى . وقاذف القنابل الألمانى ، والهندى الأمريكى ، ورأيت رجالا تسيل دماؤهم ، فكان لون دمائهم جميعاً لوناً واحداً على تباين مطارح الأرض ، ثم سمعت صرخات ألمهم فتشابهت صرخاتهم على اختلاف أديانهم .

لقد اشتركت حتى اليوم فى ٥٨ غارة جوية ، فأورثتنى رعشة لا أزال أجدها فى يدى ، وسهاداً لا يزال يقض مضجعى ، وإنى لأتمنى أن أعود إلى مسقط رأسى وأنسى الحرب ، وحسبى أن أستلقى فى ظل شجرة راضياً بالحياة غير حافل . وإنه لمن العسير أن تدركوا أنى أجد الحرب لم تنته بعد ، لم تنته فى رأى كثير منا نحن الأمريكيين الذين من أصل إيطالى أو زنجى أو يابانى .

وما دمنا نعيش فى عالم يسوده التحامل والضغائن ، فإن حربنا لن تخمد .

وإننى لأعود بذاكرتى إلى عهد دراستى فأذكر أن من الأشياء التى تعلمتها أن أمريكا بلد من البلدان التى لا يعترض الجنس أو الدين حرية أفرادها . وهذا هو سر إغارتى على طوكيو ، فقد خرجت لكى أحارب فى سبيل عالم ليست الحرية فيه عَرَضاً ظاهراً بل هى جوهر الحياة ، عالم أهله فيه سواسية كما برأهم الله ، حتى يثبت أنهم ليسوا أهلا لهذه المساواة .

هذا بدء موسم الذبابة التي تولد وتنشأ في الأقذار وقد أعدت إعداداً فذاً لنقل الأقذار من مكان إلى مكان .

عدونا... الذباب

ألن ديفو • مختصرة من مجلة " يور لايف "

في بعض الأمثال : شيئان لا مفرّ منهما : الموت والضرائب ، فأضِف إليهما شيئاً ثالثاً هو : الذباب . فالذباب الذي يطن في الشمس عند النوافذ ، ويحوّم بشراهة على موائد الطعام ، أصبح شيئاً لامناص منه في الأقاليم الحارة ، فترى أكثرنا يألف وجوده حتى ما يكترث له .

وهذا الإهمال يجرّ علينا من الأذى أكثر مما نتصور : من أوبئة الكوليرا ، والجمرة الخبيثة والتيفود والرمد الصديدي والسل ، وكثير مما يصعب تعليله من إسهال يصيب الأطفال الرضّع في زمن الصيف . فذباب البيوت هو ألد أعدائنا وأفتكهم بنا .

تبدأ ذبابة البيت حياتها وهي بيضة أصغر من رأس الدبوس ، تضعها الأنثى على كومة من الرَّوْث أو أي قمامة متعفنة ، وفي ٢٤ ساعة تنفلق البيضة عن دودة شفافة لا سيقان لها ، فما يمضي يوم حتى تكبر فيضيق عنها جلدها ، فينشق وتخرج منه وتكتسي جلداً آخر . ثم يتكرر انشقاق الجلد وخروجها منه ثلاث مرات في ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع يضرب لونها اللبني إلى السمرة ، ثم تنسلّ من مكمنها حيث كانت تصيب طعامها ، وتغور في الأرض .

وفي الأيام الثلاثة التي تقضيها دفينة في جوف الأرض يشف غشاؤها العذري (*) عن بدنها المجزّع وسيقانها الست ، وجناحيها المعرّقين ، وعيونها المركبة ذات العدسات المتعددة . وياله من تناسخ هائل في مثل هذا الزمن القصير ! ثم ينشق الغشاء فتخرج منه الذبابة البالغة ، تشق طريقها في الأرض صُعُداً حتى ترى نور الشمس ، متأهبة أن تعيش عيشة الذبابة البالغة ثمانية أسابيع أو عشرة ، متى جفّ جناحاها واشتدّا .

ويستغرق هذا التطور من بيضة إلى ذبابة بالغة سبعة أيام ، فإذا هي مهيأة للتناسل . فإذا كانت أنثى باضت في أقل من أسبوع أول دفعة مئة بيضة أو أكثر ، ثم تبيض مثلها

---

* العذراء (اصطلاحاً) هي المرتبة الثانية في حياة الحشرة ، فيما بين اليرقة والحشرة التامة

كلّ عشرة أيام . وتكاثر الذباب هذا التكاثر العجيب، يدلك على طرف مما تبلغه كثرة نسله إذا مضى ينسل دون أن يعوقه عائق . ولما كان موسمه يمتد من منتصف مارس إلى آخر نوفمبر ، فالذبابة الواحدة تنسل تسعة أجيال فى المتوسط . فإذا أحصيت سلالة ذبابتين ، ذكر وأنثى ، فربما بلغ تعدادها فى هذه الفترة مبلغاً هائلاً هو ٣٣٥ر٩٢٣ر٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ لو قُدّر للذرية كلها أن تعيش .

وصاحب النفس العَيوف إذا تقزّز من حياة الذبابة فى أول نشأتها ، فهو منها أشد تقزّزاً حين ينظر إلى حياتها بعد بلوغها . فالشهوة الطاغيـة تجعلها تستطيب القمامة المتعفنة وسواها من الأقذار كما تستطيب قطع السكر على مائدتك ، وتراها تطير رأساً من طعام لتحط على آخر . ويالها من حقيقة مفزعة حين تذكر ما ركب فيها من أعضاء فذة ، وما لهذه الأعضاء من وظائف .

فبدنها كله يكسوه زغب متراكب دقيق ، وكذلك الأجنحة والسيقان والأقدام ، فهى مزودة بخير أداة لاقطة من كل ما تحط عليه . ثم انظر إلى أقدامها ، فهى شاذة التكوين ، لكل منها خُفّ لصّاق من الشعر اللزج ، وبهذه الأخفاف تستطيع أن تسير برشاقة على السطح الأملس ، وتمشى مقلوبة على السقف ، ولكنها تلتقط عشرات الألوف من الجراثيم فتنقلها من مكان إلى مكان .

يضاف إلى هذا أن فم الذبابة مكون من خرطوم ينتهى بحلمتين رخوتين من اللحم ، وليس لها مواضغ . ومن أجل ذلك لا تأكل السكر حتى تذيبه ، ولكى تفعل ذلك تفرز على قطعة السكر قطرة سائلة من آخر طعام أكلته ، وهـذا هو العمل المفزع الخبيث الذى تأتيه الذبابة على مائدة طعامنا حين نراها فى وعاء السكر . وهذه القطرات التى تفرزها مضافاً إليها وَنيم الذبابة (كلمة مخصصة لبراز الحشرات) هى أصل الهنات التى تتركها على النوافذ فتشق بها ربات البيوت .

هكذا حياة الذبابة التى تولد فى القذر وتنشأ فيه ، والتى أعدت إعداداً فذاً لنقل هذا القذر حيثما حلت ، ومهما قيل فى خطره على الإنسان فهيهات أن نبلغ مداه . يقول الدكتور هوارد عالم الحشرات المشهور : « تدل التجارب على أن الذبابة تنقل أكثر من ثلاثين نوعاً من جراثيم الأمراض » . وطالما بيّن الأطباء والمؤلفون خطرها العظيم على الصحة العامة . وقد ظهر من التجارب الدقيقة أن الجراثيم العالقة ببدن ذبابة واحدة قد تبلغ خمسة ملايين ، وأن ذبابة واحدة قد تعدى سكان بيت بأسره .

ترى كيف نستطيع أن نكافحها ؟ فى وسع الأفراد أن يعملوا عملا نافعاً فى مكافحتها ،

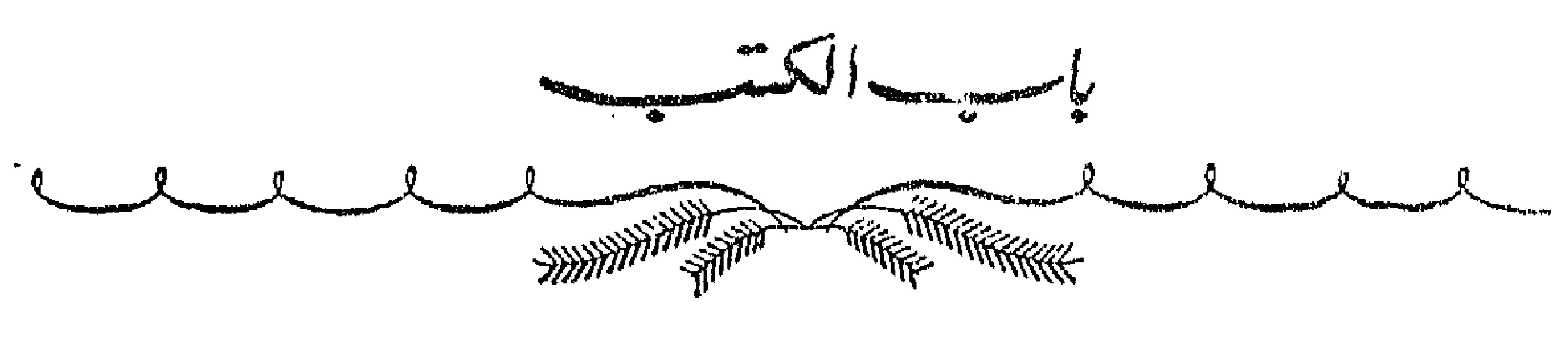
ولكن عمل الجماعة المتعاونة أجدى وأعظم. إن الذباب لا يستقر فى مكان ، وقد ظهر من التجارب الحديثة أن طيران الذبابة ١٣ ميلا ليس مما يخرج عن طاقتها ، فليس يجدى إذن أن يكافح الذباب فى أحياء السكنى فى مدينة بعينها ، إذا كان على بعد أميال قلائل من المدينة وَهْدة للزبالة لا تراعى فيها القواعد الصحية ، أو كومة مكشوفة من روث البهائم يتوالد فيها الذباب بالملايين . وينبغى أن تغطى منافذ المراحيض القديمة الطراز بشباك من السلك ، وأن يستعمل فيها البورق سماً للذباب ، وينبغى أيضاً أن لا ينفذ شىء من مجارى الخَبَث إلى سطح الأرض .

فالواجب على سكان المدن أن يتعاونوا على دَرْء هذا الخطر ، وعلى كل منا أن يستوثق من أن وعاء الزبالة فى بيته مصنوع من المعدن ومغطى بغطاء محكم ، وأن زبالة مدينته تحرق حرقاً أو تعالج بوسيلة من الوسائل الصحية ، ولا يكتفى بطرحها أو طمرها . وينبغى أيضاً أن نكافح الذباب الذى يقتحم بيوتنا كفاحا مستديماً ، باستعمال المذبات ، والرشاش القاتل له ، والدَّابُوق (الورق اللزج) .

ويجب أن تبلغ هذه الجهود أقصاها فى أوائل الربيع وفى أواخر الخريف ، إذ يبدأ الذباب موسمه الأول فى التناسل ، فإذا جاء الموسم الثانى كمن بيض الذباب فى الأرض طول الشتاء ، فهيىء لفصيلة الذباب أن تستأنف الحياة عاما بعد عام .

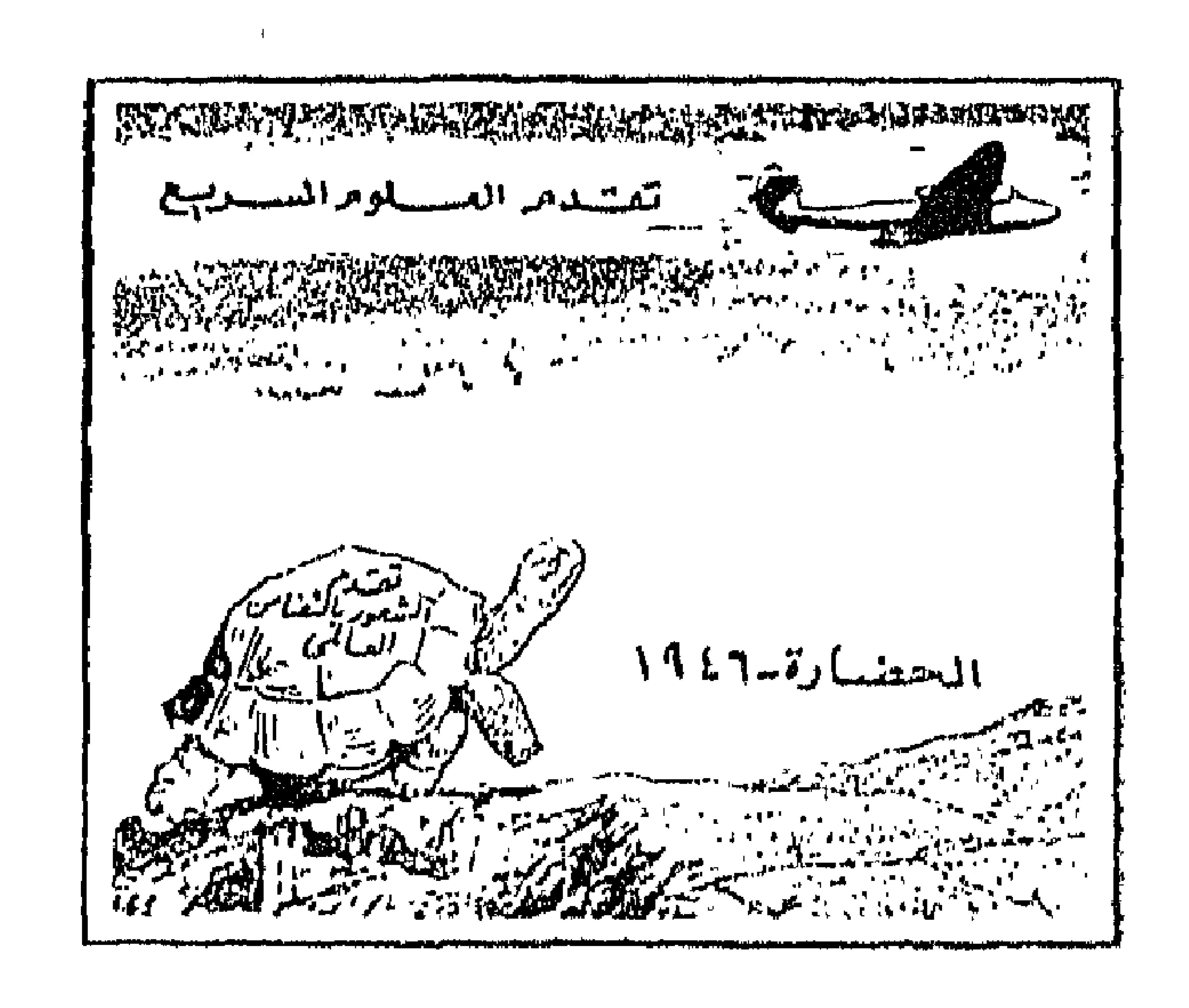
إن لذبابة البيت ، كما لكل مخلوق سواها على وجه البسيطة ، أعداء من الأحياء . وينبغى أن ينصبّ بعض كفاحنا للذباب على تكثير أولئك الأعداء ، فيجب مثلا أن نبقى على العناكب ، ولعلها أعدى أعداء الذباب على الرغم من أذاها للحبوب — والضفادع والعَظاء (السحالى) والسمادل (دويبات من فصيلة الضفادع) . وأهم من ذلك كله أن نستكثر من الطيور ، فلست تستطيع أن تحصى الذباب الذى تلتهمه طيور كالعصافير والخطاطيف والبط وما شاكلها ، ولا أن تحصى بيض الذباب ويرقاته التى تقضى عليها ضروب أخرى من الطير . فمن أجل ذلك كان إلقاء بقايا الخبز والزبد للطيور فى الشتاء ، وتهيئة أمكنة تبنى فيها أوكارها فى الربيع ، خطوات هامة فى مكافحة الذباب .

كان الإغريق يضحون للذبابة بثور كل عام فى أكتيوم . وكان السوريون الأقدمون يتزلّفون لها بمثل هذه القرابين . لكننا نأمل أملا عظيما ، على رغم الدهور المتطاولة التى قضاها الذباب بين ظهرانينا قاتلا فتاكا ، أن نقرب بجهودنا ذلك اليوم المبارك الذى ينقرض فيه الذباب من كل مكان على ظهر البسيطة .



قضية السلام

امري ريفز



آراء في هذا الكتاب المثير

الأسوشيتدبريس : قلّ بين الكتب عن أخطار الحرب ما هو أشدّ تحريكا للنفس من هذا الكتاب عن احتمالات السلام .

النيويورك تيمس : إنه بارع بليغ يعالج الواقع كما هو .

سان فرنسسكو كرونيكل : جدير بالكتاب أن يعنى به ويفكر فيه كل إنسان .

نيويورك هيرالد تريبون : القضية من حيث خطوطها الرئيسية لا تنقض .

توليدو بليد : هذا الكتاب هو كتاب المبادىء والقواعد لجميع الذين يريدون أن يبنوا عالماً منظماً يسوده السلام .

منيا بوليس سندى تريبون: ربما استطاع

بعضهم أن يثبت أن ريفز مخطىء ، ولكننى أشك فى هذا .

روبرتس القاضى السابق فى المحكمة العليا للولايات المتحدة : إنه دعوة مدوية إلى التفكير الرشيد فى سلام العالم . ونحن جميعاً مدينون بالشكر لإمرى ريفز .

مارك فان دورين المؤرخ : « إن القضية التى يعرضها ريفز تبدو مقنعة كل الإقناع ، وهى مقنعة بقدر ما هى ملحة . وكل ما أرجو ، هو أن يطلع على كتابه الملايين من القراء » .

كريستوفر مورلى الروائى : لو أمكن وقف كل الصحف والراديو مسافة يوم واحد ، لكان خير ما يقضى الناس فيه الوقت أن يقرأوا كتاب « قضية السلام » .

ستردى ريفيو الأدبية : من أحكم الكتب التى كتبت إلى الآن على القواعد الحقيقية التى لا بد منها لجعل السلام حقيقة واقعة .

قضية السلام

نظام الإقطاع فى القرن العشرين

إن الأحوال السائدة اليوم فى المجتمع الإنسانى ، فيها مشابه تلفت النظر من أحوال المدة الواقعة بين القرنين العاشر والثالث عشر ، حين ازدهر فى أوربا نظام الإقطاع .

لما تداعى الحكم المركزى فى العالم الغربى المعروف يومئذ ، وذلك حين سقطت الدولة الرومانية ، فقدت أرواح الناس وأموالهم ما يحميها من اللصوص فى الداخل ، ومن الغزاة فى الخارج . وفى هذه المرحلة المضطربة من مراحل التطور الغربى برز نظام الإقطاع ، وهو نظام سياسى أوحدته رغبة الجماهير فى الأمن ، فقصد الرجل الحر الذى لا أرض له ، والمالك الصغير أيضاً ، إلى أقوى سيد فى المنطقة ينشدان الملاذ والمعونة ، ويعرضان خدمتهما فى مقابلة ذلك.

وجعل الرعايا أنفسهم وأرضهم — إذا كان لهم أرض — رهن مشيئة الأمير ، وتلقوا منه الطعام والمأوى فى السلم ، والسلاح فى الحرب ، وفى مقابلة ذلك زرعوا الأرض وأدوا الضرائب وخاضوا المعارك . وكانت السلطة العليا فى الواقع فى أيدى الأمراء كل على حدته .

وقد تقررت العلاقات بين الأشراف

ورعاياهم بالعرف، ونظمت بالقانون، ولكن العلاقات بين الأشراف المتجاورين لم يكن ينظمها سوى أواصر الأسرة ، والصداقات والاتفاقات فيما بينهم . وكان من الطبيعى أن تلهب الغيرة والتنافس بين الأشراف الذين صاروا يكثرون دعوة رعاياهم مرة بعد أخرى إلى قتال الأمير المجاور

ولما كثرت المواصلات الداخلية وازداد عدد السكان ، ازدادت الحروب بين هذه الوحدات فى العدد والعنف . وكان كل أمير إقطاعى ينظر إلى قوة جيرانه ونفوذهم نظرة الخوف والارتياب . ولم تكن ثم وسيلة للأمن من الهجوم إلا أن يهزم الواحد منهم جاره، ويفتح أرضه، ويستلحق رعاياه ، وبذلك يوسع مجال نفوذه .

وقد أفضى هذا التطور إلى الفوضى التامة والحروب الدائمة تقريباً . وقد احتاج الرعايا إلى وقت طويل حتى يدركوا أن الاتفاقات التى عقدوها مع الأشراف الإقطاعيين للحصول على الأمن والحماية ، لم تجنهم إلا الحروب الدائمة، وانعدام الأمن، والشقاء ، والموت .

على أنهم وجدوا أخيراً أن خلاصهم لا يمكن أن يتحقق إلا بإقامة حكومة تكون فوق منازعات الأشراف المتحاربين . وكان من الضرورى لإدراك هذا الغرض أن يتم القضاء على قوة سادة الأرض الإقطاعيين ، وإقامة علاقات مباشرة بين الرعايا والحكومة المركزية . وهكذا التف الناس حول الملوك الذين بلغوا من القوة مبلغاً يسمح لهم بأن يفرضوا نظاماً شرعيا أقوى، وتفكك النظام الإقطاعى الذى سيطر على العالم خمسة قرون طويلة ، بعد أن تحسنت وسائل المواصلات، ونمت الآراء المشتركة ، فتيسر بهذا وذاك قيام حكومة أوسع نطاقاً .

ما علاقة هذا التاريخ الطويل الأليم للإنسانية فى القرون الوسطى بقضيتنا فى القرن العشرين ؟ لقد ظل الجنس البشرى يجاهد على الدوام فى سبيل صور أرقى ووسائل أجود، لإيجاد نظام اجتماعى يستطيع الإنسان أن يفوز فى ظله بالحرية والأمن جميعا . ويثبت التطور التاريخى للمجتمع أن هذه المثل الإنسانية العليا إنما تتحقق على خير وجه ، إذا كان الفرد من الناس متصلا اتصالا مباشراً بسلطة عليا مركزية تسن القانون للناس كافة . وقد وجدت هذه الحقيقة معبراً عنها مرتين فى تاريخ الحضارة الغربية : فى أديان التوحيد وفى الديمقراطية.

إن المبدأ الأول ، فى اليهودية والمسيحية والإسلام هو التوحيد ، أى وحدانية الله ، وأن الناس سواء عند الله . وهو عندهم المصدر الأعلى للشريعة . وهذا المبدأ هو

الصــخرة التى تقوم على قاعدتها الحضارة الغربية الحديثة . وذلك أن عقيدة التوحيد حين استقرت وتمكنت أصــولها ، على أن الله واحد، ليس فوقه شىء ، وأنه هو رب الناس جميعاً ، وأنه هو وحـــده صاحب السلطان على البشر — كانت هى أول شىء كشف للناس عن النظام الوحيد للتشريع الذى يمكن أن يقام عليــه مجتمع إنسانى يعيش فى ظلال السلم .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه هذه النظرية الخاصة بالمجتمع ، كانت الأحوال بدائية إلى حد لا يسمح بتطبيقها كمبدأ سياسى. ولهذا ظلت فكرة المساواة فى ظل قانون عام زمناً طويلا غير شائعــة إلا من حيث هى عقيدة دينية . على أنه فى القرن الثامن عشر دفعت الأحوال آباء الديمقراطية الحديثة إلى شن حرب شعواء للقضاء على سلطان الملوك والحكام الكثيرين الذين ظلموا الشعب واسترقوه ، وأدى ذلك إلى إعلان المبدأ الأساسى القائل بأن السلطة مصدرها الجماعة أى الأمة .

وهذا المبدأ الذى هو أساس الديمقراطية يعد تفرعا سـياسيا على عقيدة التوحيد . والنظرية التى يقوم عليها هى أن إرادة الجماعة هى المصدر الوحيد للقانون ، وأنه فى ظل القانون يتساوى الناس جميعا . وإنهـا لمن مآسى التاريخ الكبرى أن إدراك هذا المبدأ وإعلانه جاء قبل اوانه بقرن .

فإنه لما صار هو المبدأ السائد ، كان من غير الممكن عمليا أن يكون القانون عالميا . فقد كان العالم لا يزال كبيراً جداً ، ولم يكن من الميسور أن تكون هناك سيطرة مركزية عليه ، وكان لا يزال كوكبا زراعيا محضا ، لا تكاد أحواله الاقتصـادية تختلف عن أحواله فى الأزمنة الموغلة فى القدم. وهكذا ظهر بديل من الوحدة العالمية يسّر لمبدأ السـيادة الديمقراطية أن يتخذ على الفور صورة جديدة يتجلى فيها .

وهــذا البديل هو الأمة . ففى القرن الثامن عشر ، لم يكن من الممكن أن تنظم الجماعة الإنسانية تنظيما عالميا . ولهذا لم يكن فى الوسع تنظيم الديمقراطية وفق مبادئهـا العالمية الأساسية. ولم يكن ثم بدٌ من تنظيمها تنظيما قومياً .

وظلت المسألة زمنا طويلا وكأنها حلت حلا مرضياً ، ونعم مواطنو الدول القومية الديمقراطية الحديثة ورعاياها بقدر لم يكن معروفا من قبل فى الحرية والأمن والرغد .

ولكن الوحدات القومية المختلفة ، ذات السـيادة ، ما لبثت بفضل التقدم العظيم فى المواصلات فيما بينها، أن اتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقاً . فكان هـــذا الاتصال بين

الدول المستقلة سبباً فى الاحتكاك والاصطدام، على نحو ما حدث فى العصور الوسطى .

واليوم صار المواطنون معرّضين للظلم والعنف ، وأبعد ما يكونون عن الفوز بالأمن والحماية المنشودين من دولهم ، وأصبح تعدد الوحدات المستقلة المتصادمة فى الجماعة الإنسانية يعفّى على كل أثر للحرية والحماية والأمن التى منحتها الدول القومية لشعوبها فى الأصل .

ونحن فى منتصف القرن العشرين نعيش فى عهد من النظم الإقطاعية السياسية المطلقة، حلت فيه الدول القومية محل أمراء الإقطاع. فإن التقسيم العرفى المصطنع للجماعة الإنسانية يضطر الدول القومية أن تسلك نحو رعاياها وجيرانها نفس سلوك الأمراء الإقطاعيين .

ونحن فى ظل نظام الدول القومية ، لا نستطيع أن نشترك فى سن القوانين فى أية رقعة من رقع الجماعة الإنسانية تجاوز حدود بلادنا ، فمن مغالطة النفس إذن أن يقال إن الأمريكيين والبريطانيين أو الفرنسيين « أمة حرة » ، فإن أمما أخرى تستطيع أن تهاجمهم وتكرههم على الحرب فى أى وقت، وهم يعيشون فى خوف وقلق عظيمين ، كما كان يمكن أن يعيشوا تحت حكم ظلمة غاشمين يعتدون على حرياتهم حين يشاءون .

وقد طوح نظام الإقطاع القومى بالعالم إلى وحشية لم يسبق لها نظير ، وكاد يقضى على جميع الحقوق الفردية والحريات الإنسانية التى اكتسبها أجدادنا بالكدّ والدم .

ولا يوجد أقل أمل فى أن نستطيع تغيير النهج الذى تدفعنا إليه الدول القومية المتنازعة بسرعة ، ما دمنا نعدها المظهر الأسمى والنهائى لسيادة الشعوب. وسيقذف بنا بسرعة يطرد ازديادها ، على قلق أشد ، وتخريب أعظم ، وبغضاء أشد تسعراً ، ووحشية أفظع ، إلى أن يصح منا العزم على محو النظام السياسى القائم على الدول القومية، وإقامة نظام اجتماعى قاعدته سيادة الجماعة الإنسانية ، كما تصورها مؤسسو الديمقراطية، وعلى النحو الذى تنطبق به على حقائق اليوم .

السبب الوحيد الحقيقى للحرب

من المسلم به عادة أن للحرب أسبابا يخطئها الحصر، وأن محاولة إزالة كل هذه الأسباب مهمة ميئوس منها .

ويجب علينا أن نرفض أن نتقبل مثل هذا القول الخادع فى أساسه ، وإن كان يبدو صحيحا ، إذا أردنا أن نتجنب أن نصبح ضحايا للخرافة ، لا حول لها ولا حيلة .

ويبدو لكل من لا يتعمق فى التدبر ، كأن الحروب قامت لأسباب شتى عديدة . فبين الشعوب البدائية ، كانت الأسر والعشائر

والقبائل تحترب ، ويستعبد بعضها بعضا أو يستأصل شأفته فى سبيل الطعام والمأوى والنساء وأرض الصيد . ثم فيما بعد ، وفى مستوى من المدنية أعلى من هذا ، نرى جماعات أكبر، ومدناً تقتتل ويحارب بعضها بعضاً ــ نينوى ، وبابل ، وطراودة ، وأثينا ، وإسبرطة ، وروميـة ، وقرطاجنة . وعلى أثر انهيار النظام الإقطاعى تغيّر ميـدان الصراع مرة أخرى ، وخاضت الحروب مراكز تجارية عظيمة : البندقية، وفلورنسة وهامبورج ، ودانتزج ، وغيرها من المدن التى كانت وحدات قائمة بذاتها. ثم تلت ذلك سلسلة أخرى من الحروب شنها الملوك المطلقو السلطة لمصلحة أسَرهم ، ثم سلسلة أخرى أضرمت نارها الأديان المنظمة ، وأخـيراً جرّ قيام الدول القومية سلسلة من الحروب الهائلة بين أمم مجندة على بكرة أبيها .

فإذا كررنا الطرف إلى التاريخ فإن الحرب تبدو كأنهـا وحش له مئة رأس ، فلا يكاد بُنَاة الصلح يقطعون رأساً حتى تنمو رءوس أخرى بين كتفى الوحش . غير أننا إذا حللنا ما يبدو أنه الأسـباب المتعددة للحروب السالفة ، لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن هناك خيطا واحداً متصلا ينتظمها جميعاً ، وأن السبب الحقيقى للحروب كلها كان واحداً دائماً :

● إن الحروب بين جماعات من النـاس تؤلف وحدات اجتماعية ، تنشب دائما ، حين تمارس هذه الوحـدات سلطاناً غير محدود من السـيادة ــ سواء أكانت هـذه الوحدات قبائل أم أسراً ملكية ، أم كنائس ، أم مدناً أم أمماً .

● والحروب بين هـذه الوحدات الاجتماعية تنقطع عندما تنتقل سلطة السيادة منها إلى وحدة أكبر وأعلى .

إن الأسباب التى يعزو إليها التاريخ هذه الحروب ، لا اعتداد بها ، لأنها ظلت باقية مستمرة بعد أن انقطعت الحروب بزمان طويل . وما تزال المدن والأقاليم تتنافس ، وما انفكت العقائد الدينية مختلفة اليوم كما كانت فى أيام الحروب الدينية .

ومتى أدرك الناس السبب الأساسى للحروب ــ لكل الحروب ــ فإن العبث والصبيانية اللذين تنطـوى عليهما المناقشات الحاميـة فى التسلح ونزع السلاح لا بد أن يظهرا .

ولو أن الجماعة الإنسانية كانت منظمة بحيث تكون العلاقات بين الوحدات قائمة على مقتضى منشآت قانونيـة تسيطر عليها الروح الديمقراطية ، إذن لاستطاع العـلم الحديث أن يبتكر أشـد الأسلحة تدميراً

وسحقا دون أن تنشب حرب . ولكنا إذا تركنا حقوق السيادة للوحدات المنفصلة ، دون أن تنظم علاقاتها بالقانون ، فقد نستطيع أن نحظر كل سلاح ، حتى ولو كان مبراة ، ومع ذلك تتقاتل الشعوب ويهشم بعضها رءوس بعض بالعصى .

ومن المآسى أن يرى الإنسان عمى حكوماتنا وجهلها، وعمى الزعماء السياسيين أيضاً، فيما يتعلق بهذه المسألة الحيوية البالغة الخطر .

بعد سنة ١٩١٩ تسلطت على بُناة السلام فكرة مؤداها أن التسلح يؤدى إلى الحرب، وأن الشرط الأساسى لسلام العالم هو التحديد العام للتسلح وخفضه ، وظل نزع السلاح يسيطر أتم سيطرة على الآراء الدولية خمسة عشر عاماً ، وصُبَّت دعاية هائلة فى آذان الجماهير ، فحواها أنه لا ينبغى لأمة أن تبنى بوارج حمولتها أكثر من ٣٥٠٠٠ طن، وأن عيار المدافع ينبغى أن ينقص ، وأن تحظر الغواصات وحرب الغازات إلى آخر ذلك .

والآن يدعو زعماؤنا إلى نقيض ذلك على خط مستقيم ، واليوم يقال لنا : إن التسليح القوى هو وحده الذى يصون السلام ، وإن كل أمة ديمقراطية يجب أن تحتفظ بأساطيل وقوات جوية وجيوش ميكانيكية ، قوية لا تقهر ، وإن علينا أن نسيطر على قواعد حربية منتشرة حول الكرة الأرضية .

وهذه الفكرة — فكرة الاحتفاظ بالسلام بواسطة التسلح — ليست أقل خطأ من فكرة صون السلام بنزع السلاح . وللأسلحة من الشأن فى استتباب السلام ، مثل ما للضفادع فى تعيين حالة الجو ، والتجنيد والجيوش الجرارة عاجزة عن صون السلام كعدم التجنيد ونزع السلاح . إن قضية السلام قضية اجتماعية وسياسية، وليست بقضية فنية .

المعنى الحقيقى للسيادة

أما مسألة السلام الأساسية فهى مسألة السيادة ، ويتوقف الرخاء والسعادة بل مجرد الوجود، للمعدِّن فى بنسلفانيا ، وويلز واللورين ، أو حوض الدون ، وللفلاح فى أوكرانيا ، والأرجنتين ، ووسط أمريكا ، أو فى حقول الأرز الصينية — على التفسير الصحيح لمعنى السيادة . وليست هذه مناقشة نظرية ، وإنما هى مسألة حيوية أعظم من مسائل الأجور والأسعار والضرائب ، لأن حل المسائل اليومية جميعاً لألفى مليون من البشر ، رهن بحل مسألة الحرب التى هى قطب الرحى .

وإن فى كثرة الحديث اليوم عن

السيادة — وهى لفظة كانت لا تكاد ترد فى المناقشات السياسية قبل عقد أو عقدين — لدليلا على وجود قرحة فى الكيان السياسى، لا يدع شكا فى أن ثم شيئاً غير مرضى فيما يتعلق بالسيادة، وأن تفسيرنا اليوم لهذه الفكرة يجتاز أزمة، وأن الإيضاح لازم.

فما معنى « السيادة ؟ »

تبين فى مرحلة مبكرة جداً من حياة الإنسان، أنه قبل أن نستطيع العيش معاً فى أسرة أو قبيلة، ينبغى أن نفرض بعض القيود على نزعاتنا الطبيعية، وأن نحظر أشياء نحب أن نصنعها، وأن نرغم على فعل أشياء لا نحب أن نصنعها.

والطبيعة الإنسانية من خصائصها أنها تجعل الإنســان لا يتقبل القواعد إلا إذا فرضتها عليه سلطة مقررة، وقد كان الإلـه هو أول سلطة مطلقة.

وهكذا صار من الضرورى أن يحمل الناس على الاعتقاد أن القواعـد والنظم المطـلوبة هى من أمر الله. وكان الكهنة يذيعونها ويحيطونها بكل ما يملـكون من السحر، وكانوا هم المتصلين مباشرة بالإلـه، والذين يعرفون كيف يعلنون إلى النــاس إرادته بين الرعد والبرق، فيـذعن الناس ويقبلونها.

وهـذه هى السلطة الأولى المطلقة — المصدر الأول للقانون — رمز لقوة من وراء الطبيعة. وقد احتاج الملوك والأمراء الأوربيون للاحتفـاظ بسلطتهم وبما يخولهم سن القوانين وحمل النـاس على الإقرار لهم بأنهم المصدر الأعلى للقانون — احتاجوا أن يجعـلوا علاقتهم أوثق ما يمكن بالدين، وزعموا أنهم استمدوا سلطتهم من الله.

وفيما بين عصر النهضة والقرن الثامن عشر ظهر مبدأ اجتماعى أحدث انقلابا — هذا المبـدأ هو أنه ما من فرد أو أسرة ملـكية أو غير ملـكية، يمكن أن تعد مصدر للسلطات، وأن الشعب هو مصدر السلطات والتشريع. وقد أدى هذا المبدأ الانقلابى إلى إقامة الجمهورية فى أمريكا وفرنسـا وإلى النظام البرلمـانى القائم، فى إنجلترا وبلاد أخرى كثيرة، على أن « الملك يتولى ولـكنه لا يحكم ».

إن المبدأ المثالى القائل بسيادة الأمة كان فى بدايتـه خطوة عظيمة فى سبيل التقـدم وحافزا إلى رقىّ الإنسانيـة. وجاء إعلان الاستقلال الأمريكى، والثورة الفرنسية، على أثر قيام النظم النيابية فى إنجلترا، مشجعاً قوياً للشعوب الأخرى على الجهاد فى سبيل سـيادتها واستقلالها. وبلغ هـذا التطور ذروته فى معاهدات الصلح التى عقدت فى عام ١٩١٩، حين كثرت الأمم التى صارت

تامة الاستقلال والسيادة كثرة لم يسبق لها نظير . وبعد عشرين عاما ديست هذه الأمم العزيزة ذات السيادة فى التراب ، وكثرت اليوم الأمم التى أصبحت مسترقة شقية كثرة لم يسبق لها أيضاً نظير .

فلماذا حدث هذا ؟

حدث لأن النظام السياسى الذى أقيم فى سنة ١٩١٩ وقدس المثل العليا للقرن الثامن عشر ، كان عتيقاً ، وبعد أوانه ، ومناقضاً مناقضة تامة للأحوال كما هى فى القرن العشرين . فقد كانت المثل العظيمة الخاصة بسيادة الأمة ، والاستقلال ، والقومية ، باعتبارها أساساً للدول ــ كانت نجاحاً معجبا فى القرن الثامن عشر ، فى عالم كان واسعاً جداً قبل أن تبدأ الثورة الصناعية .

أما تصورنا الحالى للسيادة القومية فيرينا كيف أن مثلا أعلى متى حصل إدراكه ، يمكن أن يشوه فى مسافة قرن واحد . إن التصور الديمقراطى للسيادة مؤداه أن تنتقل حقوق السيادة من يد رجل واحد ، ملك مثلا ، إلى الناس جميعا أى الأمة ، فالسيادة بالمعنى الديمقراطى هى للجماعة . ويجب أن نحاول أن نتمثل صورة العالم كما كان فى القرن الثامن عشر ، ففى ذلك القرن لم تكن الثورة الصناعية قد بدأت ، وكانت مركبة الخيل أسرع أداة للمواصلات . ففى هذه الأحوال كانت الأمة أوسع الآفاق فى نظر آباء الديمقراطية ، وهم إنما عنوا سيادة الجماعة حين أعلنوا سيادة الأمة ، وأرادوا أن تكون للسيادة أوسع قاعدة ممكنة .

أما فى النظام الحالى للعالم فإن السيادة ليست للجماعة ، وإنما تستعملها على صورة مطلقة طوائف نسميها الأمم ، وهذا مناقض على خط مستقيم لمعنى الديمقراطية الأصلى للسيادة . فقاعدة السيادة اليوم أضيق ما تكون ، وليست لها السلطة التى أريدت لها . وما زال اللفظ كما كان ، وما انفك ما يؤديه من المعنى واحداً ، ولكن ما يحيط به تغير ، لأن أحوال العالم تغيرت .

لقد بدأت بذور أزمة القرن العشرين تنبت على الفور تقريبا بعد قيام الدول القومية الديمقراطية الحديثة ، وحدث بمعزل عن هذا شىء آخر ، قسم له أن يكون حركة قوية أخرى وعاملا فعالا آخر فى التقدم الإنسانى ، وهذا الشىء هو الحركة الصناعية

وهذان التياران المسيطران على عصرنا وهما القومية والحركة الصناعية ، فى صراع دائم لا مفر منه .

فالحركة الصناعية تحاول أن تدخل الكرة الأرضية كلها فى نطاق نشاطها ، والإنتاج الصناعى الحديث بالجملة يحتاج إلى

خامات من كل أقطار العـــالم ، ويتطلب أسواقا فى كل ركن من الأرض وهو يسعى لتحقيق أغراضه بغض النظر عن الحوائل السياسية والجغرافيـــة والدينية والعنصرية واللغوية والقومية .

أما القوميـــة ، فإنها على نقيض ذلك ، تحاول أن تقسم هذا العــالم إلى جماعات صغيرة مستقلة .

وقد أمكن مدّة قرن أن يتحدّر هذان التياران معاً جنباً إلى جنب ، فقد كان فى عالم الدول القوميـــة ، بعض جهات سعتها كافية للتطور الصناعى داخلها . ولـكن هاتين القوتين تصادمتا بعنف هائل منذ بداية هذا القرن . وهذا التصادم بين حياتنا السياسية وحياتنا الاقتصادية والصناعية ، هو السبب فى أزمة القرن العشرين التى مازلنا نعانيها منذ سنة ١٩١٤ وليس لنا من الحول أكثر مما للأرانب فى التجارب العلمية .

ومعنى هـــذه الانتفاضة واضح ، فإن الإطار السياسى لعالمنا ، بما فيه من الدول القومية التى تبلغ نحو ثمـانين . عقبة كؤود فى سبيل التقدم الصناعى الحر ، والحرية الفردية ، والأمن الاجتماعى .

فإذا نحن أبينا أن ندرك هذه المسألة ، وأن نعترف بأن التطور الصناعى قد جعل كياننا السياسى عتيقا ، فإننا لا نستطيع أن نرجو أن نخلق إطاراً سياسياً فى هذا العالم يتسنى أن يوجد فيه التطور الصناعى والحريات الفردية والعلاقات الإنسانية السلمية .

إن الخطوة الأولى للقضاء على هـــذه الفوضى هى التغلب على العقبة العاطفية الهائلة التى تمنع أن ندرك ونسلم أن مبدأ الدول القوميـــة ، بكل ما سجل له من نجاح فى القرن التاسع عشر ، هو اليوم علة ما يعانيه هذا العالم من شقاء وآلام لا تقدر . ونحن نعيش فى فوضى تامة ، لأننا فى عالم صغير متصل بعضه ببعض من كل وجه آخر ، ولـكن فيه نحو ثمانين مصدراً منفصلا للقانون، وثمانين دولة ذات سيادة .

والأمر الذى له دلالة فيما يتعلق بالأزمة الحاضرة هو أن الدول القوميـــة ، حتى أقواهن ، وحتى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى ، ليس لها من القوة ولا من « السيادة » ما يكفى لتحقيق الغرض الذى أنشئت له . فهى لا تستطيع أن تحول دون كوارث كالحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولا تستطيع أن تحمى شعوبها من الخراب الذى تؤدى إليه حرب دولية . وإذا كانت سيادة هذه الأمم العظيمة لا تكفى لحماية مواطنيها ، فلا حاجة بنا حتى

إلى الكلام على السيادة الوهمية لبلد مثل لاتفيا أو رومانيا.

وإذا آثرنا الصراحة قلنا إن فكرة الدولة القومية قد منيت بالإفلاس ، فإن الدولة القومية عاجزة عن منع العدوان الأجنبي ، ولم يعد لهـا غناء باعتبارها النظام الاسمى القادر على حماية شعبها من الويلات والبلايا التي تجرها الحرب . وجاءت الحرب العالمية الثانية فأثبتت على وجه حاسم أنه ما من أمة بمفردها ، ولو كانت أقوى مثيلاتها ، تكفى نفسها اقتصادياً .

ومن شأن الحقائق الاقتصادية والفنية التي لا مهرب منها فى عصرنا ، أن تحتم علينا إعادة النظر فى فكرة السيادة ، وأن نوجد منشآت ذات سيادة قائمة على الجماعة، طبقاً للتصور الأصلى للديمقراطية . فسيادة الشعب العالمي يجب أن تكون « فوق » الأمم بحيث تكون الأمم أمامها متساوية ، كما يتساوى الأفراد أمام القانون فى دولة متحضرة .

● وليست المسألة مسألة « نزول » عن السيادة القومية ، فإنها لا تستوجب أن نتخلى عن شيء هو فى أيدينا الآن ، وإنما المسألة أن نوجد شيئاً لم يكن عندنا قط ، ولكن حاجتنا إليه بالغة .

وليس إيجاد منشآت ذات سيادة وسلطة عالميتين إلا طوراً آخر فى التاريخ الإنسانى ، مؤداه امتداد القانون والنظام إلى ميدان ظل إلى الآن بغير تنظيم وغارقا فى الفوضى.

منذ بضعة قرون كان لكثير من المدن حقوق سيادة تامة ، ثم بعد ذلك انتقلت أجزاء من السيادة المحلية إلى الولايات، ثم إلى وحدات أكبر وأخيراً إلى الدول القومية.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية اليوم تخضع الأمور الخاصة بمكافحة الحريق ، وتزويد الأهالى بالماء ، وتنظيف الشوارع وما أشبه ذلك ، للسلطة المحلية . أما إنشاء الطرق ، والتربية ، والتشريع فيما يتعلق بالأعمال الصناعية والتجارية ومسائل أخرى لا آخر لهـا ، فخاضعة لسيادة الولاية . وأما المسائل المتعلقة بجيش الولايات المتحدة وأسطولها وسياستها الخارجية وغير ذلك من الشئون، فمن اختصاص السلطة الاتحادية.

وكلما استمر التقدم الإنسانى تطلبت الأحوال قاعدة للسيادة تزداد اتساعا ، ولوجود سلطة مطلقة تحقق الغاية منهـا : وهى حماية الناس .

وأهالى نيويورك هم مواطنون فى مدينة نيويورك ، وفى ولاية نيويورك ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنهم أيضاً مواطنون فى العـالم . وحياتهم ، وأمنهم ، وحرياتهم ، تحميها فى نطاق واسع جداً ،

السلطة العليا المستقرة فى الشعب الذى أناب عنه فى استعمالها مدينة نيويورك إلى حد ما، وولاية نيويورك إلى حد آخر ، والحكومة الاتحادية للولايات المتحدة الأمريكية .

فإذا حدث أن وضعت ولاية نيويورك تشريعاً اقتصادياً أو اجتماعياً كان له أثر سيء فى أحوال العمل والاقتصاد فى ولاية أخرى ، ولم تكن هناك سلطة أعلى ، فإن هذا العمل من جانب ولاية نيويورك لا يمكن أن تمنعه الولاية الأخرى ، بمقتضى سلطتها ، إلا بالحرب . ولكن هناك سلطة عليا قائمة هى السلطة الاتحادية . وجميع ولايات ، الولايات المتحدة الأمريكية متساوية أمامها، وهذه السلطة العليا هى وحدها التى تحمى الناس من مثل هذا الخطر .

إن السلطة الديمقراطية للشعب لا يمكن أن تظفر بالإعراب الصحيح عنها والتنفيذ الفعال لها ، إلا إذا تولت الحكومة المحلية الشئون المحلية. والحكومة القومية الشئون القومية، والحكومة العالمية الشئون الدولية العالمية . وبهذا الفصل وحده بين السلطات نستطيع أن يكون لنا نظام اجتماعى يعيش الناس فى ظله فى سلام فيما بينهم ، ولهم حقوق متساوية وواجبات متعادلة أمام القانون. ولا يمكن أن تكون الحرية الفردية حقيقية ، إلا فى نظام عالمى قائم على مثل هذا الفصل بين السلطات .

إن السيادة تجد التعبير عنها فى المنشئات، ولكنها ليست متطابقة، ولا يمكن أن تكون متطابقة مع أى منشأة، فافتراض أن حقوق السيادة لا بد أن تكون مستقرة أبداً فى أية منشأة معينة ، كالدولة القومية فى هذه الأيام ، والاعتقاد بأن الدولة القومية هى المظهر المعبر عن السلطة والسيادة ، ليس إلا مظهر نزعة جامعة بحت ، وتلك ألد أعداء الديمقراطية .

لقد تلقت الدول القومية سلطتها من شعوبها للقيام بمهمات معينة . وفى اللحظة التى تعجز فيها المنشئات المقررة عن مسايرة الأحوال فى الجماعة، وعن الاحتفاظ بالسلام، فى هذه اللحظة ، تصبح مصدر خطر عظيم ويجب إصلاحها إذا أريد اجتناب الحروب والاضطرابات الاجتماعية العنيفة .

ولا يتطلب الإصلاح اللازم فى هذا الميدان إلغاء الأمم والحدود القومية . ففى داخل كل دولة قومية لا تزال عندنا حدود للولايات والأقاليم والمدن والبيوت والمساكن، وللأسر أسماؤها الخاصة المتميزة من أسماء الأسر الأخرى . ونحن نحب ونحمى أسرنا وندافع عنها أكثر مما نحب أو نحمى الأسر الأخرى ، ونحب بيوتنا ونبدى ولاءنا

لجماعاتنا الخاصة ولأرضنا وإقليمنا ، ولكن السلطات العليا ليست مستقرة في هذه الوحدات التي تقسمنا وتفصلنا ، وإنما هي مستقرة في الدولة التي تجمعنا وتضم متفرقنا .

فإذا رأى الشعب، الذي هو المصدر الحقيقي للسلطات ، أنه في الميدان الدولي يستطيع أن يفوز بحماية أوفى إذا هو وكل جانباً من سلطته إلى هيئات غير الدول القومية ، فإنه في هذه الحالة « لا ينزل » أو « يتخلى » عن شيء ، بل لعله يربح شيئاً ، أعني القانون والنظام في ميدان لم يكن فيه قط مثل هذا القانون ، وحماية الأرواح والحريات للأمم جميعاً . ويا له من ربح إذا نحن حولنا بعض وجوه سلطاتنا من الهيئات التشريعية القومية والهيئات التنفيذية والقضائية ، إلى هيئات عالمية منتخبة انتخاباً ديمقراطياً ، ومسيرة على نهج ديمقراطي . وذلك لنوجد ونطبق وننفذ قانوناً لتنظيم العلاقات الإنسانية في المجال الدولي !

أكذوبة معاهدات الصلح

إذا كانت البلبلة قد سادت هذا العالم في أي وقت منذ برج بابل فإنها تسوده اليوم ، وقد نشرت آلاف من الكتب والمقالات عن المسألة الكبرى التي تواجهنا : كيف نقيم نظاماً عالمياً يحول دون حرب عالمية ؟ وكل أصحاب مشروعات السلام الدائم يعتقدون أن اقتراحهم هو الدواء الناجع ، وأن في وسعهم أن يُنجحوا ما لم ينجح قط ، وأنهم بعد أن أخفقت آلاف من معاهدات الصلح يستطيعون أن يصوغوا معاهدة تمنع الحروب .

إن السلام في جماعة معناه أن العلاقات بين أعضاء الجماعة ينظمها القانون ، وأن هناك أداة ديمقراطية النهج للتشريع وللسلطة القضائية ، وأنه يحق للجماعة أن تستخدم القوة لتنفيذ هذه القوانين، وهو حق محظور على أعضاء الجماعة الأفراد .

إن السلام هو النظام على أساس القانون. وليس ثم تعريف آخر يمكن أن نتصوره ، وكل تصور آخر لمعنى السلام ليس إلا خيالا محضاً .

وفي كل مرة تنشب فيها حرب ، يتلو ذلك جدال لا ينتهي في نوع المعاهدة التي توضع ، فتعرض مئات من المقترحات ، ولكنه مهما يكن نوع المعاهدة التي توقع ، فإن الحرب التالية لا مفر منها .

فلماذا ؟

لأن محتويات المعاهدة لا تقدم ولا تؤخر — إذ كانت فكرة المعاهدة نفسها خطأ . وقد جربنا آلافاً وآلافاً من معاهدات

الصلح فى تاريخ الإنسانيــة ، فلم يطل عمر واحدة منها أكثر من أعوام قليـلة ، ولم تستطع واحدة منها أن تمنع الحرب ، لسبب بسيط هو أن الطبيعة الإنسانية التى لا يمكن تغييرها، تجعل الحروب حتما لا مهرب منه ، ما دامت السلطة العليا فى أيدى طوائف أفراد فى الجماعة لا فى الجماعة نفسها .

وإذا نحن نشــدنا سلاماً بين عدد من الوحدات المستقلة ذات السـيادة ، قائماً على اتفـاقات بمقتضى معاهدات ، فإن الســلام يكون مستحيلا ، ويكون عملا صبيانيا منا حتى أن نفكر فى ذلك . غير أنا إذا تصورنا السلام على نحو قويم ، باعتباره نظاماً قوامه القانون ، فإن السلام حينئذ يصبح مشروعاً عملياً يمكن تحقيقه بين الدول القومية ، كما أمكن تحقيقه كثيراً فى الماضى بين الولايات والمدن والوحدات الأخرى ، بعد أن صارت جزءاً من حكومة أكبر منها جميعاً .

ويتوقف فوزنا بالســلام ، أو تعرضنا باستمرار لحرب متكررة على مسألة فى غاية البساطة . يتوقف على هــذا : أنبغى إقامة العلاقات الدولية على المعاهدات ، وهى فى جوهرها أداة جامدة ، أم على القانون وهو فى جوهره أداة حية ؟

ولا سبيل إلى ضبط أمر الجماعة الإنسانية بأداة جامدة ، لأنها هى ظاهرة مفعمة بالحياة إلى أقصى حد ، وجوهر الحياة هو التغيير الدائم والتطور المستمر . وقد كان السلام بين الأمم إلى الآن فكرة جامدة ، وكنا نحـاول دائماً أن نعين حالة راهنـة ما ، ونصها بعناية فى معاهدة . ونجعل أى تغيير فى هذه الحالة الراهنة مستحيلا إلا بالحرب ، وهذا تصور سخيف للسلام .

فإذا أدركنا أن السلام ليس حالة راهنة ، وأنه لا يمكن أن يكون فكرة غير مجدية أو جامدة ، وإنما هو نهج ووسيلة لتناول الشئون الإنسانية ، فإن مسألة السلاح فى هذه الحالة تكون واضحـة التعريف وقابلة للحل قبولا تاماً ، بل إنهــا قد حلت مرات عديدة فى ميـادين كثيرة ، ولكن بأداة القانون دائماً لا بالمعاهــدات . والطريقتان مختلفتان من حيث الكيف ، ولا يمكن أن يلتقيا ، إذ ليس فى وسعنا أن نصل إلى نظام قانونى بالمعـاهدات . وإذا كانت غايتنـا أن يكون المجتمع قائماً على القانون ، فإن من المحتم أن نبدأ من جديد

ومن النقائض العجيبة المغروسة فى عقول ساسـتنا ومفكرينا السياسيين الجـامدة ، ذلك الاعتقاد التقليدى الموروث من الماضى والذى يتحكم تحـكما تاماً فى آرائهم وأعمالهم ، وهو أن هناك طريـقتين مختلفتين للاحتفاظ بالسلام بين الناس .

الأولى — التى اعترف بها العالم وطبّقها داخل الوحدات القومية ذات السيادة : هى القانون ، والنظام ، والحكومة .

والثانية — التى استخدمت إلى الآن فيما بين الوحدات القومية ذات السيادة، وهى: السياسة والدبلوماسية والمعاهدات .

وهذا خطل وفيه تشويه تام لوجه المسألة .

فإن السلام لا يمكن تحقيقه بوسيلتين كهاتين متناقضتين تماماً ، لسبب بسيط هو أن السلام متطابق فى معناه مع إحدى هاتين الوسيلتين دون الأخرى .

والسلام هو القانون ، وهو النظام ، وهو الحكومة .

أما « السياسة » و « الدبلوماسية » فإنهما لا تفضيان فقط إلى الحرب ، بل لا سبيل إلا أن تفضيا إليها ، لأنهما فى الواقع متطابقتان مع الحرب

وقد صقلت عدة آلاف من السنين من التطور الاجتماعى هذه البديهية فيما يتعلق بأية جماعة إنسانية ، وهى :

أن السلام بين الناس إنما يتحقق بنظام قانونى ، وبمصدر أعلى للقانون ، وبحكومة ديمقراطية ذات هيئات تنفيذية ، وتشريعية وقضائية مستقلة . وهذه هى الطريقة الوحيدة التى أثبتت أنها قادرة على إحداث التغيير وإنفاذه فى العلاقات الإنسانية بغير عنف . أما الطريقة الأخرى ، طريقة الدبلوماسية ، تلك الطريقة التى جُربت مرة بعد مرة لصون السلام بين وحدات مستقلة ذات سيادة ، من أى نوع ، وأى حجم ، تلك الطريقة التى أبت ، حكوماتنا القومية ، إلا أن تجرى عليها بعناد وتحكم ، فقد أخفقت فى كل وقت بلا استثناء ، وفى كل مكان ، وفى كل الأحوال . وإنه لحلم ليس إلا ، أن نعتقد أن فى وسعنا أن نحتفظ بالسلام بين أقوام يعيشون فى وحدات منفصلة مستقلة ذات سيادة ، بوساطة الدبلوماسية والسياسة ، وبدون حكومة ، ومن غير أن توجد منشئات للتشريع .

إن محاولة منع الحرب باستخدام السياسة تُشبه محاولة إخماد نار بقاذفة لهب .

إن الاتفاقات والمعاهدات بين الحكومات القومية المتكافئة فى السيادة والاستقلال ، لا يمكن أن تدوم ، لأن مثل هذه الاتفاقات والحكومات ليست إلا ثمرة سوء الظن والخوف ، وليست فى أية حال من الأحوال ثمرة المبادىء والقانون هو الأساس الوحيد الذى يمكن أن تقوم عليه الحياة الاجتماعية ، وليس يسعنا أن نعتمد على وعود الناس أن لا يقتلوا ، ولا على عهودهم أن لا يسرقوا ، ولا على مواثيقهم أن لا يغشّوا . وهذا هو

الذى يحوجنا إلى القوانين والمحاكم والشرطة ، وإلى تحديد المهمات والواجبات سلفاً على وجه جلى .

وما زلنا نتكلم فى العلاقات الدولية عن « استقلال » الأمم فى صورة مطلقة ، معتقدين أن الأمة إنما تكون مستقلة إذا كان لها حق مطلق فى أن تصنع ما تشاء ، وأن توقع المعاهدات مع الدول المستقلة الأخرى ، وأن « تقرر » ما تريد فى أمر الحرب والسلم . ونحن نرفض رفضاً باتاً أى تنظيم لهذه السيادة القومية بحجة أن هذا التنظيم يهدم الاستقلال القومى ، غير أن مثل هذا الاستقلال وهم . مثال ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية التى لا تقبل أن تنزل عن ذرة من سيادتها القومية ، والتى ترفض رفضاً باتاً أن تخول أية هيئة عالمية أن تتدخل فى حق الكونجرس أن يقرر أمر الحرب أو السلم ، قد أكرهت فى سنة ١٩٤١ على الدخول فى الحرب بقرار وضعه بمفرده مجلس الحرب الإمبراطورى فى طوكيو . فهل هذا استقلال ؟

إن استقلال أمة ، مثل استقلال الفرد ، ليس رهناً بحريتها فى العمل فحسب ، بل هو كذلك رهن بالمدى الذى يمكن أن تذهب إليه فى حرية العمل أمم أخرى للافتئات على استقلالها . فلا سبيل إلى الأمل فى أن يحدث التطور المستمر الذى لا بدّ منه ، والذى هو جوهرى للحياة ، بالوسائل السلمية ، إلا إذا أقمنا العلاقات الدولية على القانون، كما نقيم على القانون علاقات الأفراد والهيئات داخل الجماعة المنظمة .

ولا قيمة فى هذا الشأن لمبدأ « السيادة القومية » التى تروعنا ، فإن السيادة فى كلتا الحالتين — سواء أبقينا على قاعدة المعاهدات أم أقمنا نظاماً قانونياً — مستقرة فى الشعب . وكل ما هنالك من الفرق ، هو أنه فى حالة الأخذ بنظام المعاهدات ، لا تستعمل سيادة الشعب فى صورة فعالة إلى حد كافٍ ، لأن كل دولة قومية لها سلطة على رقعة محدودة ليس إلا ، وليس لها سيطرة على الأمم القومية الأخرى التى تبغى إحداث تغيير فى الحالة الراهنة القائمة . أما فى عالم يقوم على القانون ، فإن التغيير فى العلاقات الدولية يمكن للمرة الأولى أن يحدث بدون عنف — بإجراءات قانونية .

الدولة العليا والفرد

فى هذا العهد الوافر الإنتاج للكلمات والقوالب السياسية ، ابتكر أعداء التقدم كلمة جديدة ستكون موضوع جدال حادّ ، والكلمة هى : « الدولة العليا » . وهى فى السمع مفزعة ، والمفروض أن كل الأصحاء

الغرائز سيكون رد الفعل عندهم واحداً فيقولون جميعاً : لن نرضى بها ! وكل محاولة لتقرير نظام يتجاوز حدود الدول القومية الحالية ، سيشوّه ، ويحبط بهذا السؤال الخطابي : « هل تريد أن تعيش فى دولة عليا ؟ » .

على أن إقامة نظام قانونى فى منطقة أوسع ، ليس مؤداه خلق دولة عليا ، ومحك الدولة العليا هو مبلغ تدخلها فى حريات الفرد . وقد كانت إيطاليا على عهد موسولينى أشبه بالدولة العليا من الولايات المتحدة ، وإن كانت هذه أكبر منها خمساً وعشرين مرة .

إن مثالنا الأعلى هو الدولة الديمقراطية ، والدولة التى نبغى أن نحيي فيها دولة تستطيع أن تضمن لنا أقصى حد من الحرية الفردية . ولكن لما بدأ التقدم الصناعى فى هذا القرن يقوّض فكرة الدولة القومية القديمة ، لجأت كل من الدول القومية إلى وسائل مصطنعة لتقوية كيانها ، فنتج عن ذلك أن قضى على الحرية الفردية قضاء تاماً فى معظم العالم . وقد حدث هذا التغير فى بعض البلاد مثل ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا ، علناً وعمداً بخنق الحرية الفردية ، وإعلان المبدأ القائل إن الخلاص رهن بالدولة القومية الجامعة ، وهى فوق كل شىء ، ومن حقها أن تتصرف حتى فى أرواح مواطنيها . أما فى بلاد أخرى كالولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا ، فإن التطور كان بطيئاً وتدريجاً وعلى خلاف إرادتنا ، فقد ظللنا نؤيد المبادئ الديمقراطية ، ولكننا تخلينا شيئاً فشيئاً عن حريتنا الفردية لنشدّ أزر دولنا القومية الخاصة .

ومن الشطط أن يلام أى فريق أو حزب سياسى معين ، فقد كان الاتجاه مما لا سبيل إلى مقاومته . فحيال التهديد المزدوج بحرب موشكة الوقوع ولا مهرب منها ، وهو ضغط من الخارج ، وحيال الأزمات الاقتصادية والبطالة ، وذاك ضغط من الداخل ، كان من المحتم على كل أمة أن تعزز دولتها بإنشاء الخدمة العسكرية أو توسيعها ، وبقبول ضرائب تزداد ارتفاعاً ، وبالسماح بازدياد التدخل من جانب الدولة فى الحياة اليومية للفرد .

ومن النقائض العجيبة أنه كلما عرض أى اقتراح لإقامة نظام قانونى عالمى يضمن للبشر التحرر من الحرب خلال أجيال كثيرة ، ويكفل الحرية الفردية ، صاح عباد الدول القومية الحاضرة : « الدولة العليا » !

ذلك أن الحقيقة أن الدولة القومية الحاضرة قد أصبحت دولة عليا ، فهى ليست كابوساً نخشى مجيئه ، أو اقتراحاً نستطيع أن نقبله أو نرفضه بحرية ، لأننا نحيي فيها الآن فعلا ، وسنزداد خضوعاً لهذه الدولة العليا ذات السلطة الكبرى إذا كانت غايتنا القصوى

هى الاحتفاظ بالكيان العالمى القائم على الدولة القومية . ونحن مضطرون أن نتخلى عن حرياتنا واحدة بعد واحدة تحت التهديد الدائم بالحرب الأجنبية، وتحت الضغط الشديد للمسائل الاقتصـادية التى لا يمكن أن تحل على قاعدة قومية . وفى المرحلة الحاضرة للحركة الصناعية، لا تستطيع الدول القومية أن تحتفظ بكيانها إلا بطريقة واحدة : هى أن تصبح دولا عليا .

ولاسبيل إلى الحرية فى ظل نظام كهذا ، إذ من المحقق أننا لا نستطيع أن نزعم أن حريتنا الفردية مكفولة، إذا كنا كل عشرين سنة نضطر أن نكف عن إنتاج سلع الاستهلاك ، ونبدد كل نشاطنا ومواردنا فى صنع آلات الحرب .

ولا يسعنا أن نزعم أننا ننعم بحرية الرأى والصحافة ، إذا كانت الأحوال كل عشرين سنة تفرض الرقابة علينا .

ولا نستطيع أن نقول إن الملكية الخاصة مكفولة محترمة ، إذا كانت الديون العامة الهائلة والتضخم تأتى كل عشرين سـنة على ما ادخرنا .

وسيقول المدافعون عن السيادة القومية: إن كل هذا الحظر والتقييد للحرية الفردية ليس إلا من تدابير الطوارىء التى استلزمتها ضرورات الحرب ، ولا يمكن أن تعدّ عادية.

ولا شك أنهـا من تدابير الطوارئ ، ولكن لما كان كيان الدولة القومية ، وهو أعجز ما يكون عن منع الحروب ، هو السبب الوحيـد والأخير للحروب الدولية المتكررة ، ولما كان ما يتلو كل حرب من هـذه الحروب الدولية هو فى الوقت نفسه تمهيـد للصراع التالى العنيف بين الأمم ، فإن ٨٠ أو ٩٠ فى المئة من حياتنا تقضى فى أوقات « الطوارىء » .

ومما يجعل الاعتراف بالحاجة الملحّة إلى نظام قانونى وسياسى عالمى على أعظم جانب من خطر الشأن، أنه ليس ثم أقل احتمال لقدرتنا على حل أية مسألة من مسائلنـا الاجتماعية او الاقتصادية فى عالم منقسم إلى عشرات من الأقسام القومية التامة الانفصال .

وإنه لما يدعو إلى المرثية أن يرى المرء الجماعات العاملة من أوساط الناس يتطلعون إلى أحوال أحسن من أحوالهم ، وأجور أعلى ، وتربيـة أقوم ، وفراغ أكثر ، ومساكن أصلح ، وعناية طبية أوفى ، وأمن اجتماعى أوفر ، غـير أن كل هذه الآمال الاجتماعية للشعب ، ترجأ إلى أجل غـير مسمى من جراء التهديد الذى لا شك فيه بالحروب المتكررة . وحتى إذا سن تشريع

لهذه الغاية فى دولة من الدول ، فإنه يقضى عليه ويدفن فى الحرب العالمية التالية ، كما يجرف السيل الدافق الأكواخ .

إن العمل للجميع فى نطاق الكيان السياسى المقسّم دولاً قومية ذات سيادة، لا يكون إلا أسطورة أو ثمرة نظام فاشى . ذلك أن الحياة الاقتصادية لا تستطيع أن تنمو على نطاق يكفل العمل والمواد للجميع، إلا فى ظل نظام عالمى امتنع بفضله التهديد الدائم بالحرب بين الدول القومية ، وحل الأمن المستفاد من قيام نظام قانونى محل الخوف المستمر من العدوان والمحق ، وهو الذى يدفع إلى تعزيز كيان الدول القومية .

ومهما يبلغ من ألمنا للتخلى عن آرائنا التى كنا نحرص عليها ونعتز بها ، فإن علينا أن ندرك أن أعظم خطر على الحرية الفردية فى عالمنا الذى اصطبغ بالصبغة الصناعية ، هو هذه القوة المتزايدة للدولة القومية العليا، وأن حقوق الفرد والحرية الإنسانية التى ظفرنا بها بتضحية جسيمة فى آخر القرن الثامن عشر بفضل القضاء على الحكم الفردى المطلق ، يوشك أن ينتزعها منا الطاغية الجديد ، أى الدولة القومية .

أما القول بأن الاختلافات العديدة الموجودة بين الجنس الإنسانى، تحول دون قيام قانون عالمى ونظام دولى ، فمناقض على خط مستقيم للواقع .

فإن البولنديين والروسيين ، والمجريين والرومانيين ، والصربيين والبلغاريين ، قد تباغضوا واستراب بعضهم ببعض، وتقاتلوا فى أوربا قروناً عديدة ،ولكن جميع هؤلاء بعد أن رحلوا عن بلادهم واستقروا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كفوا عن الاحتراب، وأصبحوا على أتم مايكونون قدرة على الحياة جنباً إلى جنب دون أن يقتتلوا .

فلماذا كان هذا ؟ إن التغيير الذى طرأ على عامل واحد هو الذى أثمر المعجزة .

ففى أوربا ، تستقر السلطة العليا فى هذه القوميات ودولها القومية . وأما فى الولايات المتحدة فإن السلطة العليا غير مستقرة فى أية قومية من هذه القوميات ، بل هى فوقها جميعاً . أى فى الاتحاد . والأفراد فى ظله ، بغض النظر عما بينهم من الاختلافات ، متساوون أمام القانون .

وقد تباغض الألمانيون والفرنسيون وأساء بعضهم الظن ببعض ، وتحاربوا عدة قرون ، ولكن فى سويسرا ، القائمة بين هاتين الدولتين المتعاديتين ــ ألمانيا وفرنسا ــ يوجد نحو مليون من الفرنسيين الغاليين كأبناء الجمهورية الفرنسية نفسها ، ونحو ثلاثة ملايين من الألمانيين الذين لا تقلون

« ألمـانية » عن أى واحد فى الريخ ، وقد عاشوا جميعاً فى ســـلام قروناً طويلة . والاختلافات البيولوجية والعنصرية والدينية والثقافية والعقلية ، هى نفس الاختـلافات الموجودة بين أقوامهم الذين لا ينفكون يتحاربون فى بلادهم ، ولم يتغير إلا عامل واحد.

فالأمة الفرنسية فى فرنسا ، والأمة الألمانية فى ألمانيا ، تعيشان فى دولتـين قوميتين اسـتقرت السلطة فيهما فى الأمة الفرنسية والأمة الألمانية . أما فى سويسرا فالسلطة ليست مستقرة فى القوميـة الفرنسية ، أو القومية الألمانية ، بل فى الاتحـاد الذى يجمع بينهما .

فمن الجلى إذن أن الاحتكاك والصراع والحروب بين الشـعوب ليست مما تجره الاختلافات القومية أو العنصرية أو الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية ، وإنما سببها أمر واحد، هو أن هذه الاختلافات قد تجمعت فى دول مستقلة منفصلة ، لا تعرف وسيلة لتسوية المنازعات الناتجة عن هذه الاختلافات غير المصادمات العنيفة .

ويتفق التفكير المنطقى وعبرة التـاريخ على أنه توجد وسيلة لمنع الحروب بين الأمم منعاً نهائياً ، ولـكنهما يبينان أيضاً بوضوح تام أنه ليس ثم سوى وسـيلة واحدة ليس إلا ، لإدراك هذه الغاية : وهى إدماج هذه القوميات المستقلة المبعثرة المتنازعة فى وحدة عليا قادرة على إيجـاد نظام قانونى تنعم فى ظله كل الشـعوب بالتساوى فى الأمن والواجبات والحقوق أمام القانون .

من هنا وهناك

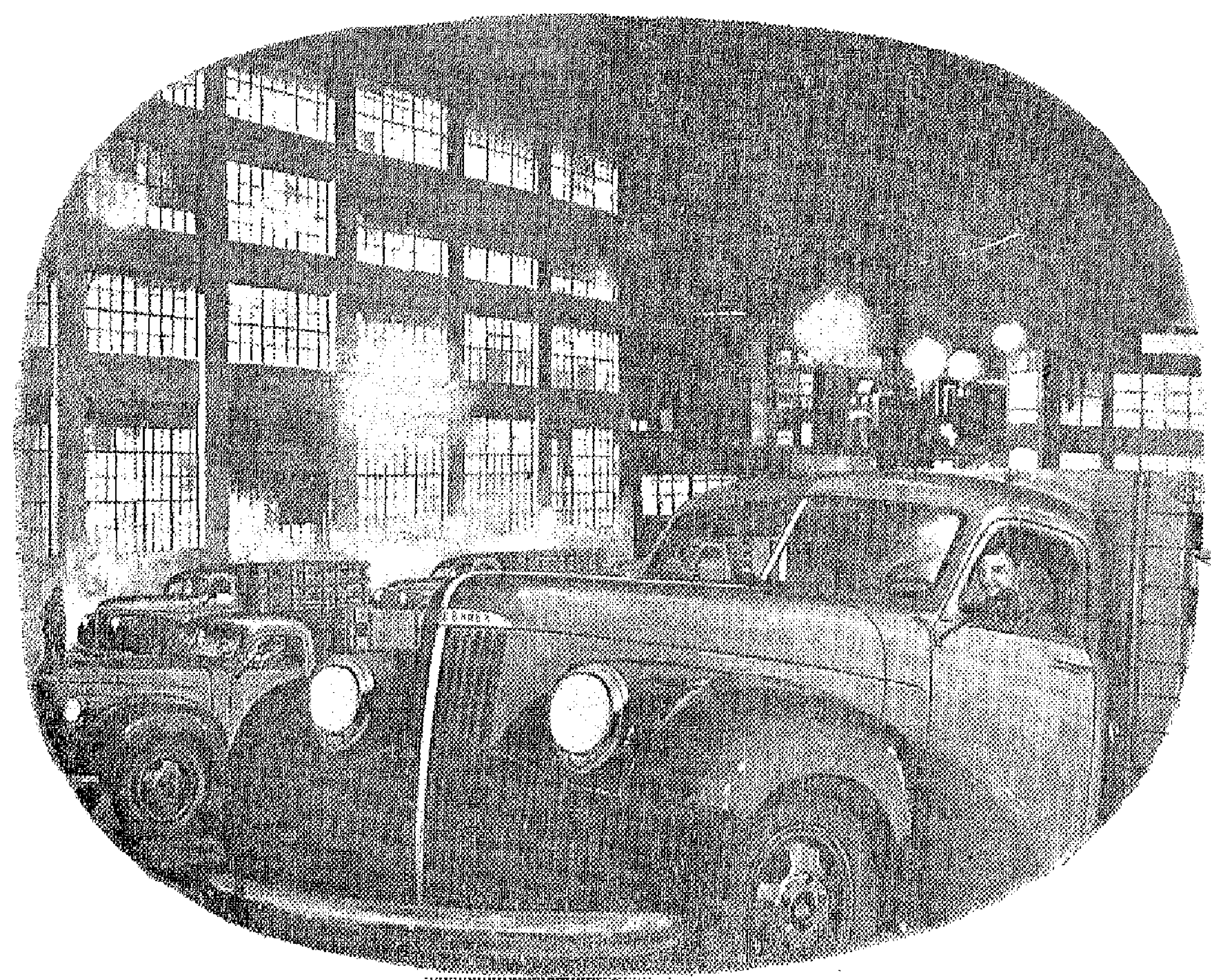
طراد : دخلت شابة حسناء مركز الشرطة فى مدينة بتسبرج ، وذكرت للضابط الموكل وصفاً مفصلا لرجل زعمت أنه أخذها بشعرها وجرها على سلالم ثلاثة أدوار ، وهددها بأن يخنقها ، ثم ضربها ضرباً مبرحاً .

فقال الضابط : أما وقد أتيتنا بهذا الوصف المفصل الدقيق ، فإننـا سنلقى القبض عليه حالا ، ونرمى به فى غيابة السجن .

فقالت الفتـاة : ولـكننى لا أريد أن تقبضوا عليه ، وحسبكم أن تجدوه ، فقد وعد أن يتزوجنى .

شهادة : عينت لجنة « الإصلاح والتجميل » فى مدينـة « سولت ليك » هيئة من الخـبراء وجعلت أجر كل عضو ٢٥٠٠ ريال ، وطلبت منها أن تقترح على الحكومة ما تراه من وجوه إصلاح المدينة ، فكان فى رأس مقترحات الخبراء « إلغاء اللجنة » !

غذاء : فى كلية ولاية كولورادو ، قضى علمـاء التجارب على طائفة من الأرانب البيض بإعطائها الطعام الذى يعطى للطالبات .



فى الطريق إليك
مقادير متزايدة من مركبات النقل الضخمة "ستوديبيكر"
للنقل الزهيد النفقة

إن مصانع «ستوديبيكر» الكبيرة فى ساوث بند، إنديانا، الولايات المتحدة، تعمل جاهدة فى زيادة إنتاجها لكى تعجل اليوم الذى يستطيع فيه كل من يحتاج إلى سيارات ومركبات النقل «ستوديبيكر» أن يشتريها .

إن مؤسسة «ستوديبيكر» تعلم علم اليقين أن العالم بأسره فى حاجة ملحة إلى مركبات نقل يستطيع الإعتماد عليها . وهى لذلك تبذل كل وسع لترسل أكبر كمية ممكنة من مركبات النقل « ستوديبيكر » الواسعة ، إلى مشارق الأرض ومغاربها .

إن مركبات النقل «ستوديبيكر»، ضخمة، متينة . وقد روعى فى تصميمها أن تهيء أقصى حد من الاقتصاد فى الوقود وفى الإطارات — وهى مصنوعة بحيث تحتمل العمل الشاق فى أكثر الطرق وعورة وفى أشد المناخات إرهاقاً .

إن «ستوديبيكر» لها أكثر من ٩٤ عاماً فى الميدان.. وما ظفرت به من صفات التفوق والنزاهة يقوم على التجربة ، وهو ما تقدمه لك كل سيارة أو مركبة نقل تحمل علامة « ستوديبيكر » .

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

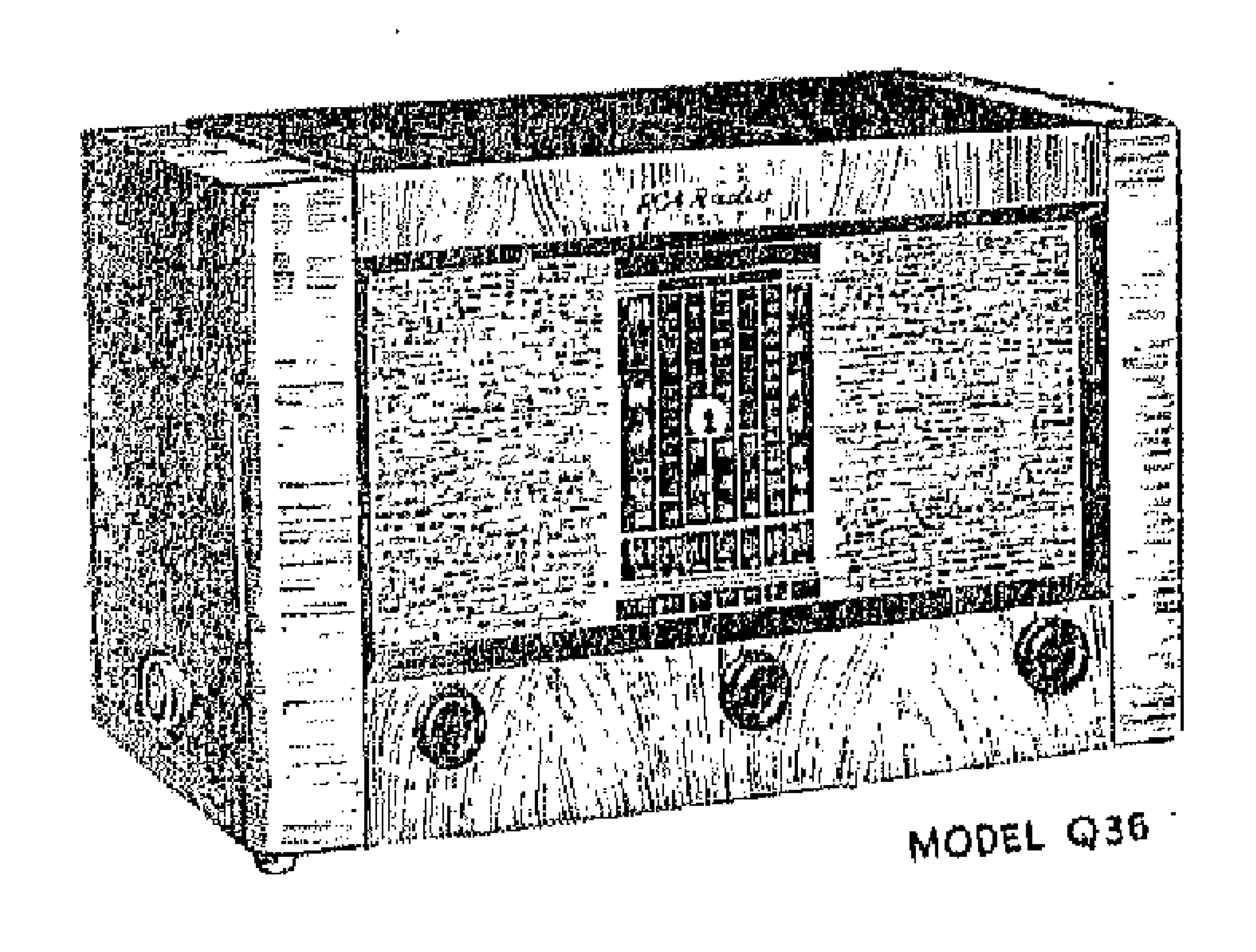


راديو RCA الجديد سيحمل إلى أسرتك وأصدقائك التسلية والمتعة والمسرة ففيه أشياء كثيرة تستحق الإعجاب ناهيك بما يقدمه من جمال النغم وكمال الأداء — فضلا عن المزايا الإضافية التي يستطيع RCA وحده أن يزودك بها .

وهذه هي أجهزة راديو RCA الجديدة التي كنت تترقبها — إنها ستحمل إلى بيتك متعة جديدة — فتجعل حياتك أجمل وأرغد !

وستكون الكميات الأولية من أجهزة RCA الجديدة محدودة بالطبع ، ولكن كن على صلة مستمرة بوكيل RCA فثمة نماذج جديدة أخرى في الطريق .

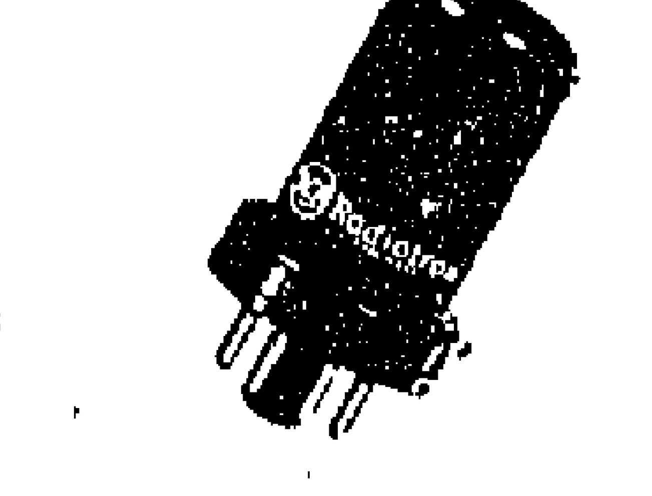
اشتر RCA لتحصل على أحسن راديو .



جهاز يدور بك العالم وأنت في مقعدك ويلتقط الأمواج من أبعد مكان ، سبع مناطق أمواج للضبط الدقيق ، على موجات ٣١ ، ٢٥ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٣ متراً . بوقان لتكبير الكلام بنغم رقيق ، قياس ٨ بوصات ، قوة إخراج ١٢ وات بكباس ، ١١ صماما ، وصلة كهربائية لإدارة الأسطوانات ، صندوق أنيق رخيم النبرات مصنوع من خشب الجوز .



مجهز تجهيز تام بأنابيب RCA المفضلة التي تتيح لك أحسن أداء وأتمه



RCA RADIO

RADIO CORPORATION OF AMERICA

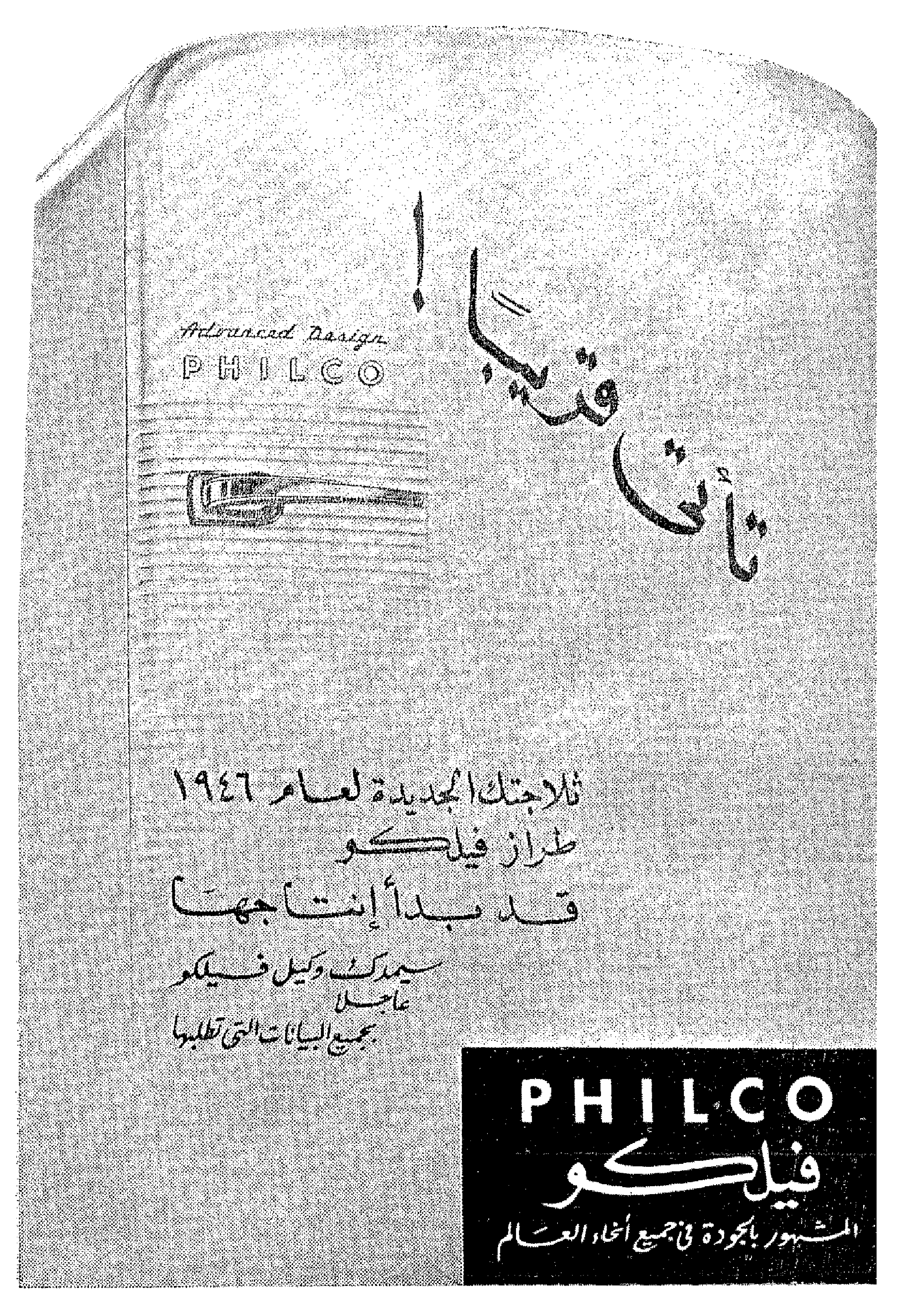
شهرة شامپيون
CHAMPION
أساسها ما تؤديه من عمل
إنها الأولى
على الأرض
وفى البحر
وفى الجو

CHAMPION

ضمان عمل المحرك — أقصى حد فى القوة — اقتصاد فى العمل،
هذا ما يجده أصحاب السيارات ، ومركبات النقل ، والجرارات ،
فى جميع أنحاء العالم ، عندما يعتمدون على شموع الاحتراق شامپيون.
ركب شموعاً جديدة من شموع شامپيون فى محركك — وأبدلها
فى فترات منتظمة — لتنعم بالقدرة العالية والاقتصاد فى الأداء.



CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.

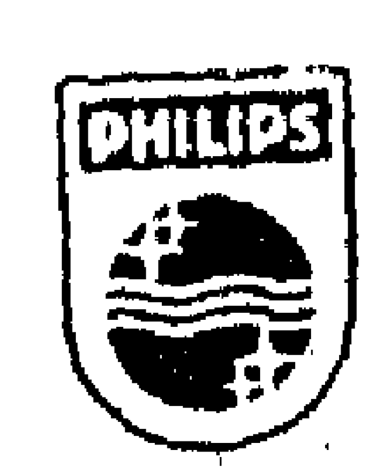

تأتيك قريباً!
Advanced Design
PHILCO
ثلاجتك الجديدة لعام ١٩٤٦
طراز فيلكو
قد بدأ إنتاجها
سيمدك وكيل فيلكو
عاجلا
بجميع البيانات التى تطلبها
PHILCO
فيلكو
المشهور بالجودة فى جميع أنحاء العالم

الزمن قد أثبت أن راديو فيليبس هو أحسن ما يعتمد عليه

كثير من الأسر تعرف اليوم صفات الاحتمال التى تميز راديو فيليبس . ذلك أن راديو فيليبس قد أثبت خلال سنى الحرب التى تعذر فيها شراء أجهزة استقبال جديدة ، أنه حقاً أحسن ما يستطيع الإنسان أن يعتمد عليه .

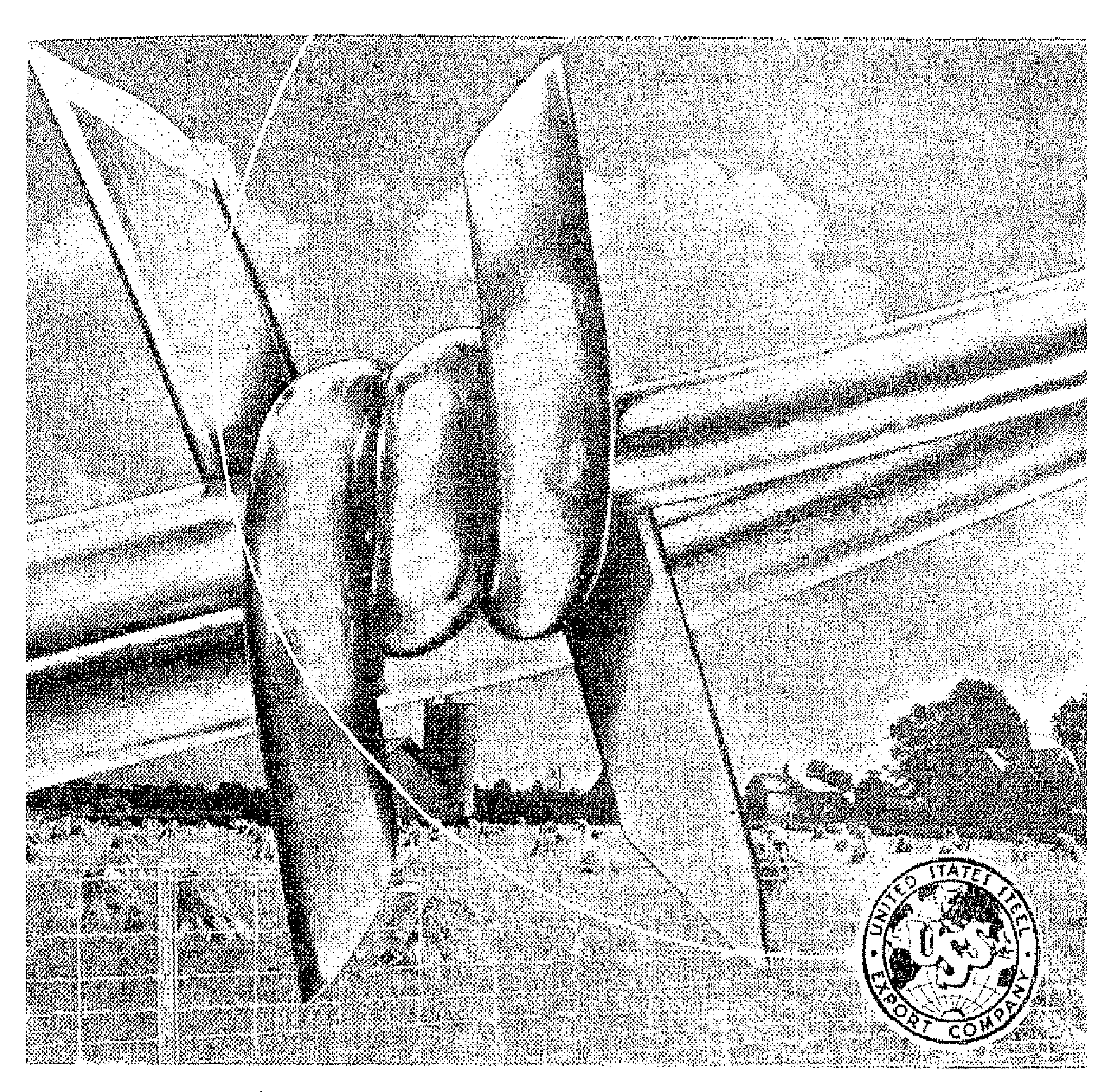
أما السر فهو أن أجهزة فيليبس روعى فى تصميمها وبنائها أن تكون ملائمة لكل بلد تباع فيه ، وفضلا عن ذلك فهى تضم جماع المعارف التى أسفر عنها البحث والتحسين فى مضمار الكهرباء ، خلال خمسين عاماً أو تزيد .

فاتصل بأقرب وكيل فيليبس إليك فستصله قريباً مجموعة أجهزة راديو فيليبس الجديدة لعام ١٩٤٦



قريباً تأتى — أحسن أجهزة

راديو فيليبس


UNITED STATES STEEL EXPORT COMPANY
USS



شفرات جيليت
GILLETTE BLADE
MADE IN ENGLAND
حلاقة سريعة وسهلة وناعمة واقتصادية .
هـذا ما تمتاز به شفرات جيليت .
فاذا كنت تجد صعوبة في الحصول عليها ،
لأن انتاجها لا يزال محدوداً ، فابحث
عنها فهي جديرة بذلك .
١٢ شفرة جيليت "استندرد" بـ ١١
TRADE Gillette MARK



تسير سيارتك على
وسادة من الزيت!
سوكوني فاكوم
جارجويل
موبيلويل
"اف"
خفيف الثقل
CR 4954
زيوت موبيلويل
تطيل عمر المحركات

أوجست لندبرج

رئيس اتحاد العمال فى أستوكهلم ، السويد

يصبو العمال فى السويد إلى تفاهم صادق بين الأمم ، ولكن التفاهم رهن بمعرفة طبائع سائر الناس . ولما كانت مجلة « دت باستا » (الطبعة السويدية من ريدرز دايجست) تقرب منال هذه المعرفة فإن مقالاتها توسع آفاق الفكر وتعزز قضية التآخى بين شعوب الأرض .

السيدة ماريا مارتنز

زوجة سفير البرازيل فى الولايات المتحدة

إنى أجد دائماً ما يحفزنى ويلهمنى فى مقالات ريدرز دايجست ، فهى تمكننى من أن أدرك أن الناس ، رجالا ونساء ، يثابرون فى جميع أرجاء الأرض ، على البحث عن حلول للمشكلات الخطيرة التى يواجهها كل منا كل يوم ، سواء أكنا نعد أنفسنا أفراداً مستقلين أم أعضاء متعاونين فى هيئة عالمية واحدة .

لورد هاليفاكس

سفير بريطانيا فى الولايات المتحدة

أجد الطبعات الدولية لمجلة ريدرز دايجست تسدى يداً عظيمة كل شهر ، لتعزيز « رغبة التعاون » بين الأمم ، فقد ولدت هذه الرغبة فى زمن الحرب . وإنى لأدعو الله أن يشتد أزرها ويتسع نطاقها فى زمن السلم .

أ . ج . أهولا

المدير العام لمصلحة البريد والبرق فى فنلندة

إن الطبعة الفنلندية من ريدرز دايجست ، قد فتحت لنا نافذة على معالم الديمقراطية الغربية التى نعجب بها أعظم إعجاب . وإن ما ظفرت به من إقبال القراء الفنلنديين المتشددين ، فى مثل هذا الزمن القصير ، لدليل على المستوى العالى الذى تسمو إليه مقالاتها وتستمسك به .

وسيلة عالمية لتبادل الأفكار

تطبع « ريدرز دايجست » اليوم في ست لغات — العربية والإسبانية ، والإنجليزية ، والبرتغالية ، والسويدية ، والفنلندية . وهي تصدر في أحد عشر بلداً — مصر والأرجنتين وإنجلترا والسويد والصين وفرنسا وفنلندة والفلبين وكندا وكوبا والولايات المتحدة ، ويقرؤها ملايين من الناس خارج الولايات المتحدة الأمريكية .

وإنك لترى ما ظفرت به هذه المجلة ، التي تعد بحق أولى المجلات الدولية ، من تقدير القراء واهتمامهم ، متجلية في الأقوال التالية المقتطفة من رسائل قرائها في جميع أرجاء الأرض :

فخامة السيد شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

. . . ولا شك أنه في هذه الحالة التي وصلت إليها طبيعة العمران ، لا يستطيع شعب أن يعيش بعزلة فكرية ، عما سواه ، وأن يحيا وحده في آرائه وأساليبه . فيسرنا أن تكون مجلة « المختار » التي تنشر بلغة عربية مبينة ، من رسل التفاهم بين أبناء هذه الأقطار العربية ، بل بينهم وبين تلك الأقطار النائية التي طوت الحضارة مراحلها البعيدة ومسافاتها العظيمة فجعلتها قريبة دانية .

معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا

رئيس مجلس الشيوخ المصري

. . . لن يستقر السلام إلا إذا عرف الناس في مختلف الأمم بعضهم بعضا ، وفهم بعضهم عقلية بعض ، وأدركوا جميعاً أنهم قادرون عن طريق هذا الفهم وهذه المعرفة على التعاون المثمر لخيرهم جميعاً ... ومجلة « المختار » من ريدرز دايجست تؤدي هذا ، الفرض خير أداء ، فهي من الوسائل القوية للمعرفة والتفاهم ، فتحل التضامن محل التنافس ، ويسعى القوي للاستعلاء على الضعيف واستغلاله .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية